شرح كيفية سلوك الآخرة

للامام ابي حامد محمد الغزالي

نسخة نفيسة لم تطبع الى الآن

وهو آخر ما صنّفه الامام الغزالي رضه

منهاج العابدين غزالي [illegible]

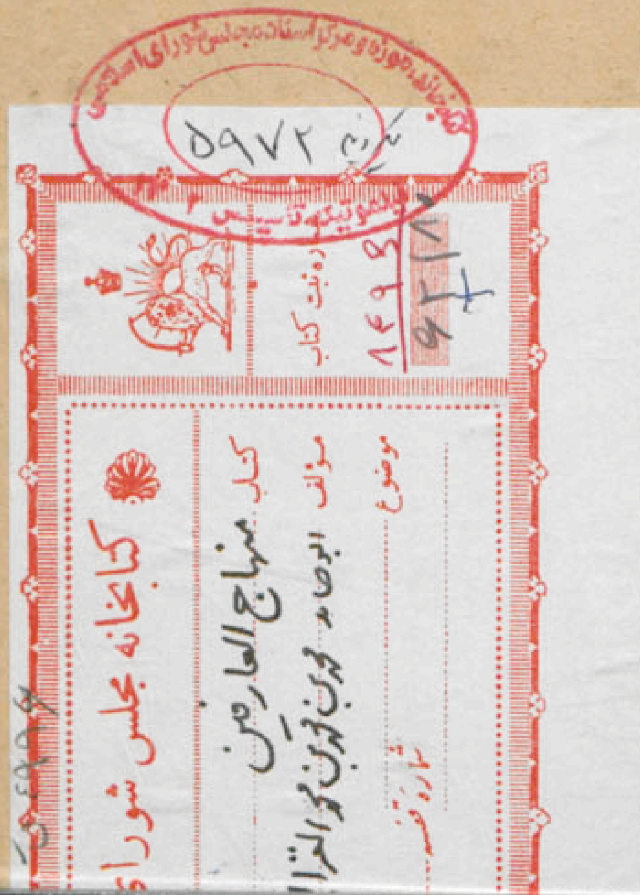
شرح كيفية سلوك الآخرة

للامام ابي حامد محمد الغزالي

نسخة نفيسة لم تطبع الى الآن

وهو آخر ما صنفه الامام الغزالي

منهاج العابدين غزالي



وفی الحدیث مثل العالم کمثل الحمة
یأتیها البعداء ویترکها القرباء فبینا هم
اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقی
قوم یتفکنون نقل من الکشاف
ای یتندمون

وعن النبی ص انه قال یحشر الناس عراة
حفاة فقالت ام سلمة کیف بالنساء فقال
شغل الناس یا ام سلمة قالت بما شغلهم
قال نشر الصحف فیها مثاقیل الذر
ومثاقیل الخردل کشاف
وفی الحدیث افضل الحج العج والثج
العج رفع الصوت بالتلبیة والثج نحر البدن

یاری دهید ای ...
وزینی ...
هر که خواند دعا طمع دارم
زانکه من بنده گنهکارم

۱۲۱۶





بسم الله الرحمن الرحيم رب تمم بالخير

حدثني الشيخ الفقيه الصالح الزاهد عبد الملك بن عبد الله قال املا علي
شيخي الاجل الامام الزاهد الموفق حجة الاسلام زين الدين شرف الائمة
ابو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي رفع الله في الجنة درجته في الاخرة هذا الكتاب
وهو آخر كتاب صنفه ولم يمليه الا على خواص اصحابه وهو الحمد لله الملك
الحكيم الجواد الكريم العزيز الرحيم الذي فطر السموات والارض بقدرته ودبر الامور
في الدارين بحكمته وما خلق الجن والانس الا لعبادته فالطريق واضح للقاصدين
والدليل لائح للناظرين ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين
والصلوة على سيد المرسلين وعلى آله الابرار الطيبين الطاهرين وسلم وعظم الى يوم
الدين اعلموا اخواني اسعدكم الله واياكم بمرضاته ان العبادة ثمرة العلم
وفائدة العمر وحاصل العبد وبضاعة الاولياء وطريق الاقوياء وقسم الاعزة
ومقصد ذوي الهمة وشعار الكرام وحرفة الرجال واختيار اولي الابصار وهي سبيل
السعادة ومنهاج الجنة قال الله تعالى وانا ربكم فاعبدون وقال الله تعالى ان
هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ثم انا نظرنا فيها وتأملنا طريقها من مبادئها
الى مقاصدها التي هي اماني سالكيها فاذا هي طريق وعر وسبيل صعب
كثيرة العقبات شديدة المشقات بعيدة المسافات عظيمة الآفات كثيرة

العوائق

العوائق والموانع خفية المهالك والمقاطع كثيرة الاعداء والقطاع عزيزة
الاشياع والاتباع وهكذا ينبغي ان تكون لانها طريق الجنة فيصير هذا مصدقا
لما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الجنة حفت بالمكاره وان النار حفت بالشهوات وقال عم
الا وان الجنة حزن بربوة الا وان النار سهل بشهوة ثم مع ذلك كله فان العبد
ضعيف والزمان صعب وامر الدين متراجع والفراغ قليل والشغل كثير والعمر
قصير وفي العمل تقصير والناقد بصير والاجل قريب والسفر بعيد والطاعة هي
الزاد فلا بد منها وهي فائتة فلا مرد لها فمن ظفر بها فقد فاز وسعد ابد الابدين
ومن فاته ذلك فقد خسر مع الخاسرين وهلك مع الهالكين فصار هذا الخطب
اذا والله معضلا والخطر عظيما ولذلك عز من يقصد هذا الطريق وقل ثم عز
من القاصدين من يسلكه ثم عز من السالكين من يصل الى المقصود ويظفر بالمطلوب
وهم الاعزة الذين اصطفاهم الله عز وجل لمعرفته ومحبته وسددهم بتوفيقه وعصمته
ثم اوصلهم بفضله الى رضوانه وجنته فنسأله جل ذكره ان يجعلكم واياكم من اولئك
الفائزين برحمته نعم ولما وجدنا هذا الطريق بهذه الصفة نظرنا فانعمنا النظر كيفية
قطعها وما يحتاج اليه العبد من الاهبة والعدة والآلة والحيلة من علم وعمل عسى ان
يقطعها العبد بحسن توفيق الله بسلامة ولا ينقطع من عقباتها المهلكة فيهلك
مع الهالكين والعياذ بالله فصنفنا في قطع هذا الطريق وسلوكها كتبا كاحياء علوم
الدين والقربة الى الله عز وجل وغير ذلك واحتوت على دقائق من العلوم
اعتاصت على افهام العامة فقدحوا فيها وخاضوا فيما لم يحسنوه منها فاي
كلام افصح من كلام رب العالمين وقد قالوا انه اساطير الاولين الم تسمع

الى قول زين العابدين علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب رضوان الله
عليهم اجمعين حيث قال :: اني لاكتم من علمي جواهره :: كيلا يرى ذاك ذو جهل
فيفتتنا :: وقد تقدم في هذا ابو حسن الى الحسين ووصى قبله الحسنا :: يا رب
جوهر علم لو ابوح به :: لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا :: ولاستحل رجال
مسلمون دمي :: يرون اقبح ما ياتونه حسنا :: واقتضت الحال عند ذوي
الدين النظر الى كافة خلق الله تعالى بعين الرحمة وترك المماراة فابتهلت الى
الى من بيده الخلق والامر ان يوفقني لتصنيف كتاب يقع عليه الاجماع
ويحصل بقراءته الانتفاع فاجابني الى ذلك الذي يجيب المضطر اذا دعاه
واطلعني بفضله على اسرار ذلك والهمني فيه ترتيبا عجيبا لم اذكره في المصنفات
التي تقدمت في اسرار معاملات الدين وهو الذي انا له واصف فاقول وبالله التوفيق
ان اول ما ينتبه العبد للعبادة ويحرك لسلوك طريقها خطرة سماوية من الله
وتوفيق خاص الهي وهو المعنى بقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على
نور من ربه واشار اليه صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فقال ان النور
اذا دخل القلب انفتح وانفسح وانشرح فقيل يا رسول الله فهل لذلك من علامة
يعرف بها فقال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد
للموت قبل نزول الموت فاذا خطر بقلب العبد اول كل شيء اني اجدني
منعما بضروب من النعم كالحياة والقدرة والعقل والنطق وسائر المعاني الشريفة
واللذات وما ينصرف عني من ضروب المضار وان لهذه المنعم منعما
يطالبني بشكره وخدمته وان اغفلت ذلك فيزيل عني نعمته ويذيقني

باسه

باسه ونقمته وقد بعث اليّ رسولا ايده بالمعجزات الخارقة للعادات
الخارجة عن مقدورات البشر واخبرني بان لي ربا جل ذكره عالما قادرا
حيا مريدا متكلما يامر وينهى قادرا على ان يعاقبني ان عصيته ويثيبني ان
اطعته عالما باسراري وما يختلج في افكاري وقد وعد واوعد وامر بالتزام
قوانين الشرع فيقع في قلبه انه ممكن اذ لا استحالة لذلك في العقل باول البديهة
فيخاف على نفسه عنده ويفزع وهذا خاطر الفزع الذي ينبه العبد ويلزمه
الحجة ويقطع عنه المعذرة ويحثه على النظر والاستدلال فيهتاج العبد عن ذلك
ويقلق وينظر في طريق الخلاص وحصول الامان له مما وقع بقلبه او سمع باذنه
فلم يجد له سبيلا سوى النظر بعقله في الدلائل والاستدلال بالصنعة على
الصانع ليحصل له العلم اليقين بما هو غيب ويعلم ان له ربا كلفه وامره ونهاه
فهذه اول عقبة استقبلته في طريق العبادة وهي عقبة العلم والمعرفة ليكون
من الامر على بصيرة فياخذ في قطعها من غير بد بحسن النظر في الدلائل ووفور
التامل والتعلم والسؤال من علماء الاخرة ادلاء الطريق وسرج الامة وقادة
الائمة والاستفادة منهم والاستمداد الصالح منهم للدعاء والاعانة الى ان يقطعها
بتوفيق الله سبحانه فيحصل له العلم واليقين بالغيب وهو ان له الها واحدا لا شريك
له هو الذي خلقه وانعم عليه بكل هذه النعم وانه كلفه شكره وامره بخدمته وطاعته ظاهرا
وباطنه وحذره الكفر وضروب المعاصي وحكم له بالثواب الخالد ان اطاعه وبالعقاب
الخالد ان عصاه وتولى عنه فعند ذلك تبعثه هذه المعرفة واليقين بالغيب
على التشمر للخدمة والاقبال على العبادة لهذا السيد المنعم الذي طلبه فوجده وعرفه بعد

ماجله ولكنه لا يدري كيف يعبده وماذا يلزمه من خدمته بظاهره وباطنه بعد
حصول هذه المعرفة بالله سبحانه ثم تعلم ما يلزمه من الفرائض الشرعية ظاهرا وباطنا
فلما استكمل العلم والمعرفة بالفرائض انبعث ليأخذ في العبادة فيشتغل بها
فنظر فاذا هو صاحب جنايات وذنوب وهذه احوال الاكثر من الناس فيقول
كيف اقبل على العبادة وانا مصر على المعصية متلطخ بها فيجب اولا ان اتوب
اليه ليغفر لي ذنوبي ويخلصني من اسرها ويطهرني من اقذارها فاصلح للخدمة
وبساط القربة فتستقبله ههنا عقبة التوبة فيحتاج لا محالة الى قطعها ليصل
الى ما هو المقصود منها فاخذ في ذلك باقامة التوبة بحقوقها وشرائطها الى ان قطعها
فلما حصلت له التوبة الصادقة وفرغ من هذه العقبة حن الى العبادة ليأخذ
فيها فنظر فاذا حوله عوائق محدقة به وكل واحدة منها تعوقه عما قصده من العبادة
بضرب من التعويق فتأمل فاذا هي اربع الدنيا والخلق والشيطان والنفس
فاحتاج لا محالة الى دفع هذه العوائق وازاحتها والا فلا يتأتى له امره من
العبادة فاستقبلته ههنا عقبة العوائق فاحتاج الى قطعها باربعة امور التجرد
عن الدنيا والتوحد عن الخلق والمحاربة مع الشيطان والنفس واما النفس
فاشدها اذ لا يمكنه التجرد عنها ولا ان يقهرها بمرة ويقمعها كالشيطان اذ هي المطية
والآلة ولا مطمع ايضا في موافقتها له على ما يقصده العبد من العبادة والاقبال عليها
اذ هي مجبولة على ضد الخير كالهوى واتباعها له فاحتاج اذا الى ان يلجمها بلجام
التقوى لتبقى له فلا تنقطع وتنقاد له فلا تطغى فيستعملها في المصالح والمراشد
ويمنعها عن المهالك والمفاسد فيأخذ اذا في قطع هذه العقبة ويستعين بالله

جل ذكره على ذلك فلما فرغ من قطعها رجع الى قصد العبادة فاذا عوارض
تعترضه فتشغله عن الاقبال على مقصوده من العبادة وتعيقه عن التفرغ لذلك
كما ينبغي فتأمل فاذا هي اربعة الرزق تطالبه النفس به وتقول له لا بد لي من رزق
وقوام وقد تجردت عن الدنيا وتفردت ايضا عن الخلق فمن اين يكون قوامي ورزقي
والثاني الاخطار من كل شيء يخافه ويرجوه او يريده او يكرهه ولا يدري صلاحه
في ذلك او فساده فان عواقب الامور مبهمة فيشتغل قلبه بها فانه ربما يقع في فساد
او هلكة والثالث الشدائد والمصائب تنصب عليه من كل جانب لا سيما
وقد انتصب لمخالفة الخلق ومحاربة الشيطان ومضادة النفس فكم من غصة يتجرعها
وكم من شدة تستقبله وكم من هم وحزن يعترضه وكم من مصيبة تلقاه والرابع انواع
القضاء من الله سبحانه بالحلو والمر ترد عليه حالا بعد حال والنفس تسارع الى السخط
وتبادر الى الفتنة فاستقبلته ههنا عقبة العوارض الاربعة فاحتاج الى قطعها باربعة
امور التوكل على الله سبحانه في مواضع الرزق والتفويض اليه في موضع الخطر والصبر عند
نزول الشدائد والرضى عند نزول القضاء فاخذ في قطع هذه العقبة باذن الله تعالى
وحسن توفيقه وتأييده فلما فرغ من قطعها وعاد الى قصد العبادة فنظر فاذا النفس
فاترة كسلى لا تنشط ولا تنبعث للخير كما يحق وينبغي وانما ميلها ابدا الى غفلة
ودعة وراحة وبطالة بل الى شر وفضول وبلية وجهالة فاحتاج منها ههنا الى
سائق يسوقها الى الخير والطاعة وينشطها له وزاجر يزجرها عن الشر والمعصية و
يفترها عنه وهما الرجاء والخوف فالرجاء في عظيم ثواب الله عز وجل وحسن
ما وعد من انواع الكرامة فتذكر ذلك سائق يسوقها فيبعثها على الطاعة و

ويحكمها لذلك ويشغلها والخوف من أليم عقاب الله تع وصعوبة ما أوعده
من أنواع العقوبة والإهانة زاجرا يزجرها عن المعصية ويجنبها وينفرها عن ذلك
فهذه عقبة البواعث استقبلته ههنا فاحتاج إلى قطعها بهذين المذكورين فأخذ فيها
بحسن توفيق الله تع فقطعها فلما فرغ منها رجع إلى الإقبال على العبادة فلم ير عائقا
ولا شاغلا ووجد باعثا وداعيا فنشط في العبادة فأقبل عليها وعانقها بتمام الشوق
والرغبة فأداها فنظر فإذا بدا له وهذه العبادة التي احتمل فيها كل ذلك آفتان
عظيمتان وهما الرياء والعجب تارة يرائي بطاعته الناس فيفسدها وأخرى يمتنع
عن ذلك ويلوم نفسه فيه فيعجب بنفسه فيحبط العبادة عليه ويعطلها فاستقبلته
ههنا عقبة القوادح فاحتاج إلى قطعها بالإخلاص وذكر المنة ونحوهما ليسلم له ما يعمل
من خير فأخذ في قطع هذه العقبة بإذن الله سبحانه ودوام جده واحتياطه وتيقظه بحسن
عصمة الجبار تع وتأييده فلما فرغ من هذه كلها حصلت له العبادة كما يحق ويجب وسلمت
من كل آفة ولكنه نظر فإذا هو غريق في بحار منن الله تع وأياديه من كثرة ما أنعم
عليه من إمداد التوفيق والعصمة وأنواع التأييد والحراسة وخاف أن يكون منه
إغفال للشكر فيقع في الكفران فينحط عن تلك المرتبة الرفيعة التي هي منزلة الخدام
العالمين المخلصين لله عز وجل وتزول عنه تلك النعمة الكريمة من ضروب ألطاف الله تع
وحسن نظره إليه فاستقبلته ههنا عقبة الحمد والشكر فأخذ في قطعها بما أمكنه من
كثرة الحمد والشكر على كثير نعمه فلما فرغ من قطع هذه العقبة ونزل فإذا هو بمقصوده
ومبتغاه بين يديه فلم يسر إلا قليلا حتى وقع في سهل الفضل وهواء الشوق و
عرصات المحبة ثم انتهى إلى رياض الرضوان وبساتين الانبساط

ومرتبة التوسل في مجلس المناجاة ونيل الخلع والكرامات فهو يتنعم في هذه الحالة
ويتقلب في طيبها أيام بقائه وبقية عمره بشخص في الدنيا وقلبه في العقبى ينتظر
البريد يوما فيوما حتى يمل الخلق كلهم ويستقذر الدنيا ويحن إلى الموت ويستكمل الشوق
إلى الملأ الأعلى فإذا هو برسل رب العالمين إليه يردون عليه بالروح والريحان
والبشرى والرضوان من عند رب راض غير غضبان فينقلونه في طيبة النفس
وتمام البشرى والأنس من هذه الدار الفانية المغيبة إلى الحضرة الإلهية ومستقر
رياض الجنة فيرى لنفسه الفقيرة الضعيفة نعيما مقيما وملكا عظيما ويلقى هنالك
من سيده الرحيم المفضل الكريم جل ذكره من الألطاف به والعطف والترحيب
والتقريب والإنعام والإكرام ما لا يحيط به وصف الواصفين ونعت الناعتين
فهو كل يوم في زيادة إلى أبد الآبدين فيا لها من سعادة عظيمة ويا لها من دولة
عالية ويا له من عبد مسعود وأمر مغبوط وشأن محمود فطوبى له وحسن مآب
ونسأل الله البر الرحيم سبحانه أن يمن علينا وعليكم بهذه النعم العظيمة وما ذلك
على الله بعزيز وأن لا يجعلنا من الذين لا نصيب لهم من هذا الأمر إلا وصف
وسماع وعلم وتمن بلا انتفاع وأن لا يجعل ما تعلمناه من العلم حجة علينا يوم القيامة
وأن يوفقنا جميعا للعمل بذلك والقيام به كما يحب ويرضى إنه أرحم الراحمين
وأكرم الأكرمين فهذا هو الترتيب الذي انتهى مولاي في طريق العبادة فاعلم
الآن أن الحاصل من الجملة سبع عقبات الأولى عقبة العلم الثانية عقبة التوبة
الثالثة عقبة العوائق الرابعة عقبة العوارض الخامسة عقبة البواعث والسادسة
عقبة القوادح والسابعة عقبة الحمد والشكر وبتمامها تم كتاب منهاج العابدين إلى الجنة

ونحن الآن نتبع هذه العقبات بشرح موجز اللفظ مشتمل على النكت المقصودة
من هذا الشأن كل منها في باب مفرد ان شاء الله تعالى والله سبحانه ولي التوفيق
والتسديد بمنه ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

العقبة الاولى

وهي عقبة العلم فاقول وبالله التوفيق يا طالب العلم والعبادة عليك اولا
وفقك الله بالعلم فانه القطب وعليه المدار واعلم ان العلم والعبادة جوهران
لاجلهما كان كل ما ترى وتسمع من تصنيف المصنفين وتعليم المعلمين ووعظ الواعظين
ونظر الناظرين بل لاجلهما انزلت الكتب وارسلت الرسل بل لاجلهما خلقت
السموات والارض وما فيهما من الخلق وتأمل من آيتين في كتاب الله عز وجل
احديهما قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن
لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما وكفى بهذه الآية
دليلا على شرف العلم لا سيما علم التوحيد والآية الثانية قوله عز وجل من قائل وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وكفى بهذه الآية على شرف العبادة ولزوم الاقبال
عليها فاعظم بامرين هما المقصود من خلق الدارين فحق للعبد ان لا يشتغل الا بهما
ولا يتعب الا لهما ولا ينظر ولا ينطق الا فيهما فاعلم ان ما سواهما
من الامور باطل لا خير فيه ولغو لا حاصل له فاذا علمت ذلك فاعلم ان العلم
اشرف الجوهرين وافضلهما ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لنظرة الى العالم
احب الي من عبادة سنة صيامها وقيامها وقال صلعم الا ادلكم على اشرف
اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال هم علماء امتي فبان لك ان العلم اشرف
جوهرا من العبادة ولكن لا بد للعبد من العبادة مع العلم والا كان علمه هباء منثورا

فان

فان العلم بمنزلة الشجرة والعبادة بمنزلة الثمرة من ثمراتها فالشرف للشجرة اذ هي الاصل
لكن الانتفاع بثمرتها فاذا لا بد للعبد من ان يكون له من كلا الامرين حظ ونصيب
ولهذا قال الحسن البصري اطلبوا هذا العلم طلبا لا يضر بالعبادة واطلبوا هذه العبادة
طلبا لا يضر بالعلم فلما استقر انه لا بد للعبد منهما جميعا فالعلم اولى بالتقدم لا محالة
لانه الاصل والدليل لا شك ولهذا قال النبي صلعم العلم امام العمل والعمل تابعه وانما
صار العلم اصلا متبوعا ولذلك تقدمه على العبادة لامرين احدهما لتحصل لك العبادة
وتسلم فانك اولا يجب ان تعرف المعبود ثم تعبده وكيف تعبد من لا تعرفه
باسمائه وصفات ذاته وما يجب له وما يستحيل في نعته فربما تعتقد في صفاته والعياذ
بالله تعالى خلاف الحق فتكون عبادتك هباء منثورا وقد شرحنا في ذلك من الخطر
العظيم في بيان معنى سوء الخاتمة من كتاب الخوف من جملة كتب احياء علوم الدين
ثم يجب ان تعلم ما يلزمك فعله من الواجبات الشرعية على ما امرت به لتفعل ذلك
وما يلزمك تركه من المناهي لتترك ذلك والا فكيف تقوم بطاعات لا تعرفها
ما هي وكيف هي وكيف يجب ان تفعل وكيف تجتنب معاصي لا تعلم انها
معاص حتى لا توقع نفسك فيها فالعبادات الشرعية كالطهارة والصلوة و
الصوم وغيره يجب ان تعلمها باحكامها وشرائطها حتى تقيمها فربما انت مقيم على شيء
سنين وازمانا مما يفسد عليك طهارتك وصلواتك او يخرجهما عن كونهما
واقعين على وفاق السنة وانت لا تشعر بذلك وربما يعرض لك مشكل ولا تجد
من تسأله عن ذلك وانت لا تعلمه ثم دار هذا الشان ايضا على العبادات
الباطنة التي هي مساعي القلب يجب ان تعلمها من التوكل والتفويض والرضا

والصبر والتوبة والاخلاص وغير ذلك مما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى ويجب
ان تعلم مناهيها التي هي اضداد هذه الامور كالسخط والامل والرياء والكبر
ليجتنب ذلك فان هذه فرائض نص الله تعالى على الامر بها والنهي عن اضدادها
في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه صلعم كما قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين
واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون واصبر وما صبرك الا بالله وقوله وتبتل
اليه تبتيلا اي اخلص اليه اخلاصا ونحو ذلك من الآيات كما نص على الامر
بالصلوة والصوم فما لك اقبلت على الصوم والصلوة وتركت هذه الفرائض
والامر كلها من رب واحد في كتاب واحد بل غفلت عنها فلا تعرف شيئا
منها فما اغرك [illegible] من الحج بعاجل حظه [illegible] حتى صار المعروف
منكرا والمنكر معروفا ومن اهل العلوم التي سماها الله في كتابه نورا وحكمة
وهدى واقبل على ما يكتسب الحرام ويكون مصيدة للحطام [illegible]
ايها المسترشد ان تكون مضيعا لشيء من هذه الواجبات بل لاكثرها وتشتغل
بصلوة التطوع وصوم النفل فتكون في لا شيء وربما انت مصر على معصية من
هذه المعاصي التي تستوجب بها النار فتترك مباحا من طعام او شراب او نوم
تبتغي به قربة الى الله عز وجل فتكون في لا شيء واشنع من ذلك كله انك تكون
في امن الامل والامل معصية محبطة فتظنه نية خير لما لك الفرق بينهما وتقاربهما
في بعض الوجوه وكذلك تكون في جزع وسخط فتظنه تضرعا وابتهالا الى الله
عز وجل وتكون في رياء محض فتسميه حمد الله سبحانه وتعالى او دعوة للناس الى الخير
فتاخذ تتعقد على الله سبحانه المعاصي بالطاعات وتحتسب الثواب العظيم في موضع

العقوبات

العقوبات فتكون في غرور عظيم وغفلة قبيحة فهذه والله مصيبة فضيحة للعاملين
من غير علم ثم مع ذلك كله ان للاعمال الظاهرة علائق من المساعي الباطنة
تصلحها وتفسدها كالاخلاص والرياء والعجب وذكر المنة وغيره فمن لم يعلم
هذه المساعي الباطنة ووجوه تاثيرها في العبادات الظاهرة وكيفية الاحتراز
منها وحفظ العمل عنها فقل ما يسلم له عمل الظاهر ايضا فيفوته طاعات
الظاهر والباطن فلا يبقى بيده الا الشقاء والكد وهذا هو الخسران المبين و
لهذا قال صلعم ركعتان من عالم خير من صلوة جاهل فان العامل بغير علم يفسده
اكثر مما يصلح قال صلعم العلم [illegible] للسعداء ويحرمه الاشقياء [illegible] والعلم
عند الله ان احدى شقوتيه ان لا يتعلم العلم ثم يشقى ويتعب في العبادة
على خبط فلا يكون له من ذلك الا العناء ونعوذ بالله من علم وعمل لا ينفع و
لهذا عظمت عناية العلماء الزهاد العاملين بالعلم خاصة من بين ابناء الناس
فان مدار امر العبودية وملاك العبادة والخدمة لله رب العالمين على العلم
وهكذا تكون نظر اولي الابصار واهل التأييد والتوفيق فاذا تبين لك
بهذه الجملة ان الطاعة لا تحصل للعبد ولا تسلم له الا بالعلم فيلزم اذا تقدمه في
شان العبادة واما الخصلة الثانية التي توجب تقدم العلم ان العلم النافع يثمر خشية الله تعالى
ومهابته قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وذلك انه من لم يعرفه
حق معرفته لم يهبه حق مهابته ولم يعظمه حق تعظيمه وحرمته فصار العلم يثمر الطاعة
كلها ويحجز عن المعصية كلها بتوفيق الله وليس وراء هذين مقصد للعبد في عبادة
الله سبحانه فعليك بالعلم ارشدك الله يا سالك طريق الآخرة اول كل شيء

والله ولي التوفيق بفضله ورحمته لعلك ان تقول فقد ورد الخبر عن صاحب
الشرع صلوات الله عليه انه قال طلب العلم فريضة على كل مسلم فما العلم الذي
طلبه فرض لازم وما الحد الذي لا بد للعبد من تحصيله في امر العبادة فاعلم ان العلوم
التي طلبها في الجملة فرض ثلثة علم التوحيد وعلم السر اعني به ما يتعلق بالقلب
ومساعيه وعلم الشريعة واما حد ما يجب من كل واحد منها فالذي يتعين فرضه
من علم التوحيد مقدار ما تعرف به اصول الدين وهو ان لك الها واحدا
قادرا عالما حيا مريدا متكلما سميعا بصيرا واحدا لا شريك له متصفا بصفات
الكمال منزها عن دلالات الحدث متفردا بالقدم على كل محدث وان محمدا
صلوات الله عليه عبده ورسوله الصادق فيما جاء به عن الله سبحانه وفيما ورد
على لسانه من امور الآخرة ثم مسايل في حراسة السنة يجب معرفتها واياك
ان تبتدع في دين الله تعالى ما لم يأت به كتاب ولا اثر فتكون مع الله تعالى
على اعظم خطر وجميع ادلة التوحيد موجود اصلها في كتاب الله سبحانه وقد ذكرها
شيوخنا في كتبهم التي صنفوها في اصول الديانات وعلى الجملة كل ما لا تأمن
الهلاك مع جهله فطلب علمه فرض لا يسعك تركه فهذه جملة وبالله التوفيق
واما الذي يتعين فرضه من علم السر فمعرفة مواجبه ومناهيه حتى يحصل لك تعظيم الله
سبحانه وتعالى والاخلاص له والنية وسلامة العمل وجميع ذلك يأتي في كتابنا هذا ان
شاء الله تعالى واما علم الشريعة فكل ما يتعين فرضه وجب عليك علمه لتؤديه
كالطهارة والصلوة والصيام واما الحج والزكوة والجهاد فان تعين لك وجب
عليك لتؤديها والا فلا فهذه حد ما يلزم العبد تحصيله من العلم لا محالة وتعين فرضه

بحيث لا بد لك من ذلك فان قلت فهل يفترض علي ان اتعلم من علم التوحيد
ما انقض به جميع ملل الكفر والزيغ حجة الاسلام وانقض به جميع البدع فاعلم
ان هذا فرض على الكفاية وانما يتعين عليك ما تصحح به اعتقادك في اصول
الدين لا غيره وكذلك لا يتعين عليك معرفة فروع علم التوحيد ودقايقه وان تجيب
على جميع مسايله نعم ان وردت عليك شبهة في اصول الدين تخاف ان تقدح
في اعتقادك فيتعين عليك حل تلك الشبهة بما امكن من الكلام المقنع واياك والمراءات
والمجادلة فانه داء محض لا دواء له فاحترز منه جهدك فان من ابتلي به لا يفلح الا
ان يتغمده الله برحمته ولطفه ثم اعلم انه لا بد وان يكون في كل قطر داع من دعاة اهل
المذهب يحل الشبهة ويرد على اهل البدع ويستقل بهذا العلم ويصفي قلوب
اهل الحق عن وساوس المبتدعة فقد سقط الفرض عمن سواه وكذلك لا يلزمك
من معرفة دقايق علم السر وجميع شرح عجايب القلب الا ما ينفسد عليك عبادتك وذلك
نحو ما يجب عليك معرفته لتجتنبه وما يلزمك فعله كالاخلاص والحمد والشكر والتوكل ونحو
ذلك فمعرفته لتؤديه واما ما سواه فلا وكذلك لا يلزمك معرفة ساير ابواب الفقه
من البيوع والاجارات والنكاح والطلاق والجنايات انما كل ذلك فرض
على الكفاية فان قلت هذا القدر من علم التوحيد هل يحصل للانسان من غير معلم
فاعلم ان الاستاذ فاتح ومسهل والتحصيل معه اسهل واروح والله تعالى بفضله يمن على
من يشاء من عباده فيكون هو معلمهم سبحانه وتعالى ثم اعلم ان هذه العقبة التي هي عقبة العلم
عقبة كؤود ولكن بها المطلوب والمقصود نفعها كثير وقطعها شديد وخطرها عظيم
كم من عدل عنها فضل وكم من سلكها فزل وكم من تاه فيها متحيرا وكم من حسير انقطع
متحيرا

وكم من سالك قطعها في مدة يسيرة وآخر متردد فيها سبعين سنة والامر كله
بيد الله سبحانه وتعالى انما نفعه فعلى ما ذكرناه من شدة حاجة العبد اليه وبناء العبادة كله
عليه لا سيما علم التوحيد وعلم السر فلقد روي ان الله اوحى الى داود عليه السلام
فقال يا داود تعلم العلم النافع قال الهي وما العلم النافع قال ان تعرف جلالي
وعظمتي وكبريائي وكمال قدرتي على كل شيء فهذا الذي يقربك الي وعن علي رضي الله عنه
انه قال ما يسرني ان لو مت طفلا فادخلت الجنة ولم اكبر فاعرف ربي
فان اعلم الناس بالله اشدهم خشية واكثرهم عبادة واحسنهم في الله سبحانه نصيحة
واما شرطه فانما هو ان تذل نفسك بالاخلاص في طلب العلم ولكن الطالب طالب
دراية لا طالب رواية واعلم ان الخطر عظيم لمن طلب العلم ليصرف به وجوه
الناس اليه ويجالس به الامراء ويباهي به النظراء ويتصيد به الحطام فهي تجارة
بائرة وصفقة خاسرة قال ابو يزيد البسطامي عملت في المجاهدة ثلثين سنة فما وجدت
شيئا اشد علي من العلم وخطره واياك ان يزين لك الشيطان ويقول اذا
كان قد ورد هذا الخطر العظيم في العلم فتركه اولى فلا تظنن ذلك ولقد روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اطلعت ليلة المعراج على النار فرايت اكثر اهلها الفقراء
قالوا يا رسول الله من المال قال لا من العلم فمن ترك تعلم العلم لا يتاتى له احكام العبادة
والقيام بحقوقها ولو ان رجلا عبد الله عبادة ملائكة السماء بغير علم كان من الخاسرين
فشمر في طلب العلم بالبحث والتفتيش والتدريس واجتنب الكسل والملال
والا فانت في خطر الضلال والعياذ بالله عز وجل ثم جملة الامر انك اذا نظرت
نحو دلائل صنع الله عز وجل وانعمت النظر علمت ان لك الها عالما قادرا حيا

مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حدوث الكلام والعلم والارادة مقدسا
عن كل نقص وآفة وانه لا يوصف بصفات المخلوقين ولا يجوز عليه ما يجوز على
المخلوقين لا يشبه شيئا من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه ولا تتضمنه الاماكن والجهات
ولا تحله الحوادث والآفات ونظرت في معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم واعلام نبوته فعلمت
انه رسول الله وامينه على وحيه وما كان السلف الصالح يعتقدونه من ان
الله تعالى يرى في الآخرة لانه موجود وليس في جهة محدودة وان القرآن كلام الله
غير مخلوق وليس بحروف متقطعة ولا اصوات اذ لو كان كذلك لكان من جملة
المخلوقات وانه لا يكون في الملك والملكوت فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء
الله وقدره وارادته ومشيئته فمنه الخير والشر والنفع والضر والايمان والكفر وانه لا واجب
على الله تعالى لاحد من خلقه من اثابه فبفضله ومن عاقبه فبعدله وما ورد على لسان
صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه من امور الآخرة كالحشر والنشر وعذاب
القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط فهذه اصول درج السلف الصالح رضوان
الله عليهم اجمعين على اعتقادها والتمسك بها ووقع عليها الاجماع قبل تنوع البدع وظهور
الاهواء ونعوذ بالله من الابتداع في الدين واتباع الهوى بغير دليل ثم نظرت في اعمال
القلب والموجب الباطنة والمناهي التي هي تاتي في هذا الكتاب ليحصل لك
علمها ثم تعرف جملة ما تحتاج اليه استعماله كالطهارة والصلوة والصوم وكذا فلقد اوتيت
فرض الله تعالى عليك الذي تعبدك به في باب العلم فلقد صرت من علماء امة محمد عليه السلام
الراسخين في العلم ان انت عملت بعلمك واقبلت على عمارة معادك كنت
عبدا عالما لله تعالى على بصيرة غير جاهل ولا مقلد ولا غافل لك الشرف العظيم

فاذا فعلت ذلك

ولك الغنيمة الكثيرة والثواب الجزيل وكنت قد قطعت هذه العقبة وخلفتها
وراءك وقضيت حقها باذن الله تعالى والله سبحانه مسئول ان يمدك وايانا
بحسن توفيقه وتيسيره انه ارحم الراحمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

العقبة الثانية وهي عقبة التوبة ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله
بالتوبة وذلك لامرين احدهما ليحصل لك توفيق الطاعة فان شوم الذنوب
يورث الحرمان ويعقب الخذلان وان قيد الذنوب يمنع عن المشي الى طاعة الله تعالى
والمسارعة الى خدمته وان ثقل الذنوب يمنع عن الخفة للخيرات والنشاط في الطاعات
وان الاصرار على الذنوب مما يسود القلوب فتجدها في ظلمة وقساوة ولا خلوص
فيها ولا صفاوة ولا لذة ولا حلاوة وان لم يرحم الله تعالى فستجر صاحبها الى الكفر
والشقاوة فيا عجبا كيف يوفق للطاعة من هو في شوم وقساوة وكيف
يدعى الى الخيرات والخدمة من هو مصر على المعصية والجفوة وكيف يقرب
للمناجات من هو متلطخ بالاقذار والنجاسات وفي الخبر عن الصادق المصدوق عليه السلام
انه قال اذا كذب العبد تنحى عنه الملكان من نتن ما يخرج من فيه فكيف يصلح
هذا اللسان لذكر الله تعالى عز وجل فلا جرم انه لا يكاد يجد المصر على العصيان توفيقا
ولا تخف اركانه لعبادة ربه وان اتفق فبكد لا حلاوة معه ولا صفوة وكل
ذلك بشوم الذنوب وترك التوبة ولقد صدق من قال اذا لم تقو على قيام
الليل وصيام النهار فاعلم انك محروم قد كبلتك خطيئتك فهذه هذه
والثاني من الامرين انما يلزمك التوبة لتقبل منك عبادتك فان رب الدين
لا يقبل الهدية وذلك ان التوبة عن المعاصي وارضاء الخصوم فرض لازم وعامة

العبادة التي تقصدها نفل فكيف تقبل منك تبرعك والدين عليك حال
لم تقضه وكيف تترك لاجله الحلال والمباح وانت مصر على فعل المحظور والحرام
وكيف تناجيه وتدعوه وتثني عليه وهو والعياذ بالله عليك غضبان فهذا
حال العصاة المصرين على المعصية والله المستعان فان قلت فما معنى التوبة
النصوح وحدها وما ينبغي للعبد ان يفعله حتى يخرج من الذنوب كلها فاقول اما التوبة
فانها اسم من مسائل القلب وهي عند التحصيل في قول العلماء رضي الله عنهم تنزيه القلب
عن الذنوب قال شيخنا في حد التوبة انه ترك اختيار ذنب سبق مثله عنه منزلة لا صورة
تعظيما لله وحذرا من سخطه فلها اذا اربعة شرائط احدها ترك اختيار الذنب وهو
ان يوطن قلبه ويجرد عزمه على انه لا يعود الى الذنب البتة فاما ان ترك الذنب
وفي نفسه انه ربما يعود اليه او لا يعزم على ذلك بل يتردد فانه ربما يقع له العود فانه
ممتنع عن الذنب غير تائب عنه والثاني ان يتوب عن ذنب قد سبق عنه مثله
اذ لو لم يسبق عنه مثله لكان متقيا غير تائب الا ترى انه يصح القول بان النبي عم
كان متقيا عن الكفر ولا يصح القول بانه كان تائبا عن الكفر اذ لم يسبق عنه كفر بحال
والثالث ان الذي سبق يكون مثل ما يترك اختياره في المنزلة والدرجة لا في الصورة
الا ترى ان الشيخ الهرم الفاني الذي قد سبق منه الزنا وقطع الطريق اذا اراد ان يتوب
عن ذلك يمكنه التوبة لا محالة اذ لم يغلق بابها عنه ولا يمكنه ترك اختيار الزنا وقطع
الطريق اذ هو لا يقدر الساعة على فعل ذلك فلا يقدر على تركه فلا يصح وصفه
بانه تارك له ممتنع عنه وهو عاجز عنه غير متمكن لكنه يقدر على ما هو مثل الزنا وقطع
الطريق في المنزلة والدرجة كالقذف والغيبة والنميمة اذ جميع ذلك معاص

[illegible]

وان كان الاثم يتفاوت في كل واحدة بقدرها لكن جميع هذه المعاصي الفرعية كلها بمنزلة
واحدة وهي دون منزلة البدعة ومنزلة البدعة دون الكفر فلذلك صح منه التوبة
عن الزنا وقطع الطريق وسائر ما مضى من الذنوب الذي هو عاجز عن امثالها اليوم
في الصورة والرابعة ان يكون ترك اختياره لذلك تعظيما لله عز وجل وحذرا من سخطه
واليم عقابه لا لغرض الرغبة دنيوية او رهبة من الناس او طلب ثناء او صيت
او ضعف في النفس او فقر او غير ذلك فهذه شرائط التوبة واركانها فاذا حصلت
واستكملت فهي توبة حقيقية صادقة واما مقدمات التوبة فثلث احدها ذكر
غاية قبح الذنوب والثانية ذكر شدة عقوبة الله عز وجل واليم سخطه وغضبه الذي
لا طاقة لك به والثالثة ذكر ضعفك وقلة حيلتك في ذلك فان من لا يحتمل
حر الشمس ولطمة شرطي وقرص نملة كيف يحتمل حر نار جهنم وضرب مقامع
الزبانية ولسع حيات كاعناق البخت وعقارب كالبغال خلقت من النار
في دار الغضب والبوار نعوذ بالله من سخطه وعذابه فاذا واظبت على هذه
الاذكار وعاودتها اناء الليل والنهار فانها ستحملك على التوبة النصوح من الذنوب
والله الموفق بفضله فان قيل اليس قد قال صلى الله عليه وسلم الندم توبة ولم يذكر مما ذكرتم
من شرائطها شيئا يقال له اعلم اولا ان الندم غير مقدور للعبد
الا ترى انه يقع الندامة عن امور في قلبه وهو ان لا يكون ذلك والتوبة مقدورة
للعبد مأمور بها ثم انا قد علمنا انه لو ندم من الذنوب لما ذهب لاجل حاجة في
الناس او ماله في النفقة فيها فان ذلك لا يكون توبة بلا ريب فعلمت بذلك
ان في الخبر معنى لم تفهمه من ظاهره وهو ان الندم لتعظيم الله سبحانه وتعالى وخوف عقابه

مما يبعث على التوبة النصوح فان ذلك من صفات التائبين وحالهم فانه اذا ذكر
الاذكار الثلثة التي هي مقدمات التوبة يندم وتحمله الندامة على ترك اختيار الذنب
وتبقى ندامته وقلبه في المستقبل فتحمله على الابتهال والتضرع فلما كان ذلك من اسباب
التوبة وصفات التائب سماه باسم التوبة فافهم ذلك موفقا ان شاء الله تعالى فان قلت
كيف يمكن الانسان ان يصير بحيث ان لا يقع منه ذنب البتة من صغير او كبير
كيف والانبياء صلوات الله عليهم الذين هم اشرف خلق الله تعالى قد اختلف
اهل العلم هل نالوا هذه الدرجة ام لا فاعلم ان هذه امر يمكن غير مستحيل والله يختص
برحمته من يشاء ثم من شرط التوبة ان لا تستقيم ذنبا فاما ان وقع منه سهوا او خطأ
فهو معفو عنه بفضل الله تعالى وهذا يتبين على من وفقه الله سبحانه فان قلت انا نتيقن
من التوبة اني اعلم من نفسي اني اعود الى الذنب ولا اثبت على التوبة
فلا فائدة في ذلك فاعلم ان هذا من غرور الشيطان ومن اين لك هذا العلم
فعسى ان تموت تائبا قبل ان تعود الى الذنب واما الخوف من العود فعليك
العزم والصدق في ذلك وعليه الاتمام فان اتم فذاك من فضله وان لم تتم فقد غفرت
ذنوبك السالفة كلها وتخلصت منها وتطهرت وليس عليك الا هذا الحدث اي الذنب الذي عليه
الذي احدثته الان وهذا هو الربح العظيم والفائدة الكبيرة ولا يمنعك خوف العود عن التوبة
فانك من التوبة ابدا بين احدى الحسنيين والله ولي التوفيق والهداية بفضله
واما الخروج من الذنوب والتخلص منها فاعلم ان الذنوب في الجملة ثلاثة اقسام
احدها ترك واجبات الله تعالى عليك من صلوة او صوم او زكوة او كفارة او غيرها
فتقضي ما امكنك منها الان وذنب بينك وبين الله تعالى كشرب الخمر وضرب

المزامير واكل الربا ونحو ذلك فتندم على ذلك وتوطن قلبك على ترك العود
الى مثلها ابدا الثالث ذنوب بينك وبين العباد وهذا اشكل واصعب وهي
اقسام قد تكون في المال وفي النفس وفي العرض وفي الحرمة وفي الدين فما كان
من المال يجب عليك ان ترده عليه ان امكنك فان عجزت عن ذلك
لعدم وفقر فتستحل منه فان عجزت عن ذلك لغيبة الرجل او موته وامكن التصدق
عنه فافعل وان لم يكن فعليك بتكثير حسناتك والرجوع الى الله تعالى سبحانه بالتضرع
والابتهال ان يرضيه عنك يوم القيمة واما ما كان في النفس فتمكنه من القصاص
او اوليائه حتى يقتص منك او يجعلك في حل وان عجزت فالرجوع الى الله تعالى
والابتهال اليه ان يرضيه عنك يوم القيمة واما العرض فان اغتبته او بهته
او شتمته فحقك ان تكذب نفسك بين يدي من فعلت ذلك عنده
وان تستحل من صاحبه ان امكنك هذا ان لم تخش زيادة غيظ او هيج
فتنة في اظهار ذلك او تجديده فان خشيت ذلك فالرجوع الى الله تعالى ان يرضيه
عنك ويجعل له خيرا كثيرا في مقابلته والاستغفار الكثير لصاحبه واما الحرمة بان خنته
باهله وولده ونحوه فلا وجه للاستحلال والاظهار فانه يولد فتنة وغيظا بل
تتضرع الى الله تعالى سبحانه ليرضيه عنك ويجعل له خيرا كثيرا في مقابلته فان امنت
الفتنة والهيج وهو نادر فتستحل منه واما في الدين بان كفرته او بدعته او ضللته
فهو اصعب الامر فتحتاج الى تكذيب نفسك بين يدي من قلت ذلك له
وان تستحل من صاحبك ان امكنك والا فالابتهال الى الله سبحانه جدا والندم
على ذلك ليرضيه عنك وجملة الامر فما امكنك من ارضاء الخصوم عملت وما لم يمكنك

رجعت الى الله سبحانه بالتضرع والصدق ليرضيه عنك فيكون ذلك في مشية
الله سبحانه يوم القيمة والرجاء منه بفضله العظيم واحسانه العميم انه اذا علم الصدق
من قلب العبد فانه يرضي خصماءه من خزانة فضله ولا حكم فاعلم هذه حقا واشهد
فهذه هذه فاذا انت عملت ما وصفناه وبرأت القلب عن اختيار مثله في المستقبل
فقد خرجت عن الذنوب كلها وان حصلت منك تبرئة القلب ولم يحصل منك قضاء
الفوائت وارضاء الخصوم فالتبعات لازمة وساير الذنوب مغفورة ولهذا الباب
شرح طويل فلا يحتمله هذا المختصر وانظر كتاب التوبة من كتب احياء علوم الدين
اولا وكتاب القربة الى الله ثانيا وكتاب الغاية القصوى ثالثا تجد فوايد كثيرة وراء ما
جما والذي ذكرناه هنا هو الاصل الذي لا بد منه **فصل** ثم اعلم
يقينا ان هذه العقبة عقبة صعبة امرها مهم وخطرها عظيم ولقد بلغنا عن الاستاذ
ابي اسحق الاسفرايني وكان انه قال دعوت الله سبحانه ثلثين سنة ان يرزقني توبة
نصوحا ثم تعجبت في نفسي وقلت سبحان الله حاجة دعوت الله سبحانه فيها ثلثين
سنة فما قضيت الى الآن فرأيت فيما يرى النائم كأن قائلا يقول لي اتعجب
من ذلك اتدري ماذا تسئل الله انما تسئل الله ان يحبك اما سمعت قول
الله جل جلاله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ابهذه حاجة هينة فالنظر
الى هؤلاء الائمة واهتمامهم ومواظبتهم على اصلاح قلوبهم والتزود لمعادهم واما القرار
المخوف فان اول الذنب قسوة واخره والعياذ بالله شوم وشقوة فاياك
ان تنسى امر ابليس وبلعم بن باعورا كان منه اول امرهما ذنبا واخره كفرا فهلكا
مع الهالكين ابد الابدين فعليك بالتيقظ والجهد عسى ان تنزع عن قلبك عرق

هذه الاصرار وتخلص رقبتك من هذه الاوزار ولا تأس فسادة القلب
من الذنوب وتأمل حالك ولقد قال بعض الصالحين ان سواد القلب من
الذنوب وعلامة سواد القلب ان لا تجد للذنوب مفزعا ولا مرتعا ولا للطاعة
منجعا ولا تستحقرن الذنوب فتحسب نفسك تائبا وانت مصر على الكبائر فلقد
بلغنا عن كهمس بن الحسن انه قال اذنبت ذنبا انا ابكي عليه منذ اربعين سنة
قيل ما هو يا ابا عبد الله قال زارني اخ لي في الله فاشتريت له سمكا فاكل ثم
قمت الى حائط جاري فاخذت منه قطعة طين فغسل بها يده فانفش
نفسك وحاسبها وسارع الى التوبة وبادر فان الاجل مكتوم والدنيا غرور
وتضرع الى الله سبحانه وابتهل واذكر حال ابينا آدم صلى الله عليه وسلم الذي خلق الله سبحانه
بيده وحمله الى جنته على اعناق الملائكة لم يذنب الا ذنبا واحدا فنزل به ما نزل حتى
نودي ان السلام قال له يا آدم اي جار كنت لك قال نعم الجار يا رب قال يا آدم
اخرج من جواري وضع عن راسك تاج كرامتي فانه لا يجاورني من عصاني فانه
فيما روي بكى على ذنبه مائتي سنة حتى قبل توبته وغفر ذنبه الواحد هذا حاله مع صفيه
في ذنب واحد فكيف حال الغير في ذنوب لا تحصى وهذا تضرع التائب وابتهاله فكيف
بالمصر المتعسف ولقد احسن من قال يخاف على نفسه من يتوب ** فكيف
ترى حال من لا يتوب ** وان تبت ثم نقضت التوبة وعدت الى الذنب ثانيا
فعد الى التوبة مبادرا وقل لنفسك لعلي اموت قبل ان اعود الى الذنب
هذه المرة وكذلك ثانيا وثالثا ورابعا وكما اتخذت الذنب والعود اليه حرفة
فاتخذ التوبة والعود اليها حرفة ولا تكن في التوبة اعجز منك في الذنب

ولا تيأس ولا يمنعك الشيطان من التوبة بسبب ذلك فانه [illegible]
اما تسمع قوله صلى الله عليه وسلم خياركم كل مفتن تواب اي كثير الابتلاء بالذنب كثير التوبة منه
والرجوع الى الله جل جلاله بالندامة والاستغفار وتذكر قوله سبحانه ومن يعمل سوءا
او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما فهذه هذه

فصل

وجملة الامر انك اذا ابتدأت ببراءة قلبك عن الذنوب كلها ان توطن قلبك
على ان لا تعود الى الذنب ابدا البتة لكن ما كان منك على وجه علم الله سبحانه ونيتك
صدق عزمك من قلب نقي وتقضي المقصود بالكلية وتقضي الفوائت
بالقدر عليه وترجع في الباقي الى الله سبحانه وتقوم بالابتهال والتضرع ليكفيك ذلك
ثم تذهب فتغتسل وتغسل ثيابك وتصلي اربع ركعات كما يجب وتضع جبهتك
على الارض في مكان خال لا يراك فيها احد الا الله ثم تجعل التراب على رأسك
وتمرغ وجهك الذي هو اعظم اعضائك في التراب بدمع جار وقلب حزين
وصوت عال تذكر ذنوبك واحدا واحدا ما امكنك وتلوم نفسك العاصية عليها
وتوبخها وتقول اما تستحيي يا نفس اما آن لك ان تتوبي الك طاقة بعذاب
الله سبحانه الك حاجة بسخط الله سبحانه وتذكر من هذا الكثير وتبكي وترفع يديك
الى الرب الرحيم سبحانه وتقول الهي عبدك الآبق رجع الى بابك عبدك العاصي
رجع الى الصلح عبدك المذنب اتاك بالعذر فاعف عني بجودك وتقبلني بفضلك
وانظر الي برحمتك اللهم اغفر لي ما سلف من الذنوب واعصمني فيما بقي من الاجل
فان الخير كله بيدك وانت بنا رؤوف رحيم ثم تقرأ دعاء الشدة وهو يا مجلي
عظائم الامور يا منتهى همة المهمومين يا من اذا اراد امرا فانما يقول له كن فيكون

احاطت بنا ذنوبنا انت المذخور لها يا مذخورا لكل شدة كنت أذخرك
لهذه الساعة فتب علي انك انت التواب الرحيم ثم اكثر من البكاء والتذلل
وقل يا من لا يشغله سمع عن سمع يا من لا تغلطه المسائل يا من لا يبرمه الحاح
الملحين اذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك برحمتك يا ارحم الراحمين
انك على كل شيء قدير ثم تصلي على النبي صلعم وآله ثم تستغفر للمسلمين والمسلمات
والمؤمنين والمؤمنات ثم ترجع الى طاعة الله عز وجل فتكون قد تبت توبة نصوحا
وقد خرجت عن الذنوب طاهرا كيوم ولدتك امك واحبك الله سبحانه
ولك من الاجر والثواب وعليك من البركة والرحمة ما لا يحيط به وصف واصف
وحصل لك الامن والخلاص وخرجت من غصة المعاصي وبليتها في الدنيا والآخرة
وكنت قد قطعت هذه العقبة باذن الله سبحانه وتعالى والله ولي التوفيق بمنه وفضله

العقبة الثالثة وهي عقبة العوائق ثم عليك يا طالب العبادة
وفقك الله بدفع العوائق حتى تستقيم عبادتك وقد ذكرنا انها اربعة احدها
الدنيا ودفعها انما هو بالتجرد عنها والزهد فيها وانما لزمك هذا التجرد والزهد
لامرين احدهما لتستقيم العبادة وتكثر فان الرغبة في الدنيا تشغلك اما ظاهرك
بالطلب واما باطنك بالارادة وحديث النفس وكلاهما يمنعان عن العبادة
فان النفس واحدة والقلب واحد فاذا اشتغل بشيء انقطع عن ضده وان شئت قل
الدنيا والآخرة كمثل الضرتين ان ارضيت احدهما اسخطت الاخرى وانهما
كمثل رجل بين ضرتين
كالمشرق والمغرب بقدر ما تقرب الى احدهما ابعدت عن الآخر واما شغلها الظاهر
فقد روينا عن ابي الدرداء رض انه قال حاولت ان اجمع بين العبادة

والتجارة

والتجارة فلم تجتمعا فاقبلت على العبادة وتركت التجارة واما شغلها القلب
وهو الباطن فلمكان الارادة فما روي عن النبي عم انه قال من احب دنياه
اضر باخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى فبان لك
انه اذا اشتغل ظاهرك بالدنيا وباطنك بارادتها فلا تتهيأ لك العبادة
حقا واما اذا زهدت فيها فرغت بظاهرك وباطنك تتهيأ لك العبادة
بل تعاونك اعضاؤك ولقد روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه
انه قال ان العبد اذا زهد في الدنيا استنار قلبه بالحكمة وتعاونت اعضاؤه
في العبادة فهذه هذه والثاني من الامرين انه يكثر قيمة عملك ويعظم قدره
وشرفه ولقد قال صلعم ركعتان من رجل زاهد قلبه خير واحب الى الله تعالى
من عبادة المتعبدين الى آخر الدهر ابدا سرمدا فاذا كانت العبادة تكثر وتشرف
بالزهد فحق لمن طلب العبادة ان يزهد في الدنيا ويتجرد عنها فان طلب
فما معنى الزهد في الدنيا وحقيقة ذلك فاعلم ان الزهد عند علمائنا رحمهم الله
زهدان زهد مقدور للعبد وزهد غير مقدور فالذي هو مقدور للعبد ثلثة اشياء
ترك طلب المفقود من الدنيا وتفريق المجموع منها وترك ارادتها واختيارها
واما الزهد الذي هو غير مقدور للعبد برودة الشيء على قلب الزاهد ثم الزهد الذي
هو مقدور للعبد مقدمات للزهد الذي هو غير مقدور فاذا اتى به العبد بان لا يطلب
ما ليس عنده من الدنيا ويفرق ما عنده منها وترك بالقلب ارادتها واختيارها
لا فانها او ورثه ذلك برودة الدنيا على قلبه لاجل الله وعظيم ثوابه وهذا
عنده هو الزهد المقيم ثم اعلم ان اصعب الامور الثلثة انما هو ترك الارادة بالقلب

اذكم تارك لها بظاهره محب لها بباطنه فهو في مكافحة ومقاسات
في نفسه شديدة ويأتي ان كله في هذه الم التسع قول الله سبحانه عز من قايل
تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا
علق الحكم على نفي الارادة دون الطلب والفعل للمراد فقوله من كان
يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها
وما له في الآخرة من نصيب وقوله من كان يريد العاجلة الآية وقوله ومن
اراد الآخرة الآية اما ترى الاشارة كلها الى الارادة فامرها المهم اذ لكل
العبد اذا واظب واستقام على الاولين اعني الترك والتوفيق فما اول
من فضل الله سبحانه ان يوفقه لرفع هذه الارادة والاختيار عن قلبه فانه
المتفضل الكريم جل وعز ثم الذي يبعث على الترك والتوفيق ويهون عليك
ذلك تذكر آفات الدنيا وعيوبها وقد اكثر الناس القول في ذلك فمنه قول
بعضهم تركت الدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها
قال الشيخ الامام الكرخي من هذا رايحة الرغبة لان من شكا فراق احب وصاله
ومن ترك شيئا لمكان الشركاء فيه اخذه او انفرد به فالقول الرابح فيها قال
شيخنا رحمه الله ان الدنيا عدوة الله وانت محبه ومن احب احدا
ابغض عدوه قال ولانها في اصلها ونحة جيفة الا ترى آخرها الى القذر
والفساد والتلاشي والاضمحلال لكنها جيفة ضمخت بطيب وطليت
بزينة فاغتر بظاهرها الغافلون وزهد فيها العاقلون فان قيل
فما حكم الزهد في الدنيا اهو فرض ام نفل فاعلم ان الزهد يقع عندنا في الحلال

والحرام فتوقي الحرام فرض وفي الحلال نفل ثم منزلة هذه الحرام المستقيمي الطاعة
بمنزلة الميتة المستقذرة لا يقدم عليها الا عند الضرورة بقدر دفع الضرر
واما الزهد في الحلال فانما يكون في منزلة الابدال يكون عندهم الحلال بمنزلة الميتة
لا يتناولون منها الا قدر ما لا بد منه والحرام عندهم بمنزلة النار لا يخطر ببالهم قصد تناولها
بحال وهذا اصعب البرودة على القلب بان تنقطع همته عنها ويستقذرها ويستكرهها
جدا فلا يبقى لها في قلبه اختيار ولا ارادة فان قيل كيف يمكن ان يصير الدنيا
في شهواتها ولذاتها البهجة المطلوبة عند انسان بمنزلة النار او بمنزلة الجيفة المستخبثة
والمنتنة بنتنها والطبع طبعها فاعلم ان من دقق النظر الخالص وعلم انها
وتقذرها في اصلها فيقر عنه ذلك وانما يتعجب من هذا الاعمى عن العيان في
عيب الدنيا وآفتها المغترون بظاهرها وزينتها وسأضرب لك مثلا لذلك
فاعلم ان هذا مثل بانسان صنع خبيصا وخبيصها بشرايطها من السكر وغيره ثم
طرح فيه قطعة سم قاتل وابصر ذلك رجل ولم يبصره الآخر ووضع الخبيص
بين ايديهما مزينا مزوقا فالرجل الذي ابصر ما جعل فيه من السم يكون زاهدا في
ذلك الخبيص لا يخطر بباله ان يتناول منه بحال البتة ويكون ذلك عنده بمنزلة
النار بل اصعب لمكان ما يعلم من آفته ولا يغتر بظاهره وزينته واما الرجل
الآخر الذي لم يبصر ما جعل فيه اغتر بظاهره المزخرف وحرص عليه ولم يبصر عنه
واخذ يتعجب من صاحبه الزاهد فيه وبما يستقذره في ذلك فهذا مثل حرام الدنيا
مع البصير المستبصر والجاهل الراغب واما حلال الدنيا فكان لم يطرح فيه
السم ولكن فيه او اختلط ثم نتجه وزينه فالرجل الذي شاهده منه ذلك التنغيص

يكون مستعبدا لذلك الخسيس نافرا عنه لا يكاد يتقدم عليه الا عند الضرورة
وشدة الحاجة اليه والذي لم يشاهد ذلك فهو جاهل بما فيه مغتر فيه بظاهره
حريص عليه كمحب حب وهذا مثل حال الدنيا مع الموفقين اهل
البصيرة والاستقامة واهل الرغبة والغفلة وانما اختلف حال الرجلين مع
تساويهما في الطبع والبنية لبصارة وعلم كان لاحدهما وجهل وغرارة كان للآخر
فلو علم الراغب ما علم الزاهد لكان زاهدا مثله ولو جهل الزاهد وعمي
عما عمي عنه الراغب كان راغبا مثله فعلمت بذلك ان هذا التمييز مكانه في البصارة
دون الطباع وهذا اصل مفيد وكلام بيّن يسعد بمعرفته من عقل وانصف
والله تعالى ولي الهداية والتوفيق بفضله فان قيل فلابد لنا من قدر من الدنيا ليكون
قواما لنا فكيف نزهد فيها فاعلم ان الزهد في الفضول مما لا يحتاج اليه في قوام
البنية فالمقصود القوام والقوة على عبادة الله سبحانه لا الاكل والشرب والتلذذ
والله تعالى ان شاء اقامها بشيء وسبب وان شاء اقامها بغير سبب كما للملائكة
ثم ان كان بشيء ان شاء بشيء حاصل عندك او بطلبك وكسبك وان شاء
بشيء غيره يسببه لك من حيث لا تحتسب من غير طلب منك وكسب كما قال الله تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فاذا لا يحتاج في حال الى
طلب وارادة فان لم تقدر على ذلك فطلبت واردت فانوِ بذلك
القوة على عبادة الله سبحانه دون الشهوة واللذة فانك اذا نويت ذلك
كان الطلب والارادة منك خيرا وطلبا للآخرة بالحقيقة لا للدنيا ولا يضيع
في زهدك وجودك فاعلم هذه الجملة راشدا وبالله التوفيق العائق الثاني

الخلق

الخلق ثم عليك وفقك الله وايانا للطاعة بالتفرد عن الخلق وذلك لامرين
احدهما انهم يشغلونك عن عبادة الله تعالى على ما حكي عن بعضهم انه قال مررت
بجماعة يترامون وواحد جالس بعيدا عنهم فاردت ان اكلمه فقال لي ذكر الله
اشهى الي من كلامك فقلت انت وحدك فقال لي معي ربي وملكاي
فقلت من سبق من هؤلاء فقال من غفر الله له فقلت اين الطريق فاشار بيده
الى السماء وقام وتركني فالخلق اذا يشغلونك عن العبادة بل يمنعونك منها
بل يوقعونك في الشر والهلاك على ما قال حاتم الاصم رحمه الله طلبت من هذا
الخلق خمسة اشياء فلم اجدها طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا فقلت
اعينوني عليهما ان لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت ارضوا مني ان فعلت فلم يفعلوا
فقلت لا تمنعوني عنها اذا لم تفعلوا فقلت لا تدعوني الى ما لا يرضي الله العظيم
ولا تعادوني عليها ان لم اتابعكم فلم يفعلوا فتركتهم واشتغلت بخاصة نفسي
ثم اعلم ايها الاخ في الدين ان نبيك محمدا صلى الله عليه وسلم وصف زمان العزلة
وبين صفته وبعث اهله وامرهم فيه بالتفرد وكان لا محالة اعلم بالصلاح والنصح
لنا منا لانفسنا فان وجدت زمانك على ما وصف وبيّن فاقبل امره
واقبل نصيحته ولا تشك في انه صلى الله عليه وسلم كان اعرف بما يصلح لك في زمانك
ولا تشتغل بالعلل الكاذبة ولا تخادع نفسك والا فانت هالك ولا عذر
لك والوصف الذي ذكرناه منها ما هو في الخبر المشهور عن عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنه انه قال بينا نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ذكر الفتنة فقال اذا
رايتم الناس قد مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين
اصابعه

اصابه قلت ما النجاة يا رسول الله عند ذلك جعلني الله فداك قال
الزم بيتك وامْلِك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر
وعليك بامر الخاصة ودع عنك امر العامة وذكر في خبر آخر انه صلعم قال ذلك
ايام الهرج قيل وما ايام الهرج قال حين لا يأمن الرجل جليسه وذكر ابن
مسعود في خبر آخر للحارث بن عميرة انه قال له ان يفسح عن عمرك فسياتي
عليك زمان كثير خطباؤه قليل علماؤه كثير سؤاله قليل معطوه الهوى فيه
قائد العلم قال ومتى ذلك قال اذا اميتت الصلوة وقلبت الرشا وبياع
الدين بعرض يسير من الدنيا فالنجا ويحك ثم النجاة قلت وجميع ما ذكر في هذه
الاخبار تراه بعينيك في زمانك واهله فانظر لنفسك ثم ان السلف الصالح
رضوان الله عليهم اجمعين اجمعوا على التحذير من زمانهم واهله وآثروا العزلة وامروا بذلك
وتواصوا بها ولا شك انهم كانوا ابصر وانصح وان الزمان لم يزد بعدهم خيرا مما كان
بل اشر واضر وهو ما ذكر عن يوسف بن اسباط انه قال سمعت الثوري يقول
والله الذي لا اله الا هو لقد حلت العزلة في هذا الزمان قلت انا ولئن حلت
في زمانه فقد في زماننا هذا وجبت وافترضت وعن سفيان الثوري ايضا انه كتب
الى عباد الخواص رحمهما الله اما بعد فانك في زمان كان اصحاب محمد صلعم يتعوذون
بالله من ان يدركوه فيما بلغنا ولهم العلم ما ليس لنا فكيف بنا حين ادركناه
على قلة علم وقلة صبر وقلة اعوان على الخير وكدر من الدنيا وفساد من الناس فان
عمر بن الخطاب قال في العزلة راحة من الخلطاء السوء وفي مثل هذا قبل هذا الزمان
الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود ⁖ اعمى اصم من الازمان كتبنى

فيه لابليس تقريب وتصعيد ⁖ ان دام هذا ولم يحدث له غير ⁖ لم يبك
ميت ولم يفرح بمولود ⁖ ولقد وجدت عن سفيان بن عيينة رحمه الله انه
قال قلت للثوري اوصني قال اقلل من معرفة الناس قلت يرحمك الله
اليس قد جاء في الخبر اكثروا من معرفة الناس فان لكل مؤمن شفاعة قال لا احسبك
رايت قط ما تكره الا ممن تعرف قلت اجل ثم مات فرايته بعد موته في
المنام فقلت يا ابا عبد الله اوصني قال اقلل من معرفة الناس ما استطعت
فان التخلص منهم شديد وقد قيل في معنى هذه الخبر نظما ⁖ وما زلت مذ لاح المشيب
بمفرقي ⁖ افتش من هذا الورى واكشف ⁖ فما ان عرفت الناس
الا ذممتهم ⁖ جزى الله خيرا كل من لست اعرف ⁖ وقال الفضيل رحمه الله
هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف
ودع ما تنكره وقال الثوري رحمه الله قال ضم من الدنيا واجعل قطب الاخرة
وفر من الناس فرارك من الاسد وعن ابي عبيد ما رايت حكيما قط الا قال
لي عقيب كلامه ان احببت ان لا تعرف فانت من الله عز وجل بحال
والاخبار في هذا الباب اكثر من ان تحمله هذا الكتاب وقد صنفنا كتابا مفردا و
سميناه كتاب اخلاق الابرار والنجاة من الاشرار فعقب عليه ترى العجب
العجاب وللعاقل اشارة والله ولي التوفيق والهداية بفضله **واما الخصلة الثانية**
التي تقتضي التفرد عن الناس في هذا الشان ان الناس يصدون عليك بالحيل
لك من العبادة ان لم يعصم الله سبحانه بسبب ما يعرض من قبلهم من دواعي الرياء
والتزين ولقد صدق يحيى بن معاذ رحمه الله حيث قال رؤية الناس بساط الريا

وهولاء الزهاد قد خافوا على انفسهم من هذه المحن حتى تركوا الملاقات والتزاور بينهم
ولقد ذكر ان هرم بن حيان قال لاويس القرني رحمهما الله يا اويس
صلنا بالزيارة واللقاء فقال اويس قد وصلتك بما هو انفع لك منهما وهو
الدعاء على ظهر الغيب لان الزيارة واللقاء يعرض فيهما التزين والرياء وقيل
لسليمان الخواص قدم ابراهيم بن ادهم الا تاتيه فقال لان القى شيطانا
ماردا احب الي من لقائه فاستنكروا ذلك من قوله فقال اني اذا لقيته خفت
ان اتزين له فاذا لقيت الشيطان امتنعت منه ولقد لقي شيخ الامام بعض العارفين
فقد اكرمتك ثم دعيا ان اوحدهما وقال الشيخ للعارف وما اظنني جلست
مجلسا انا فيه ارجى من مجلسي هذا فقد قال له العارف لكني ما جلست مجلسا
انا اخوف من مجلسي هذا اليست تعمد الى احسن علومك وحديثك فتحدثني
بها وتظهرها بين يدي وانا كذلك فقد وقع الرياء فبكى الشيخ الامام بكاء حتى غشي عليه
وكان بعد ذلك يتمثل بهذه الابيات ❊ يا ويلنا من موقف ما به
اخوف من ان يعدل الحاكم ❊ ابارز الله بعصيانه ❊ وليس لي من دونه راحم
يا رب عفوا منك عن مذنب ❊ اسرف الا انه نادم ❊ فهذه حال اهل الزهد
والرياضة في ملاقاتهم فكيف حال اهل الرغبة والبطالة بل حال اهل الشر و
الجهالة واعلم ان الزمان قد اصبح في فساد عظيم واصبح الناس في شر كبير فانهم
يشغلونك عن عبادة الله تعالى حتى لا يكاد يحصل لك منها شيء ثم يفسدون عليك
ما حصل لك حتى لا يكاد يسلم لك شيء فلا تترك العزلة والتفرد عن الناس والاستعانة
بالله عز وجل من شر هذا الزمان واهله والله تعالى الحافظ بفضله ورحمته فاذا قيل

فما حكم العزلة والتفرد عن الناس فبين لنا حال طبقات الخلق فيها والذي
يجب منها فاعلم رحمك الله وايانا ان الناس في هذا الباب رجلان رجل
لا حاجة للخلق اليه في علم وبيان حكم فالاولى بهذا الرجل التفرد عن الناس فلا
يخرج الا لحضور جمعة او جماعة او عيد او حج او مجلس علم بالسنة او حاجة في معيشة
لا بد له من ذلك والا فيداري نفسه ويلزم بيته كيلا يعرف ولا يعرف فاما الذي
احب لهذا الرجل ان ينقطع عن الناس فلا يخرج الا في امر من الامور البتة من دين
ودنيا وجماعة وجمعة وغيرها لما يراه في ذلك من مصلحة وفراغه فانه لا يسعه ذلك
الا باحد الامرين اما ان يصير الى موضع لا يلزمه هناك هذه الفروض كرؤس الجبال
وبطون الاودية ونحوها ولعل هذا احد الوجوه التي دعت العباد الى تلك المواضع
البعيدة عن الناس وربما ان يتيقن بالحقيقة ان الضرر الذي يلحقه في مخالطة الناس
بسبب هذه الفروض اعظم من تركها فحينئذ يكون له عذر في ذلك ولقد رايت
انا بمكة حرسها الله بعض المشايخ المتفردين من اهل العلم وهو لا يحضر المسجد الحرام في الجماعات
مع قربه منه وسلامة حاله فجاريته في ذلك يوما في حال ترددي اليه فذكر من عذره
ما اشرنا اليه وهو ان ما يجده من الثواب لا يفي بما يلحقه من الاثام والتبعات اي حقوق الناس
في الخروج الى المسجد ولقاء الناس قلت انا وجملة الامر فلا عتب على المعذور
والله تعالى اولى بالعذر وهو عليم بذات الصدور ولكن طريق العدل فيه هو
الاول بان يشارك الناس في الجمعة والجماعات وضروب الخيرات ويباينهم
فيما سوى ذلك فان احب الطريق الثاني بان ينقطع عن الناس مرة فسبيله ان يخرج
الى موضع لا يتوجه عليه هذه الفروض ثم لان الطريق الثالث ان يخرج الناس في الحضر

واحد لا يحفر حرمة ولا حاجة لعذر يراه في ذلك من وزر او شفقة عليه فانه يحتاج
الى نظر دقيق وعوارض عظيمة حتى يسقط عنه ذلك وفيه خطر من الغلط فالاولى
اسلم واحفظ اليه واسعد الى الرفق والهداية بفضله واما الرجل الثاني فرجل يمكن
قدوة في العلم بحيث يحتاج الناس اليه في امر دينهم لبيان حق او رد على مبتدع او
دعوة الى خير يفعل او بقول او نحو ذلك فلا يسع مثل هذا الرجل الاعتزال عن الناس
بل يجب نفسه بينهم ناصحا لخلق الله تعالى وانابة قمع الذين الله تعالى يبينها لاحكام الله سبحانه
فلقد روينا عن رسول الله صلعم انه قال اذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله
هذا اذا كان بينهم واذا خرج من بينهم فلا يجوز له ذلك الخ ولقد حكي ان الاستاذ
ابا بكر بن فورك رحمه الله قصد ان ينفرد للعبادة الله تعالى عن الخلق فبينا هو في
اي اول زمان
بعض الجبال اذ سمع صوتا ينادي يا ابا بكر اذ صرت من حجج الله تعالى على خلقه تركت
عباد الله فرجع وكان هذا السبب رجوعه وصحبته للخلق وذكر لي ما نقول بل احمد
ان الاستاد ابا اسحق رحمه الله قال لعباد جبل لبنان يا اكلة الحشيش تركتم
امة محمد صلعم في ايدي المبتدعة واشتغلتم هنا باكل الحشيش فقالوا انا لا نقوى
على صحبة الخلق وانما اعطاك الله عز وجل قوة فيلزمك ذلك فصنف بعد ذلك
كتاب الجامع الجلي والخفي وكان لهم رضي الله عنهم مع غزارة في علوم العمل الجم والنظر
الدقيق في سلوك طريق الاخرة واعلم ان مثل هذا الرجل المحتاج اليه في باب
الدين يحتاج في صحبة الخلق الى امرين شديدين احدهما صبر طويل وحلم عظيم ونظر
لطيف والاستعانة بالله دائمة والثاني ان يجتنب في هذا المعنى منفردا عنهم والا كان
ما يشخص منهم فان كلموه كلمهم فان زاروه عظمهم على قدرهم وشكرهم وان

سكتوا

سكتوا عنه واعرضوا عنه اغتنم ذلك منهم وان كانوا في حق وخير ساعدهم
وان صاروا الى لغو وشر خالفهم وما جرهم بل رد عليهم وزجرهم ان رجا قبولهم
ثم يقوم بجميع حقوقهم من الزيارات والعيادات وقضاء الحاجات التي ترفع
اليه ما امكنه ولا يطالبهم بالمكافات ولا يرجو ذلك منهم ولا يريهم من نفسه استيحاشا
لذلك ويباسطهم بالبذل اذا قدر وينقبض منهم في الاخذ ان اعطي ويحمل
منهم الاذى ويظهر لهم البشرى ويتحمل لهم بظاهره ويكتم حاجاته عنهم فيتكلف شيئا
ويعاملهم في سره باطنه ثم يحتاج مع ذلك الى ان يفرغ لنفسه خاصة فيجعل لها حظا
من العبادة الى الصبح كما قال بعض من الصحابة ان نمت الليل لاضيعن نفسي
وان نمت النهار لاضيعن الرعية فكيف لي بالنوم بين هاتين وفي هذا المعنى
عرض لي ابيات من الشعر وهي هذه ∴ فان كنت في هدي الاله راغبا
فوطن على ان تكتسب الوقائع ∴ بنفس وقور عند كل كريهة
وقلب صبور وهو في الصدر قانع ∴ لسانك مخزون وطرفك نائم
وسرك مكتوم لدى الرب ذائع ∴ وذكرك مشهور وبابك مغلق
وثغرك بسام وبطنك جائع ∴ وقلبك مجروح وسوقك كاسد
وفضلك مدفون وطبعك شائع ∴ وفي كل يوم انت جارع غصة
من الدهر والاخوان والقلب طائع ∴ نهارك شغل الناس من عز منة
وليلك شوق غاب عنه الطلائع ∴ فذلك هذا الليل خذه ذريعة ليوم
عبوس ... الذي اديع ∴ نعم فالتمس منهم والتقبل التجدد منهم
وذلك يجري امر شديد وعيش نكد ومنه يقول شيخنا في وصيته يا بني

عش مع اهل زمانك ولا تنفرد بهم ثم قال ما اشد هذا العيش مع الاحياء
والانفراد بالاموات وعن ابن مسعود رضي الله عنه خالطوا الناس وزايلهم [اي باعدهم]
ودينك لا تكلمنه فهذه نكتة مشبعة ثم اقول اذا رايت الفتن يموج بعضها في بعض
وتراجع الامر وولى الناس عن امر الدين مدبرين لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة
عالما ولا يرعون متقيا ولا يعنيهم امر دينهم البتة ورايت الفتنة تعم العامة
وتذهب بين الخاصة فللعالم الحذر في العزلة والتفرد ودفن العلم واخاف ان
ما ذكرناه هو هذا الزمان النكد الصعب والله المستعان وعليه التكلان فهذا
حكم العزلة والتفرد عن الناس فافهمه فان الغلط فيه عظيم وضرره كبير والله الموفق
فان قيل اليس النبي صلعم يقول عليكم بالجماعة فان يد الله مع الجماعة وان الشيطان
ذئب الانسان يأخذ الشاذة والناحية والقاصية وقال ان الشيطان
مع الفذ وهو من الاثنين ابعد فاعلم ان هذه وردت وورد ايضا الزم بيتك
وعليك بالخاصة وامر بالعزلة والتفرد في الزمان السوء ولا تناقض في قوله صلعم
ولابد من الجمع بين الخبرين بحول الله وتوفيقه فاقول قوله صلعم عليكم بالجماعة يحتمل ثلثة
اوجه احدها انه يعني به في الدين والحكم اذ لا تجتمع هذه الامة على ضلالة فمن خرق
والحكم بخلاف ما عليه جمهور الائمة والسنة فذهبهم باطل وضلال واما ان يعتزل عنهم
لصلاح في دينه فليس من ذلك في شيء والثاني عليكم بالجماعة اي لا تنقطعوا عنهم في
جمعهم وجماعتهم ونحوها فان فيها قوة الدين وجمال الاسلام وغيظ الكفار والملحدين
ولا يخلو ذلك من بركات ونظر من الله عز وجل بالرحمة وكذلك نقول ان حق المتفرد
ان يشارك الناس في الجمع العامة في الخير وان يجانبهم في الصحبة والمزاحمة في سائر الامور

لانها

لانها من ضروب الآفات والثالث ان في ذلك في غير زمان الفتنة للرجل
الضعيف في الدين واما الرجل البصير القوي في امر الله تعالى اذا رأى زمان
الفتنة الذي حذر النبي صلعم الامة منه وامرهم بالعزلة فيه فالعزلة اولى في اختلاط من
الفساد والآفة وان لا ينقطع عن جموع الاسلام والخيرات العامة وان اراد ان
يتزود الناس بمرة فليكن بشاهق جبل او باطن فلاة لصلاح يراه في دينه ثم علمت
فلا ارى مثل هذا الرجل اينما كان الا ويكفيه الله عز وجل من حضور الجماعات
والجمعات وسائر جموع الاسلام فيحفظه لئلا يفوته الحظ منها ايضا فان جموع الاسلام
من الله تعالى بمكان وان تغير الناس وفسدوا وكذا سمعنا من حال الابدال انهم يحضرون
جموع الاسلام اينما كانت ويبيتون من الارض حيث شاؤوا وان الارض لم تقدم
واحده في الاخبار ان الارض تطوى لهم ويبادرون بالتحيات ويتحفون بانواع
البر والكرامات فهنيئا لهم بما ظفروا به واحسن الله عزاء من غفل عن النظر في
خلاص نفسه واعان الطالب الذي يصل الى المقصود كما شاء ولقد عرض
لي في صفة حالي ابيات من الشعر وهي ∴ ظفر الطالبون واتصل الوصل ∴
وفاز الاحباب بالاحباب ∴ وبقينا مذبذبين حيارى ∴ بين الحد
الوصال والاجتناب ∴ ترتجي القرب بالبعاد ∴ وهذا اقبح حال المحال يا للالباب
فاسقنا منك شربة تذهب الغم ∴ وتهدي الى طريق الصواب ∴ يا طبيب
السقام يا مرهم الجرح ∴ ويا منقذي من الاوصاب ∴ ولنقبض عنان
البيان ونرجع الى المقصود من شأن العزلة فنقول خاتم مقصود الباب فان قيل
اليس قد قال النبي صلعم رهبانية امتي الجلوس في المساجد وفيه زجر عن التفرد

فاعلم ان ذلك في غير زمان الفتنة كما ذكرناه وايضا فانه يجلس في المسجد
ولا يأتي الى الناس ولا يراه احد منهم فيكون بالشخص معهم وفي المعنى منفردا وهذا هو المعنى
في العزلة والتفرد الذي نحن في ترجمته لا التفرد بالشخص والمكان فافهم ذلك رحمك الله
وفيه يقول ابراهيم ادهم رحمه الله كن واحدا جامعيا ومن ربك ذا انس
ومن الناس وحشيا فان قيل فما تقول في مدارس علماء الآخرة وفي رباطات
الصوفية سالكي طريق الآخرة والكون فيها فاعلم ان ذلك الطريقة المثلى
في هذا الشأن لعامة اهل العلم والاجتهاد وذلك انها جمعت المعنيين والفائدتين
اللتين احدهما العزلة عن الناس والتفرد عنهم بالصحبة والى الخلطة والمزاحمة في امورهم
وذلك انه لمشاركتهم في جمعهم وجماعتهم وتكثير شعائر الاسلام فتحصل السلامة التي
هي للمنفردين والخير الكثير الذي هو للمخالطين مع الناس فيهم من الفتنة والبركة
والنصيحة فصار الكون فيها اعدل طريق واحسن حال واسلم سبيل ولهذا الشأن
اقام اكثر العارفين بين الناس لنفعهم لعباد الله تعالى في باب الدين وقلة اذاهم
في مشاهدة الخلق لا ادابهم وحسن رسومهم لسنته وابهم فان لسان الحال افصح من
لسان المقال فصار ذلك احسن تدبير في الدين للعلم والعبادة واحكم رأي
فان قيل فما حال المريد مع المجتهدين والمرتاضين في صحبتهم ام نعتزلهم فاعلم انهم اذا
كانوا ثابتين على رسومهم الاولة وسيرهم الموروثة عن سلفهم فهم اجل اخوان في
الله عز وجل واصحاب واعوان على عبادة الله سبحانه فلا ينفك عنهم عزلة
وتفرد وانما مثلهم مثل ما نسمع عن زهاد وشبان ويزعم ان منهم جماعات يتعاونون
بالبر والتقوى ويتواصون بالحق والصبر واما اذا تغيروا وتركوا رسومهم واخلوا

بطريقتهم

بطريقتهم الموروثة عن اسلافهم الصالحين فحكم هذا المجتهد المرتاض معهم كحكمه مع
سائر الناس يلزم زاويته ويكف لسانه ويشتغل بما في خزانتهم ويجانبهم في سائر
احوالهم واوقاتهم فيكون معهم في عزلة من اهل العزلة منفردا من المنفردين فان
اختار هذا المجتهد المرتاض ان يخرج من بينهم الى مكان آخر لصلاح يراه في نفسه
ويجتنب آفة تدخل عليه في صحبتهم فاعلم ان هذه المدارس والرباطات بمنزلة
الحصون تذود فيه فرسان الشياطين عسكرا عسكرا قبيلة او تساعره وكيف حاله
اذا خرج الى الصحراء وتمكن العدو منه من كل جانب يعمل به ما شاء فاذا المريد الضعيف
الا لازم الحصن واما الرجل القوي البصير الذي لا يغلبه الاعداء واستوى عنده
الحصن والصحراء فلا حرج عليه اذا خرج عن ان الكون في الحصن اوسط على كل حال
اذ لا يؤمن من الغفلة وان تتفاوت السور واذا كان الامر هذه الجملة
فالكون مع رجال الله تعالى والصبر على الصحبة اولى بالمرتاض وطالب الخير بكل حال
وان لا يخرج من حقوق البالغ مبلغ الاستقامة عن التفرد منهم فاعلم هذه الجملة وتأملها
تسلم وتغتنم ان شاء الله تعالى فان قيل فما تقول في زيارة الاخوان في الله وهو صلة
الاصحاب بالتلاق والتذكر فاعلم ان زيارة الاخوان في الله تعالى من جواهر عبادة
الله تعالى وفيها الذخيرة الكبيرة في الله عز وجل مع ما فيها من ضروب الفوائد وصلاح
القلب ولكن بشرطين احدهما ان لا تخرج في ذلك الى الاكثار والافراط الى حال التي لم
لا يزورها زر في غب تزدد حبا والثاني ان تحفظ حق ذلك بالتجنب من الرياء
والتزين ودخول اللغو والغيبة ونحو ذلك فيعود ذلك عليك وعلى اخيك الوبال
ولقد حكي ان الفضيل وسفيان رحمهما الله تذاكرا فبكيا فقال سفيان يا ابا علي

بمنزلة حصون تحصن بها المجتهدون
عن القطاع والسراق وان
اتباع المنقطعة

مشقة

ارجونا ما جلسنا مجلسا ارجى لنا من هذا فقال الفضيل ما جلست مجلسا
اخوف علي من هذا قال وكيف يا ابا علي قال الست تعمد الى احسن
حديثك فتحدثني به وانا اعمد الى احسن ما عندي فاحدثك به فتزينت لي
فتزينت لك فبكى سفيان يجب ان تكون مجالستك الا فرادا وملاقاتهم على مقدار
بقصد واحتياط ونظر لطيف فلا يقع ذلك حينئذ في وقتك ونفوذك عن الآخر
ولا يعود عليك وعلى اخيك بعز وآفة بل بخير كثير ونفع عظيم والله الموفق فان قلت
فما يعينني على العزلة عن الناس والتفرد ويهون علي ذلك فاعلم ان الذي يهون
ذلك عليك ثلثة امور احدها استغراق اوقاتك في العبادة فان في العبادة
شغلا وان الاستيناس بالناس من علامات الافلاس فاذا رايت نفسك
تتطلع الى ملاقات الناس وكلامهم من غير حاجة وضرورة فاعلم ان وقتك فضول
ساقه الفراغ والبطر ولقد احسن من قال في هذا المعنى ❁ ان الفراغ الى
الى السلامك فادي ❁ وربما عمل الفضول الفراغ ❁ فاذا اذقت عانقت
العبادة حقها وجدت حلاوة المناجات واستانست بكتاب الله تعالى
واستغنيت عن الخلق واستوحشت من صحبتهم وكلامهم وفي الخبر ان موسى عليه السلام كان
اذا رجع من المناجات يستوحش من الناس فكان يجعل اصبعيه في اذنيه لئلا يسمع
كلامهم وكان كلامهم عنده في النفور والوحشة في ذلك الوقت كاصوات الحمير
وعليك بما قال الشبلي رحمه الله اتخذ الله صاحبا وذر الناس جانبا والثاني
قطع الطمع عنهم بمرة فيهون عليك امرهم لان من لا ترجو نفعه ولا تخاف ضرره
فوجوده وعدمه سواء والثالث تتفكر في آفاتهم وتذكر ذلك وتكرره على قلبك

فان

فان بهذه الاذكار الثلثة اذا لازمتها طردتك عن صحبة الخلق الى باب الله تعالى
والتفرد للعبادة وحببته اليك والزمتك بابه وبالله التوفيق والعصمة العايق
الثالث الشيطان ثم عليك يا اخي بمحاربة الشيطان وقهره وذلك
لخصلتين احديهما انه عدو مضل مبين لا مطمع فيه بمصالحة وابقاء عليك بل لا يقنعه الا هلاكك
اصلا فلا وجه اذا للامن من مثل هذا العدو والغفلة عنه وتامل آيتين من كتاب
الله تعالى سبحانه احديهما قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو
مبين والثانية قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وهذا اقصى التحذير
وغاية والخصلة الثانية انه مجبول على عداوتك ومنتصب ابدا لمحاربتك في
آناء الليل واطراف النهار يرميك بسهامه وانت غافل عنه فكيف يكون الحال اذا وقعت
منك نكتة اخرى وهي انك في عبادة الله تعالى ودعوة الخلق الى باب الله سبحانه بقولك
وفعلك وهذا اضد صنع الشيطان وهمته ومراده ومؤنته فمن ثم كانك قمت
وشددت وسطك لتغايظ الشيطان وتناكده وتناقضه فيهواه بنيته

ونكايده ٦

وسط لمعاديك ويقاتلك ويعاديك حتى يرد عليك شانك بل حتى يهلكك
راسا اذ لا يامن من جانبك بعد فانه الذي يسعى ويقصد باهلاك الى من لا يغايظه
ولا يناقضه بل يساعده ويوافقه كالكفار واهل الضلالة واهل الرغبة في بعض
الاحوال فكيف قصده لمن قام لمغايظته وتجرد لمناقضته فله اذا مع سائر الناس
عداوة عامة ومعك ايها المجتهد في العبادة والعلم عداوة خاصة وان امرك
له اهم ومعه عليك اعوان اشدها عليك نفسك وهواك وله اسباب ومداخل
وابواب وانت عنها غافل ولقد صدق يحيى بن معاذ الرازي حيث قال الشيطان

فارغ وانت مشغول والشيطان يراك وانت لا تراه وانت تنساه وهو
لا ينساك ومن نفسك للشيطان عون عليك فاذا لا بد من محاربته وقهره والا
فلا تأمن من الهلاك والفساد فان قلت فباي شيء احارب الشيطان وباي شيء
اقهره وادفعه فاعلم ان لاهل هذه الصناعة في مجاهدته طريقتين احدهما ما قال بعضهم
ان الحيلة في دفع الشيطان الاستعاذة بالله سبحانه لا غير فان الشيطان كلب سلطه
الله عليك فان اشتغلت بمحاربته ومعالجته تعبت وضاع عليك وقتك وربما
يغلبك فيعقرك ويجرحك فالرجوع الى رب الكلب ليصرفه عنك اولى
والثاني ما قال آخرون ان الطريق المجاهدة والقيام عليه بالرد والدفع والمخالفة
والذي عندي ان الطريق العدل الجامع في امره ان تجمع بين الطريقين فتستعين
بالله تعالى اولا من شره كما امرنا وهو الكافي شره ثم ان رأيناه يتغلب علينا علمنا
انه ابتلاء من الله سبحانه ليرى صدق مجاهدتنا وقوتنا كما ان الله سبحانه وجبر... كما انه
سلط علينا الكفار مع قدرته على كفاية امرهم وشرهم ليكون لنا حظ من الجهاد والصبر
والتمحيص والشهادة كما قال الله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم
شهداء وقال الله تعالى ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
وقال الله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
ويعلم الصابرين فكذلك هذا ثم ان محاربته وقهره فيما قال علماؤنا رضي الله عنهم في
ثلاثة اشياء احدها ان تتعرف مكايده وحيله فلا يتجاسر حينئذ عليك
كاللص اذا علم ان صاحب الدار قد احس به فر والثاني ان تستخف بدعوته
فلا تعلق قلبك بذلك وتتبعه فانه بمنزلة الكلب النابح اذا اقبلت عليه

ولع بك ولج فان اعرضت عنه سكت والثالث ان تديم ذكر الله بلسانك
وقلبك فلقد قال صلى الله عليه وسلم ان ذكر الله تعالى في جنب الشيطان كالاكلة في
جنب ابن آدم فان قلت فكيف نعلم مكايده وكيف الطريق الى معرفة ذلك
فاعلم ان الوساوس هي بمنزلة السهام التي ترمى بها وذلك انما يتبين لك
بمعرفة الخواطر واقسامها والثاني ان الحيل بمنزلة الشبكات التي تنصبها
وذلك يتبين بمعرفة المكايد ومواضعها ومجاريها ولقد ذكر علماؤنا ابوابا
في الخواطر ولقد صنفنا كتابا سميناه تلبيس ابليس وكتابنا هذا لا يحتمل الاكثار
لكنا نذكر لك ان شاء الله تعالى من كل واحد منها اصلا كافيا اذا اعتصمت به فافهما
اصل الخواطر فاعلم ان الله تعالى ~~من كل واحد منها اصلا~~ وكل بقلب ابن آدم
ملكا يدعو الى الخير يقال له الملهم والدعوة الهام وسلط في مقابلته شيطانا يدعو
الانسان الى الشر يقال له الوسواس والدعوة وسوسة فالملهم لا يدعو الا الى الخير
والوسواس لا يدعو الا الى الشر في قول اكثر علمائنا وقد حكي عن شيخنا ان الشيطان
ربما يدعو الى الخير وقصده في ذلك الشر بان يدعوه الى المفضول ليمنعه عن الفاضل
او يدعوه الى الخير ليجره الى ذنب عظيم لا يفي خيره بذلك الشر من عجب او غيره
فهذان داعيان قائمان على قلبه يدعوانه وهو يسمع بقلبه ويحس بذلك
على ما روي في الاخبار انه اذا ولد لابن آدم مولود قرن الله سبحانه به ملكا و
قرن الشيطان به شيطانا فالشيطان جاثم على اذن قلب ابن آدم الايسر
والملك جاثم على اذن قلبه الايمن فهما يدعوانه وقال عليه السلام للشيطان لمة بابن
آدم وللملك لمة يعني نزلة بالدعوة من قولهم لم بالمكان والم به اذا نزل به

ثم ركب الله تعالى في بنية الانسان طبيعة مائلة الى الشهوات ونيل اللذات
كيف كانت من حسن او قبيح فذلك هوى النفس الصارفة الى الآفات فهذه ثلثة
دعاة ثم اعلم بعد هذه المقدمة ان الخواطر هي آثار تحدث في قلب العبد تبعثه على
الافعال والتروك وتدعوه اليها وسميت خواطر لاخطارها من خطرات الريح
ونحوه وعده وتهاجيها في قلب العبد بالحقيقة من الله سبحانه لكنها اربعة اقسام منها
ما يحدثه الله سبحانه في قلب ابتداء ويقال له خاطر فقط وقسم يحدثه موافقا لطبع
الانسان فيقال له هوى النفس وينسب اليه وقسم يحدثه عقيب دعوة الملهم فينسب
اليه فيقال له الالهام وقسم يحدثه عقيب دعوة الشيطان فينسب اليه ويقال له
الوسوسة وتنسب اليه بانها خواطر من الشيطان وانما هي في الحقيقة حادثة عند
دعوته فهو كالسبب في ذلك ولكنه بالنسب اليه فهذه اربعة اقسام من الخواطر
ثم اعلم بعد هذا التقسيم ان الخاطر الذي من قبل الله تعالى ابتداء قد يكون خيرا اكراما
والزاما للحجة وقد يكون شرا امتحانا وتغليظا للمحنة والخاطر الذي يكون من قبل الملهم
لا يكون الا خيرا اذ هو ناصح مرشد انما يرسل لذلك والخاطر الذي يكون من قبل الشيطان
لا يكون الا شرا اغواء واستزلالا وربما يكون بالخير مكرا او استدراجا والذي من قبل
هوى النفس يكون بالشر وبالاخير فيه تمني وتعسفا ولقد وجدت عن بعض السلف
ان هوى النفس ايضا قد يدعو الى الخير والمقصود منه شر كالشيطان فهذه انواعها
ثم بعد هذه انك تحتاج الى معرفة ثلثة فصول لا بد لك منها البتة وفيها المقصود
احدها الفرق بين خاطر الخير وبين خاطر الشر جملة والثاني الفرق بين خاطر
شر ابتداء حق او شيطاني او هوائي وبماذا يفرق بينهما فان لكل واحد منها

وفيها من نوع آخر الثالث الفرق بين خاطر خير ابتداء حق او الهامي او شيطاني
او هوائي لتتبع ما يكون من الله تعالى او من الملهم وتجتنب ما يكون من الشيطان و
كذلك الهوى على قول من يقول به فاما الفصل الاول قال علماؤنا اذا اردت
ان تعرف خاطر الخير من خاطر الشر وتفرق بينهما فزنه باحد الموازين الاربعة
يتبين لك حاله فالاول ان تعرض الامر الذي خطر ببالك على الشرع فان وافق
جنسه فهو خير وان كان بالضد برخصة او شبهة فهو شر فان لم يستبن لك بهذا
الميزان فاعرضه على الاقتداء فان كان في خط اقتداء بالصالحين فهو خير وان كان
بالضد اتباعا للطالحين فهو شر وان لم يستبن لك بهذا الميزان فاعرضه على النفس
والهوى فانظر ان كان مما تنفر عنه النفس نفرة طبع لا نفرة خشية وترهيب
فاعلم انه خير وان كان مما تميل اليه النفس ميل طبع وجبلة لا ميل رجاء الله تعالى وترغيب
فهو شر اذ النفس امارة بالسوء لا تميل باصلها الى خير فباحد هذه الموازين اذا
انظرت وتاملت يستبين لك خاطر الخير من خاطر الشر والله ولي الهداية بفضله
انه جواد كريم فاما الفصل الثاني اذا اردت ان تفرق بين خاطر شر يكون من قبل
الشيطان وبين خاطر شر يكون من قبل هوى النفس او من قبل الله تعالى ابتداء فانظر
فيه من ثلثة اوجه احدها ان وجدته مستمرا ثابتا على حالة واحدة فهو من الله او
او من هوى النفس وان وجدته مترددا مضطربا فاعلم انه من الشيطان وكان بعض المشايخ
رحمه الله يقول مثل هوى النفس مثل النمر اذا حارب لا ينصرف الا بفتح تام وظفر تام
او مثل الخارجي الذي يقاتل مقدميا لا يكاد ينتقل ومثل الشيطان مثل الذئب
اذا طردته من جانب دخل من جانب آخر وثانيها ان وجدته عقيب ذنب

احدثته فهو من الله تعالى اياه عقوبة بشؤم ذلك الذنب قال الله تعالى كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال الشيخ الامام رحمه الله هكذا يؤدي الذنوب
الى قسوة القلب او لما خاطر ثم تؤدي الى القسوة والرين وان كان هذا الخاطر
مبتدا او لا عقيب ذنب كان منك فاعلم انه من الشيطان هكذا في الاكثر لانه
يبتدي بدعوة الشر ويطلب الاغوار بكل وجه وحال والثالث ان وجدته لا يضعف
ولا يقل بذكر الله تعالى ولا يزول فهو من الهوى وان وجدته يضعف ويقل بذكر الله
فهو من الشيطان كما ذكر في تفسير قوله تعالى من شر الوسواس الخناس ان الشيطان جاثم
على قلب ابن آدم اذا ذكر الله تعالى خنس واذا غفل وسوس واما الاصل الثاني
اذا اردت ان تفرق بين خاطر خير يكون من الله تعالى او من الملك فانظر في ذلك
من ثلثة اوجه احدها ان تنظر فان كان قويا معتما فهو من الله تعالى وان كان مترددا
فهو من الملك اذ هو بمنزلة ناصح يدخل عليك من كل وجه ويعرض عليك كل
نفع رجاء اجابتك ورغبتك في الخير والثاني ان كان عقيب اجتهاد منك
وطاعة فهو من الله سبحانه قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والذين
اهتدوا زادهم هدى وان كان مبتدا فهو من الملك في الاغلب والثالث ان كان
في الاصول والاعمال الباطنة فهو من الله سبحانه وان كان في الفروع والاعمال
الظاهرة فهو من الملك في الاكثر اذ الملك لا سبيل له الى معرفة باطن العبد
في قول الاكثر واما خاطر الخير الذي يكون من قبل الشيطان استدراجا الى شر يري عليه
ملعنه قال شيخنا انظر ان وجدت نفسك في ذلك الفعل الذي خطر ببالك مع نشاط
لا مع خشية ومع عجلة لا مع تأن ومع امن لا مع خوف ومع عمى العاقبة لا مع بصيرة

فاعلم انه من الشيطان فاجتنبه وان وجدت نفسك على ضد ذلك مع خشية
لا مع نشاط ومع تأن لا مع عجلة ومع خوف لا مع امن ومع بصارة العاقبة
لا مع عمى فاعلم انه من الله تعالى او من الملك قلت انما وكان النشاط خفة في الانسان
للفعل من غير بصيرة ولا ذكر ثواب ينشط في ذلك واما التأني فمحمود الا في مواضع
معلومة معدودة وذكر في الخبر عن النبي صلعم قال العجلة من الشيطان الا في خمسة
تزويج البكر اذا ادركت وقضاء الدين اذا وجب وتجهيز الميت اذا مات و
قرى الضيف اذا نزل والتوبة من الذنب اذا اذنبت واما الخوف فيحتمل
ان يكون من اتمامه واداية على وجه وحقه وقبول الله تعالى اياه واما بصارة العاقبة
بان يتبصر ويتيقن انه رشد وخير ويحتمل رؤية الثواب في العقبى ورجاءه فاعلم
ذلك موفقا فهذه الفصول الثلثة التي ان امكنك معرفتها في فصل الخواطر فارعها
وانعم النظر فيها ما استطعت فانها من العلوم اللطيفة والاسرار الشريفة في هذا الباب
والله الموفق بفضله واما فصل الحيل ذا المخادعات من الشيطان فجرى
ذلك وشانه ان مكايد الشيطان مع ابن آدم في الطاعة من سبعة اوجه احدها
ان ينهاه عنها فان عصمه الله تعالى ورده بان قال انى محتاج الى ذلك حيث اني
لا بد من التزود من هذه الدنيا الفانية للآخرة التي لا انقضاء لها ثم يأمره بالتسويف
فان عصمه الله تعالى ورده بان قال ليس اجلي بيدي على انني ان سوفت
عمل اليوم الى غد فعمل الغد متى اعمله فان لكل يوم عملا ثم يأمره بالعجلة فيقول له
عجل عجل لتفرغ لكذا وكذا فان عصمه الله تعالى ورده بان قال قليل العمل مع التمام
خير من كثيره من النقصان ثم يأمره باتمام العمل مراياة للناس فان عصمه الله تعالى

ورده بان قال ما الذي اعمل برايات الناس افلا يكفيني رؤية الله تعالى
ثم يريد ان يوقعه في العجب فيقول ما اعظمك وايقظك فان عصمه الله تعالى
ورده بان قال المنة لله تعالى اذ خصني بتوفيقه وجعل
لعملي قيمة عظيمة بفضله ولولا فضله فاي قيمة لعملي في جنب نعم الله تعالى
علي وجنب معصيتي ثم ياتيه من وجه سادس وهو اعظمها ولا يفطن له الا
كل متيقظ وهو ان يقول اجتهد في السر فان الله تعالى سيظهره عليك
ويلبس كل عامل عمله واراد بذلك حز باب الرياء فان عصمه الله عز وجل ورده
بان قال يا ملعون الى الآن كنت تاتيني من وجه افساد عملي والآن تاتيني من
وجه اصلاحه لتفسده انا عبد الله تعالى وهو سيدي ان شاء اظهره وان شاء اخفى
وان شاء جعلني خطيرا وان شاء جعلني حقيرا وذلك اليه ما ابالي ان اظهره ذلك للناس
او لم يظهره فليس بايديهم شيء ثم ياتيه من وجه سابع فيقول لا حاجة لك الى هذا العمل
لانك ان خلقت سعيدا لم يضرك ترك العمل وان خلقت شقيا لم ينفعك فعله
فان عصمه الله تعالى عز وجل ورده بان قال انما انا عبد وعلى العبد امتثال امر العبودية
والرب اعلم بربوبيته يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد ولانه ينفعني العمل كيف ما كنت
لاني ان كنت سعيدا احتجت اليه لزيادة الثواب وان كنت شقيا فانا احتاج اليه
كيلا الوم نفسي على ان الله تعالى لا يعاقبني على الطاعة بكل حال ولا يضرني على اني
ان دخلت النار وانا مطيع احب الي من ان ادخلها وانا عاص فكيف
ووعده حق وقوله صدق وقد وعد على الطاعة بالثواب فمن لقي الله تعالى
على الايمان والطاعة لن يدخل النار البتة ويدخل الجنة لا لاستحقاقه بعمله ولكن

لوعد الصادق تعالى ولهذا المعنى اخبر الله عن السعداء اذ قالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده فتيقظ رحمك الله فان الامر كما ترى وتسمع وقس عليه سائر الاحوال و
الافعال واستعن بالله تعالى واستعذ به فان الامر بيده ومنه التوفيق ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم **العايق الرابع** النفس ثم عليك عصمك الله
وايانا بالحذر من هذه النفس الامارة بالسوء فانها اضر الاعداء وبلاؤها اصعب
البلاء وعلاجها اعسر الاشياء وداؤها اعضل الداء ودواؤها اشكل الدواء
وانما ذلك لامرين احدهما انه عدو من داخل واللص اذا كان من داخل البيت
عزت الحيلة فيه وعظم الضرر ولقد صدق القائل ؛ نفسي الى ما ضرني داعي ؛
تكثر اسقامي واوجاعي ؛ كيف احتيالي من عدوي ؛ اذا كان عدوي بين اضلاعي
والثاني انه عدو محبوب والانسان عمي عن عيب محبوبه لا يكاد يبصر عيبه كما قال القائل
وعين الرضا عن كل عيب كليلة ؛ ولكن عين السخط تبدي المساويا
فاذا يستحسن الانسان من نفسه كل قبيح ولا يكاد يطلع على عيب لها وهي عدوها
واضرها فما اوشك ان توقعه في فضيحة وهلاك وهو لا يشعر الا ان يحفظ الله تعالى
بفضله ويعين عليها برحمته ثم اول تامل ايها الرجل نكتة واحدة مقنعة وهي انك
ان نظرت وجدت اصل كل فتنة وفضيحة وخزي وهلاك وذنب وآفة وقع
لخلق الله تعالى من اول الخلق الى يوم القيمة من قبل هذه النفس اما بانفرادها او بمشاركتها
ومساعدتها فاول المعصية لله تعالى كان من ابليس وكان سببه
بعد القضاء السابق هوى النفس بكبرها وحسدها الفتنة بعد عبادة ثمانين الف سنة
فحصل في بحر الضلال فغرق الى ابد الآبدين اذ لم يكن هناك دينا ولا خلق ولا سلطان

[illegible]

بل كانت النفس بكبرها وحسدها فعلت به ما فعلت ثم ذنب آدم وحوا طرحتهما
شهوة النفس في ذلك وحرصها على البقاء والحيوة حتى اغترا بقول ابليس
فكان ذلك اذ اطاعوا النفس وشركتها حتى سقطا بذلك من جوار الله تعالى و
قرار الفردوس الى هذه الدنيا الحقيرة النكدة الفانية المهلكة وبقي اولادهما بالقوا
من ذلك اليوم الى ابد الآبدين ثم حديث قابيل وهابيل كان السبب في امرهما
الحسد والشح ثم حديث هاروت وماروت كان السبب الشهوة ثم هلم جرا
الى يوم القيمة لا يجدن في الخلق فتنة ولا فضيحة ولا ضلالا ولا معصية الا واصلهما النفس
وهواها والا كان الخلق في سلامة وخير واذا كان عدو بهذا القدر كله فحق للعاقل
ان يهتم بامره والله تعالى ولي التوفيق والهداية بفضله فان قلت فما الحيلة اذا
لنا في هذه العدو وما التدبير في امره فتبين لنا ذلك فاعلم انا ذكرنا فيما تقدم
ان امرها عسير صعب اذ لا يمكن قهرها بمرة كما يرى الاعداء اذ هي المطية والآلة
وقيل ان اوابيا وما الانسان يخبر فقال كتب الله لك كل عدو الا نفسك
ولا يمكن اهمالها بمرة لمكان خطرها فيحتاج الى طريق بين الطريقين تربيه وتقويه بقدر
ما يحمل خفة خيرها ونفعها وتحبسها على حد لا تتمادى فيما سنت من امرها في علاج شديد
ونظر لطيف ثم قد ذكرنا في امرها ان تلجمها بلجام التقوى والورع لتحصل الفائدتين
جميعا فان قيل ان هذه دابة جموح وبهيمة صعبة شكسة لا تنقاد للجام فما الحيلة
فيها حتى يمكننا ذلك فاعلم انك لصادق والحيلة تذليلها حتى تنقاد للجام قال
علماؤنا انما تذلل النفس وتكسر هواها بثلثة اشياء احدها منع الشهوات فان
دابة الحرون تلين اذا نقص من علفها والثاني حمل اثقال العبادات عليها

فان

فان الحمار اذا زيد في حمله مع نقصان من علفه تذلل وانقاد والثالث الاستعانة
بالله تعالى والتضرع اليه بان يعينك والا فلا مخلص اما تسمع قول يوسف عليه السلام
ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي فاذا واظبت على هذه الامور الثلثة
انقادت لك النفس الجموح باذن الله تعالى فحينئذ تبادر الى ان تملكها وتلجمها وتامن
من شرها فان قلت فبقي الآن ما هو التقوى حتى تعلمه فاعلم اولا ان التقوى كنز
عزيز فلئن ظفرت به فكم تجد فيه من جوهر شريف وعلق نفيس وخير كثير ورزق كريم
وفوز كبير وغنم جسيم وملك عظيم فكان خيرات الدنيا والآخرة جمعت فجعلت
تحت هذه الخصلة الواحدة التي هي التقوى وتامل ما في القرآن من ذكرها كم علق
بها من خير وكم وعد عليها من ثواب وكم اضاف اليها من سعادة وانا اعد
لك من جملتها اثنا عشر خصلة اولها المدحة والثناء في قوله تعالى وان تصبروا وتتقوا
فان ذلك من عزم الامور والثاني الحفظ والحراسة من الاعداء قال الله تعالى
وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا والثالث التاييد والنصرة قال الله تعالى
ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقال الله تعالى ان الله مع المتقين
والرابع النجاة من الشدايد والرزق من الحلال قال الله تعالى ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب والخامس اصلاح العمل قال الله تعالى
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم والسادس غفران
الذنوب قال الله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم والسابع محبة الله تعالى قال الله تعالى ان الله
يحب المتقين والثامن القبول قال الله تعالى انما يتقبل الله من المتقين والتاسع الاكرام
والاعزاز قال الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم والعاشر البشارة عند الموت قال الله تعالى

الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة والحادي عشر
النجاة من النار قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا وقوله تعالى وسيجنبها الاتقى الذي
والثاني عشر الخلود في الجنة قال الله تعالى اعدت للمتقين فهذا كل خير وسعادة في الدارين
تحت هذه التقوى فلا تنس نصيبك ايها الرجل منها ثم الذي يختص به هذا الشان
من امر العبادة ثلثة اصول احدها التوفيق والتأييد اولا وهو للمتقين كما قال الله تعالى
ان الله مع المتقين والثاني اصلاح العمل واتمام التقصير وهو للمتقين كما قال الله تعالى
يصلح لكم اعمالكم والثالث قبول العمل وهو للمتقين كما قال الله تعالى انما يتقبل الله من
المتقين ومدار العبادة على هذه الامور الثلثة التوفيق اولا حتى يعمل ثم الاصلاح
للتقصير حتى يتم ثم القبول اذا تم وهذه الثلثة هي التي يتضرع فيها العابدون الى الله
عز وجل ويسئلون فيقولون ربنا وفقنا لطاعتك واتمم تقصيرنا وتقبل منا وقد
وعد الله ذلك كلها على التقوى واكرم بها التقي سئل اولم يسئل فعليك
بهذه التقوى ان اردت عبادة الله سبحانه بل اردت سعادة الدنيا والعقبى ولقد
صدق القائل من اتقى الله فذاك الذي سيق اليه المتجر الرابح والثاني من
عرف الله فما تغنيه معرفة الله فذاك الشقي ما يضع التعبة بعز الغني والعز
كل العز للمتقي وكتب على بعض القبور ليس زاد سوى التقوى فخذي منه او دعي
ثم تأمل اصلا واحدا وهو هب انك قد تعبت جميع عمرك في العبادة وجاهدت
وكابدت حتى حصل لك ما تمنيت اليس الشان كله في القبول وقد علمت
ان الله تعالى يقول انما يتقبل الله من المتقين فرجع الامر كله الى التقوى ولذلك روى
عن عائشة انها قالت ما اعجب رسول الله صلعم بشئ من الدنيا ولا اعجبه احد الا ذو التقى

وعن قتادة انه قال مكتوب في التورية يا ابن آدم اتق الله ونم حيث شئت
وبلغني عن عامر بن عبد قيس انه بكى عند موته وكان يصلي كل يوم وليلة الف
ركعة ثم يأتي الى فراشه فيقول يا مأوى كل شر والله ما رضيتك لله عز وجل
طرفة عين وبكى يوما فقيل له ما يبكيك فقال قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين
ثم تأمل نكتة اخرى وهي اصل الاصول وهي ما ذكر ان بعض الصالحين قال لبعض المشايخ
اوصني بوصية فقال اوصيك بوصية الله رب العالمين للاولين والآخرين قوله تعالى
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله فلعمري اليس
الله سبحانه اعلم بصلاح العبد من كل احد اوليس هو انصح له وارحم وارأف من
كل احد ولو كانت في العالم خصلة هي اصلح للعبد واجمع للخير واعظم للاجر واجل
في العبودية واعظم في القدر واولى بالحال وانجح في المآل من هذه الخصلة التي هي
التقوى لكان الله سبحانه امر بها عباده واوصى خواصه بذلك لكمال الحكمة ورحمته
فلما اوصى بهذه الخصلة الواحدة جميع الاولين والآخرين من عباده في ذلك
واقتصر عليها فعلمت انها الغاية التي لا متجاوز عنها ولا مقتصر دونها وانه عز وجل
قد جمع كل نصح ودلالة وارشاد وتنبيه وتأديب وتعليم وتهذيب في هذه الوصية الواحدة
كما يليق بحكمته ورحمته وعلمت ان هذه الخصلة التي هي التقوى هي الجامعة لخير الدنيا والآخرة
الكافية لجميع المهمات المبلغة الى اعلى الدرجات في العبودية وهذا الاصل لا مزيد عليه
وفيه كفاية لمن ابصر النور واهتدى وعمل بذلك فاستغنى والله تعالى ولي الهداية و
التوفيق بفضله فان قلت لقد عظم قدر هذه الخصلة وجل موقعها واشتدت الحاجة
الى موقعها فلابد الآن من تفصيلها فاعلم ان الامر كذلك فحق لها ان يجل قدرها

ويلزم طلبها وتمس الحاجة الى علمها ولكنك تعلم ان كل خطير وكبير يحتاج في تحصيله
الى طلب كثير وتعب كبير وهمة عالية وجهد شديد فاذاً كما ان هذه الخصلة خصلة
عظيمة كبيرة فالمجاهدة في طلبها والقيام بحقها والعناية في تحصيلها ايضاً ينبغي كبيرة و
شان عظيم فان المكارم بحسب المكاره وان اللذات على حسب المؤنات والله تعالى
يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله هو الرؤف الرحيم الذي بيده
تيسير كل عسير فاستمع وتنبه وتفهم حد بيان هذه الخصلة حتى تعلمها ثم شمر
للقيام بها واستعن بالله عز وجل حتى يعينك بما تقدم فان الشان كله في ذلك والله تعالى
ولي الهداية والتوفيق بمنه وفضله ثم اعلم اولاً ان التقوى في قول شيوخنا
هو تنزيه القلب عن ذنب لم يسبق عنك مثله حتى يحصل للعبد من قوة العزم على
تركها وقاية بينه وبين المعاصي هكذا قال شيخنا وذلك ان اصل لفظ التقوى
في اللغة هو الوقوى بالواو وهو مصدر الوقاية يقال وقى يقي وقاية ووقوى
فابدلت عن الواو تاء كما قالوا في الوكلان التكلان ونحوها فقيل تقوى فاذا لما
حصلت وقاية بين العبد وبين المعاصي من قوة عزمه على تركها وتوطين قلبه
على ذلك فوصف حينئذ بانه متق ويقال لذلك البرية والعزم والتوطين
تقوى والتقوى في القران يطلق على ثلثة اشياء احدها بمعنى الخشية والهيبة
قال الله عز وجل واياي فاتقون وقال واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
والثاني بمعنى الطاعة والعبادة قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
حق تقاته قال ابن عباس اطيعوا الله حق طاعته وقال مجاهد هو ان يطاع
فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر والثالث بمعنى تنزيه القلب

عن الذنوب وهذه هي الحقيقة في التقوى دون الاولين الا ترى ان الله تعالى
يقول ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون ذكر الطاعة
والخشية ثم ذكر التقوى فعلمت ان حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية
وهي تنزيه القلب على ما ذكرنا ثم قالوا رحمهم الله منازل التقوى ثلثة تقوى عن الشرك
وتقوى عن البدعة وتقوى عن المعاصي الفرعية ولقد ذكرها الله سبحانه في آية واحدة
وهو قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا يعني التقوى عن الشرك ...
وآمنوا ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا فالتقوى الاولى تقوى عن الشرك
والايمان في مقابلة التوحيد والتقوى الثانية عن البدعة والايمان الذي ذكر معها اقرار
بالسنة والجماعة والتقوى الثالثة عن المعاصي الفرعية ولا اقرار في هذه المنزلة فقابلها
الاحسان وهو الطاعة والاستقامة عليها فتكون منزلة استقامة الطاعة فالآية جمعت
ذكر المنازل الثلث منزلة الايمان ومنزلة السنة ومنزلة استقامة الطاعة فهذا ما قاله
العلماء في بيان معنى التقوى قلت انا وجدت التقوى بمعنى اجتناب فضول الحلال
وهو ما روي في الخبر المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما سمي المتقون المتقين لتركهم ما لا باس به
حذرا عما به باس فاحببت ان اجمع ما قاله علماؤنا وبين ما جاء في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم
فيكون حدا جامعا ومعنى بالغا فاقول التقوى هو اجتناب كل ما تخاف منه ضررا
في دينك الا ترى انه يقال للمريض المحتمي انه متق اذا اجتنب كل شيء يضره في بدنه
من طعام او شراب او فاكهة او غيرها ثم الذي يخاف منه الضرر في امر الدين قسمان محض
الحرام والمعصية وفضول الحلال لان الاشتغال بفضول الحلال والانهماك فيه يستجر
صاحبه الى الحرام ومحض العصيان وذلك لشره النفس وطغيانها وتمرد الهوى وعصيانه

فمن اراد ان يأمن الغرر في امر دينه اجتنب الخطر فامتنع عن فضول الحلال
حذرا ان يجره الى محض الحرام على ما قال صلى الله عليه وسلم اتركوا ما لا بأس به حذرا مما به بأس
يعني اتركوا فضول الحلال حذرا عن الوقوع في الحرام فالتقوى البالغة الجامعة اجتناب
كل ما فيه ضرر لامر الدين وهو المعصية والفضول هذا تفصيلها واما اذا اردنا تحديدها
على موضع علم السر فنقول حد التقوى الجامع تنزيه القلب عن شر لم يسبق منك مثله
بقوة العزم على تركه حتى يصير ذلك وقاية بينك وبين كل شر ثم الشرور ضربان
شر اصلي وهو كل ما نهي عنه كالمعاصي المحضة وشر غير اصلي وهو ما نهي عنه تأديبا
وهو فضول الحلال كالمباحات المأخوذة بالشهوات فالاول تقوى فرض
يلزم تركها عذاب النار والثاني تقوى خير وادب يلزم تركها الحبس والحساب
والتعيير واللوم فمن اتى بالاول فهو في الدرجة الاولى من التقوى وهو منزلة مستقيمي
الطاعة ومن اتى بالاول فهو في الدرجة العليا من التقوى وذلك منزلة مستقيمي الصالح
واذا جمع العبد بينهما باجتناب كل معصية وفضول فقد استكمل معنى التقوى وتمام حقيقتها
وجمع كل خير فيها وهذا هو الورع الكامل الذي هو ملاك امر الدين وذلك منزلة الاوتاد
على باب الله سبحانه فهذا معنى التقوى وبيانها في الجملة فافهمه موفقا ان شاء الله تعالى
فان طلب فتفصل لنا الآن هذا المعنى في التقوى واستعمالها فان الحاجة حاجة
بينا مالك لنعلم كيف نلزم هذه النفس بهذا المعنى الذي فصلت من حقيقة التقوى
فاقول اجل انما تفصيله من امر هذه النفس ان تقوم عليها بقوة العزم فتفطمها عن
كل معصية وتصونها عن كل فضول فاذا فعلت ذلك كنت قد اتقيت الله تعالى
في عينك واذنك ولسانك وقلبك وبطنك وفرجك وجميع اركانك

والجمها

والجمها بلجام التقوى ولهذا الباب شرح يطول وقد اشرنا اليه في احياء علوم الدين
واما الذي لا بد منه ههنا ان نقول من اراد ان يتقي الله تعالى فليراع الاعضاء الخمس
فانهن الاصول وهي العين والاذن واللسان والقلب والبطن فيحترز عليها
بالصيانة لها عن كل ما يخاف منه ضرر في امر الدين من معصية وحرام وفضول و
اسراف من حلال فاذا حصل صيانة هذه الاعضاء فيرجو ان يكفي سائر اركانه
ويكون قد قام بالتقوى الجامعة بجميع بدنه لله عز وجل فقد مست الحاجة الى بيان فضول
هذه الاعضاء وتفصيل ما يلزم في حق كل واحد منها على قدر ما يليق بهذا الكتاب

الفصل الاول فصل العين عليك وفقك الله وايانا بحفظ العين
فانها سبب كل فتنة وآفة واذكر في امرها ثلثة اصول كافية احدها ما قال سبحانه
قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير
بما يصنعون واعلم ان ما تحت هذه الآية فاذا يشتمل مقرها ثلثة معان عزيزة
تأديب وتنبيه وتهديد فاما التأديب فقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم
ولا بد للعبد من امتثال امر السيد والتأدب بادبه والا فيكون بتركه الادب محجوب
ولا يؤذن له في حضور المجلس والمثول بالحضرة فافهم هذه النكتة وتأمل ما تحتها
فان فيها ما فيها واما التنبيه فقوله تعالى ذلك ازكى لهم وينطق على معنيين
احدهما اي ذلك اطهر لقلوبهم والزكوة الطهارة والتزكية التطهير والثاني ذلك
انما الخير لهم واكثر ذلك والزكوة في الاصول النمو فتنبه على ان في غض البصر
تطهير القلب وتكثير الطاعة والخير وذلك انك ان لم تغض بصرك وارسلت عنانه
تنظر الى ما لا يعنيك فلا يخلو اما ان تقع عينك على حرام فان تعمدت فذنب كبير

النغل فساد شعره اديم

وربما تعلق قلبك بذلك فتهلك ان لم يرحم الله تعالى فقد روي ان العبد لينظر النظرة ينغل فيها قلبه كما ينغل الاديم في الدباغ لا ينتفع به العبد ابدا وان كان مباحا فربما يشتغل قلبك بها ويكثر الوساوس والخواطر بسببه ولعلك لا تصل اليه فيبقى مشغول القلب منقطعا عن الخير وان كنت لم تر ذلك فقد كنت مستريحا عن ذلك كله وفي هذا المعنى ذكر عن عيسى بن مريم صلوات الله على نبينا وعليه اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة وقال ذو النون رحمه الله نعم عون حاجب الشهوات غض الابصار ولقد احسن القائل وانت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر رايت الذي لا كله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر فاذا مهما كنت غاض البصر حافظا للعين لا تنظر الى ما لا يعنيك ولا يهمك كنت نقي الصدر فارغ القلب مستريحا عن كثير من الوساوس سالم النفس من الآفات متزايدا في الخيرات فتنبه لهذه النكتة الجامعة والله عز وجل الموفق بفضله واما التهديد فقوله ان الله خبير بما يصنعون وقال تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وكفى بهذا تحذيرا لمن خاف مقام ربه فهذا الاصل واحد من كتاب الله تعالى والاصل الثاني ما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النظر الى محاسن المرأة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها اذاقه الله طعم عبادة يسره وان وجدت حلاوة العبادة ولذة المناجات من العابدين بمكان وهذا امر مجرب علمه وحققه من عمل به انه اذا امتنع عن النظر الى ما لا يعنيه يجد لذة للعبادة وحلاوة وللقلب صفوة لم يجدها قبل ذلك والاصل الثالث

ان تنظر الى كل عضو من اعضائك يصلح لماذا ويتخلى لماذا فعلى حسب ذلك تصونه وتحفظ فالرجل للمشي في رياض الجنة وقصورها واليد لكأس الشراب وتناول الثمار وكذلك في سائر الاعضاء والعين انما هي للنظر الى رب العالمين سبحانه وتعالى وليس في الدارين كرامة اجل واكبر من ذلك فحقيق لشيء يتخطى ويرجى لمثل هذه الكرامة ان يصان ويحفظ ويعز ويكرم فهذه الاصول الثلثة اذا تأملت فيها كفتك المؤنة في هذا الفصل والله ولي التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل

الفصل الثاني في الاذن فعليك بصيانة سمعك عن الخنا والفضول وذلك لامرين احدهما ما روي ان المستمع شريك المتكلم وفي ذلك يقول القائل تحرّ من الطرق اوساطها وعدّ عن الجانب المشتبه وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به فانك عند استماع القبيح شريك لقائله فانتبه والثاني ان ذلك يهيج الخواطر والوساوس في القلب ثم من ذلك تتولد الاشتغال في البدن فلا يبقى للعبادة شيء ثم اعلم ان الكلام الذي يقع في قلب الانسان وسمعه بمنزلة الطعام الذي يقع في جوفه فمنه الضار ومنه النافع ومنه الغذاء ومنه السم بل ابقى بعبارة الكلام وتجرعه اكثر وابلغ فان الطعام يزول عن المعدة بنوم او غيره وربما يبقى اثره زمانا ثم يزول وان دام يزيل اثره من جسم الانسان واما الكلام الذي يقع في قلب الانسان فربما يبقى مدة عمره ولا ينسى فان كان شيئا رديا فلا يزال يتعبه ويعنيه ويرد بسببه خواطر القلب ووساوس ويحتاج ان يعرض عنها ويعدل بقلبه عن تذكرها ويستعيذ بالله تعالى من شرها ولا يأمن من ان يحمله على بلية ويحركه حتى يقع آخر الامر في

آفة عظيمة بسبب ذلك ولو كنت حفظت سمعك عما لا يعنيك كنت عن هذا
الهوى مستريحا فليحفظ العاقل من ذلك وبالله التوفيق **الفصل الثالث**
اللسان ثم عليك بحفظ اللسان وضبط ورعيه فانه اشد الاعضاء جماحا وطغيانا
واكثرها فسادا وعدوانا ولقد روينا عن سفيان بن عبد الله انه قال قلت يا رسول الله
ما اكثر ما تخاف علي فاخذ عليه السلام بلسان نفسه ثم قال هذا وعن يونس بن عبيد
انه قال اني وجدت نفسي تحتمل مؤنة الصوم في الحر الشديد بالبصرة ولا تحتمل ترك
كلمة لا تعنيها فعليك اذا بالتحفظ جدا جدا وبذل المجهود وتذكر فيه اصول
احدها ما روى ابو سعيد الخدري ان ابن آدم اذا اصبح تكفرت الاعضاء كلها
اللسان تقول نشدتك الله ان تستقيم فانك ان استقمت استقمنا وان
اعوججت اعوججنا قلت والمعنى منه والله اعلم ان نطق اللسان يؤثر في اعضاء
الانسان بالتوفيق والخذلان يؤكد هذا المعنى ما حكي عن مالك بن دينار
انه قال اذا رايت قساوة في قلبك ووهنا في بدنك وحرمانا في رزقك فاعلم
انك قد تكلمت فيما لا يعنيك **والاصل الثاني** حفظ وقتك فان اكثر
ما يتكلم به الانسان من غير ذكر الله تعالى فعلى الاقل يكون لغوا يضيع به الوقت
وذكر ان حسان بن ابي سنان مر على غرفة بنيت فقال مذكم بنيت هذه
ثم اقبل على نفسه وقال يا نفس المغرورة تسألين عما لا يعنيك وعاقبها بصوم
سنة قلت فيا طوبى للمتقين بانفسهم ويا ويح للغافلين الذين خلعوا العذار
وارخوا العنان والله المستعان ولقد صدق القائل واحسن حيث يقول
اغتنم ركعتين في ظلمة الليل * اذا كنت خاليا مستريحا * واذا ما هممت بالباطل

فاجعل

فاجعل مكانه تسبيحا **والاصل الثالث** حفظ الاعمال الصالحة فان من لم يضبط
لسانه واكثر الكلام يضيع لا محالة في غيبة الناس كما قيل من كثر لغطه سقط والغيبة
هي الصاعقة المهلكة للطاعات على ما قيل ان مثل من يغتاب الناس مثل
من نصب منجنيقا فهو يرمي به حسناته شرقا وغربا ويمينا وشمالا وبلغنا عن الحسن البصري
انه قيل له يا ابا سعيد ان فلانا اغتابك فبعث اليه بطبق فيه رطب وقال بلغني
انك اهديت الي حسناتك فاحببت ان اكافئك وذكر انه فات حاتما الاصم
ليلة القيام فعزته زوجته فقال ان اقواما صلوا بالليل البارحة فلما اصبحوا اغتابوني
فتكون صلوتهم يوم القيمة في ميزاني **والاصل الرابع** السلامة من آفات الدنيا
على ما قال سفيان لا تتكلم بلسانك ما يكسر به اسنانك وقال الآخر لا تطلق
لسانك فيندق عليك شانك وقيل احفظ لسانك لا تقول فتبتلى ان
البلاء موكل بالمنطق ولابن المبارك احفظ لسانك ان اللسان سريع الى المرء
في قتله وان اللسان دليل الفؤاد يدل الرجال على عقله ولابن المطيع رحمه الله
لسان المرء ليث في كمين * اذا خلى عليه له اغاره * فصنه عن الخنا بلجام صمت
يكن لك من بليته ستاره * وفي المثل السائر رب كلمة تقول لصاحبها دعني
نسأل الله التوفيق برحمته **والاصل الخامس** ذكر آفات الآخرة وعاقبتها
واذكر فيه نكتة واحدة وهي انه لا يخلو اما ان تقول قولا محظورا حراما او قولا
مباحا من فضول ما لا يعنيك فان كان محظورا ففيه من عذاب الله تعالى الذي
لا طاقة لك به فقد روينا عن رسول الله صلعم انه قال ليلة اسري بي نظرت في النار
رايت قوما يأكلون الجيف قلت يا جبرئيل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون

وذكر الغيبة عند ابن المبارك فقال لو كنت مغتابا لاغتبت امي لانها احق بحسناتي ٣

لحوم الناس ولقد قال صلعم لمعاذ اقطع لسانك عن حملة القران وطلاب العلم
ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب النار وعن ابي قلابة انه قال
ان في الغيبة خراب القلب من الهدى فنسال الله تعالى من ذلك ومثل هذا الكلام
في المحظور واما المباح ففيه اربعة امور احدها شغل الكرام الكاتبين بما لا خير
ولا فائدة وحق للمرء ان يستحيي منهما فلا يؤذيهما قال الله سبحانه ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد والثاني ارسال كتاب الى الله سبحانه من اللغو والهذر فليحذر العبد من
ذلك وليخش الله عز وجل وذكر ان بعضهم نظر الى رجل يتكلم بالخنا فقال يا هذا
ويحك انما تملي كتابا الى ربك فانظر ما تملي والثالث قراءته بين يدي الملك
الجبار يوم القيمة على رؤس الاشهاد وبين الشدائد والاهوال عطشان عريان جوعان
منقطعا عن الجنة محبوسا عن النعمة والرابع اللوم والتعيير بما ذا قلت وانقطاع
الحجة والحياء من رب العزة وقد قيل اياك والفضول فان حسابه يطول وكفى
بهذه الاصول واعظا لمن اتعظ وقد بينا في كتاب اسرار معاملات الدين
ما فيه مقنع فانظر فيه تجد الشفاء **الفصل الرابع** القلب ثم عليك بحفظ القلب
واصلاحه وحسن النظر في ذلك وبذل المجهود فانه اعظم هذه الاعضاء خطرا
واكثرها اثرا وادقها امرا واشقها اصلاحا واصعبها حالا واذ ذكر فيه جملة
اصول متفقة **الاصل** قوله تعالى خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقوله تعالى
يعلم ما في قلوبكم فاحذروه وقوله انه عليم بذات الصدور كم ذكره وكم كرر ذكره
في القران ولكفى باطلاع العليم الخبير تحذيرا وتهديدا للخواص من العباد ولان المعاملة
مع علام الغيوب خطرة فانظر ماذا يعلم من قلبك و **والاصل الثاني**

قول رسول الله صلعم ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم وابشاركم وانما ينظر
الى قلوبكم فالقلب اذا موضع نظر رب العالمين فيا عجبا ممن يهتم بوجهه الذي
هو موضع نظر الخلق فيغسله وينظفه من الاقذار والادناس ويزينه بما امكن
لكيلا يطلع مخلوق فيه على عيب ولا يهتم بقلبه الذي هو موضع نظر رب العالمين
فيطهره ويزينه ويطيبه كيلا يطلع الرب جل ذكره على دنس فيه وشين وآفة
وعيب بل يهمله بفضايح واقذار وقبائح لو اطلع الخلق على واحد منها لهجروه و
تبرؤا منه وطردوه والله المستعان **والاصل الثالث** ان القلب ملك مطاع
ورئيس متبع والاعضاء كلها له تبع واذا صلح المتبوع صلح التابع واذا استقام الملك
استقامت الرعية يبين ذلك ما روي عن النبي صلعم انه قال ان في الجسد
مضغة اذا صلحت صلح الجسد واذا فسدت فسد الجسد الا وهي القلب واذا
كان صلاح الكل في ذلك وجب صرف العناية اليه **والاصل الرابع**
ان القلب خزانة كل جوهر للعبد نفيس وكل معنى خطير اولها العقل واجلها
معرفة الله عز وجل التي هي سبب سعادة الدارين ثم البصائر التي بها التقدم
والوجاهة عند الله عز وجل ثم النية الخالصة في الطاعات التي بها يتعلق
ثواب الابد ثم انواع العلوم والحكم التي هي شرف العبد وساير الاخلاق
الشريفة والخصال التي بها يحصل تفاضل الرجال على ما فصلنا وشرحنا في كتاب
اسرار معاملات الدين وحق بمثل هذه الخزانة ان تحفظ وتصان عن
الآفات والادناس وتحرس وتحرز من السراق والقطاع وتكرم وتجل
بغرر الكرامات لئلا تلحق تلك الجواهر العزيزة دنس ولا يظفر بها العدو نعوذ بالله

والاصل الخامس انی تاملت حاله فوجدته اعجب احوال لیست
لغیره من اعضاء بنی آدم احدها ان العدو قاصد له مقبل علیه ملازم له فان
الشیطان جاثم علی قلب ابن آدم وهو منزل الالهام والوسوسة تقرعانه
بالدعوتین ابدا الملك والشیطان والثانی ان الشغل له اکثر فان الهوی و
والعقل کلاهما فیه فهو معترك العسکرین الهوی وجنوده والعقل وجنوده فهو
ابدا بین تحاربهما وتلاقیهما وتناقضهما وحق بالشغل ان یحرس ویحصن ولا یغفل
عنه والثالث ان العوارض له اکثر فان الخواطر کالسهام لا تزال تقع فیه کالمطر
لا تزال تمطر علیه لیلا ونهارا لا تنقطع ولا انت تقدر علی منعها فتمتنع ولیس بمنزلة
العین التی بین جفنین تغمض وتستریح او تکون فی موضع خال او لیلة مظلم
فتکفی رؤیتها او اللسان الذی هو وراء الحجابین بین الاسنان والشفتین
وانت القادر علی منعه وتسکینه بل القلب غرض للخواطر لا تقدر علی منعها
والتحفظ عنها بحال ولا هی تنقطع عنك بوقت ثم النفس مسارعة الی اتباعها
والامتناع عن ذلك فی مجهود الطاقة امر شدید ومحنة عظیمة والرابع ان علاجه
علیك عسیر اذ هو غیب عنك فلا تکاد تشعر حتی تدب فیه آفة وتحدث
وحالة فتحتاج الی ان تبحث عن ذلك ثم البحث بطول الجهد ودقیق النظر
وکثرة الریاضة والخامس ان الآفات الیه اسرع فهو الی الانقلاب اقرب
فلقد قیل ان القلب اسرع انقلابا من القدر فی غلیانها ولذلك سمی القلب
الامن تقلبه والذی تعرف بالانسان اطواره ثم ان زل القلب والعیاذ بالله
فزله عظیم ووقوعه صعب وانقطع اذ ادناه قسوة ومیل الی غیر الله سبحانه ومنتهاه

فی

حسم ونکرة ما نبه عز وجل اما تسمع قوله تعالی حکایة عن ابلیس ابی واستکبر وکان
من الکافرین وکان الکبر بقلبه فحمله علی الاباء والکفر بظاهره اما تسمع قوله تعالی
ولکنه اخلد الی الارض واتبع هواه فکان المیل واتباع الهوی بقلبه فکان ذلك
علی الذنب المشؤوم بنفسه اما تسمع قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم کما لم یؤمنوا
به اول مرة ونذرهم فی طغیانهم یعمهون ولهذا المعنی ایضا الرجل خاف عباد الله
الخواص علی قلوبهم وبکوا علیها وصرفوا عنایتهم الیها قال الله سبحانه فی وصفهم
یخافون یوما تتقلب فیه القلوب والابصار جعلنا الله وایاکم من المعتبرین بالعبر
المتهیئین لمواضع الخطر الموفقین لاصلاحها بحسن النظر انه ارحم الراحمین فان قیل
ان امر هذا القلب لمهم جدا فاخبرنا عن المعانی التی تتعلق به من الآفات التی
تعرض له فتفسده عسی ان نوفق للاجتهاد فی العمل بذلك فقال له اعلم ان تفصیل
هذه المعانی لطویل لا یحتمله هذا الکتاب وانما علماء الآخرة عنوا باستخراج ذلك
والتصنیف فی هذه النکتة لا غیر وقد ذکروا فیما یحتاج الیه من ذلك نحو اربعین خصلة
محمودة وفی اضدادها المذمومة ثم من الافعال والمساعی الواجبة والمحظورة نحو
ذلك فی سائر تفاصیلها ولعمری ان من اهمه امر دینه وانتبه من رقدة الغافلین
فنظر لنفسه فلا یکبر تحصیل جمیع ذلك والعمل به علیه کبیرا ان وفقه الله وقد ذکرنا
نبذة منها فی شرح عجایب القلب من کتاب احیاء علوم الدین واتینا علی شرح
جمیعها بتفاصیلها وکیفیة علاجها فی کتاب اسرار معاملات الدین وهو کتاب مستقل بنفسه
عظیم الفایدة ولا یقنع به الا فحول العلماء الراسخین فی علم الآخرة وموضوع هذا الکتاب
ان یقنع به المبتدی والمتوسط والضعیف فنظرنا فی الاصول التی لا بد من ذکرها

في علاج القلب والحاجة اليها ماسة ولا غنية عنها البتة في شأن العبادة
فوجدناها اربعة امور وهي مداحض العابدين وآفات المجتهدين وهي فتن القلوب
وبليات النفوس وتعوق وتثبط وتشتت وتقلب واربعة في مقابلتها فيها
قوام العبادة وانتظام العبادة واصلاح القلوب فالآفات الاربع الامل
والاستعجال والحسد والكبر والمناقب الاربع قصر الامل والتأني في الامور
والنصيحة للخلق والتواضع والخشوع فهذه هي الاصول في صلاح القلوب وفسادها
والنكت التي تدور عليها المدار فلتبذل المجهود في التحرز من هذه الآفات
والتحصيل لهذه المناقب لكي المؤنة وتظفر بالمقصود ان شاء الله تعالى وسأخبرك
عن هذه الآفات بكلمات وجيزة مقنعة **اما طول الامل** فانه العائق عن
كل خير وطاعة والجالب لكل شر وفتنة وانه الداء العضال الذي يوقع الخلق في
انواع البليات واعلم انك اذا اطلت الامل يهيج منه اربعة اشياء
احدها ترك الطاعة والكسل فيها تقول سوف افعل والايام بين يدي ولا تفوتني
ذلك ولقد صدق داود الطائي رحمه الله حيث قال من خاف الوعيد قرب
عليه البعيد ومن طال امله ساء عمله وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله الامل
قاطع عن كل خير والطمع مانع من كل حق والصبر صائر الى كل ظفر والنفس داعية
الى كل شر والثاني ترك التوبة وتسويفها تقول سوف اتوب وفي الايام
سعة وانا شاب وسني قليل والتوبة بين يدي وانا قادر عليها متى رمتها
وربما تغتاله الحمام على الاصرار فاختطفه الاجل قبل اصلاح العمل والثالث
الحرص على الجمع والاشتغال بالدنيا عن الآخرة تقول اخاف الفقر في الكبر

وربما اضعف عن الاكتساب ولا بد لي من شيء فاضل اذخره لمرض او هرم
او فقر هذا ونحوه فما يحتاج يحرك الى الرغبة في الدنيا والحرص عليها والاهتمام للرزق
تقول ايش آكل وايش اشرب وايش البس ومن اين الشتاء ومن اين الصيف
وما لي شيء ولعل العمر يطول فاحتاج والحاجة مع الشيب شديدة ولا بد من قوة
وغنية عن الناس هذه واشباهها يحرك الى طلب الدنيا والرغبة فيها والجمع لها و
المنع لا اخذك منها واقل ما في الباب يشغل قلبك ويضيع عليك وقتك
ويكثر همك وغمك بلا فائدة ولا طائل على ما روي عن ابي ذر رحمه الله انه قال
قتلني هم يوم لم ادركه قيل وكيف ذاك يا ابا ذر قال ان املي جاوز اجلي والرابع
القسوة في القلب والنسيان للآخرة لانك اذا املت العيش الطويل لا تذكر
الموت والقبر كما قال علي ابن ابي طالب عليه السلام اخوف ما اخاف عليكم
اثنان طول الامل واتباع الهوى الا وان طول الامل ينسي الآخرة واتباع الهوى
يصد عن الحق فاذا يصير فكرك وتعظم قلبك في حديث الدنيا واسباب العيش
في صحبة الخلق ونحوها فيقسو القلب من ذلك وانما رقة القلب وصفوته انما هو
بذكر الموت والقبر والثواب والعقاب واحوال الآخرة واذا لم يكن شيء من ذلك
فمن اين تكون لقلبك رقة وصفوة قال الله تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم فاذا
انك اذا طولت املك قلت طاعتك وتأخرت توبتك وكثرت معصيتك
واشتد حرصك وقسى قلبك وعظمت غفلتك عن الآخرة فذهبت والعياذ
بالله ان لم يرحم الله آخرتك فاي حال اسوء من هذه واي آفة اعظم من هذه
وكل هذا بسبب طول الامل واما ان قصرت املك وقربت من نفسك موتك

وتذكرت حال اقرانك واخوانك الذين فاجأهم الموت في وقت لم يحتسبوا
ولعل حالك مثل حالهم فاحذري يا نفس الغرور واذكري ما قال عون بن عبد الله
كم من مستقبل يوما لا يستكمله ومنتظر غدا لا يدركه لو رأيتم الأجل ومسيره لأبغضتم
الامل وغروره انا سمعت قول عيسى بن مريم على نبينا وعليه السلام الدنيا ثلثة ايام
امس مضى ما بيدك منه شيء وغد لا تدري اتدركه ام لا ويوم انت فيه فاغتنمه
ثم قول ابي ذر رضي الله عنه الدنيا ثلثة ساعات ساعة مضت وساعة انت فيها و
ساعة لا تدري اتدركها ام لا فلست تملك بالحقيقة الا ساعة واحدة اذ الموت
من ساعة الى ساعة ثم قول بعض شيخنا الدنيا ثلثة انفاس نفس مضى عملت فيه ما عملت
ونفس لا تدري اتدركه ام لا اذ كم من متنفس نفسا فجاءه الموت قبل النفس الآخر
فلست تملك الا نفسا واحدا لا يوما ولا ساعة فبادر في هذا النفس الواحد الى الطاعة
قبل ان يفوت والى التوبة فلعلك في النفس الآخر تموت ولا تهتمي يا نفس
بالرزق فلعلك لا تبقين لتحتاجي اليه فيكون وقتك ضائعا والهم فضلا وما احسن
ان يتم الانسان ليوم واحد او ساعة واحدة او نفس واحد كما تذكرين ما قال النبي عم
الا تعجبون من اسامة المشتري الى شهر ان اسامة لطويل الامل والله
ما وضعت قدما فظننت اني ارفعها ولا لقمة فظننت اني اسيغها حتى اغص
الموت والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين فاذا انت ايها العليل
ان تذكرت هذه الاذكار وواظبت على ذلك بالاعادة والتكرار قصر
املك باذن الله تعالى فبنيه ترى نفسك تبادر الى الطاعات وتقبل توبتك
فتنقطع عنك معصيتك وتزهد في الدنيا وطلبها فيخف حالك وتنفعك

ويقع قلبك في تذكر الآخرة واهوالها وما هو الا من نفس الى نفس تقصير اليها وتعاهدها
واحدا فواحدا فتزول عنه القسوة وتبدل بذلك الرقة والصفاء وتستشعر عند ذلك
الخوف من الله تعالى والخشية فيستقيم لك امر عبادتك ويتقوى الرجاء في ان تسعد
في عاقبتك وتظفر بالمراد في آخرتك وكل ذلك بعد فضل الله
التي هي قصر الامل ولذلك يحكى ان زرارة بن اوفى رحمه الله قيل له بعد موته في النوم
اي الاعمال ابلغ فيما عندكم قال الرضى وقصر الامل فانظر لنفسك ايها الاخ وابذل
المجهود في هذا الاصل الكبير فانه الاهم والاعظم في صلاح القلب والنفس والله تعالى
ولي التوفيق بفضله ورحمته **واما الحسد** فانه المفسد للطاعات الباعث
على الخطيئات وانه الداء العضال الذي يبتلى به الكثير من القراء والعلماء فضلا
عن العامة والجهال حتى اهلكهم واوردهم النار اما تسمع قول رسول الله صلعم ستة
يدخلون النار بستة الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالكبر و
التجار بالخيانة واهل الرساتيق بالجهل والعلماء بالحسد فيجب عنه اشياء احدها
افساد الطاعات قال رسول الله صلعم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب
والثاني فعل المعاصي والشرور على ما قال وهب بن منبه رحمه الله للحاسد ثلث
علامات يتملق اذا شهد ويغتاب اذا غاب ويشمت بالمصيبة اذا نزلت
قلت اما حسبك ان الله تعالى امر بالاستعاذة من شر الحاسد فقال ومن شر حاسد
اذا حسد كما امر بالاستعاذة من شر الشيطان والساحر فانظر كم من الشر
والفتنة حتى انزله منزلة الشيطان والساحر حتى انه لا يستعان عليه ولا يستعاذ
الا بالله رب العالمين والثالث التعب والهم من غير فايدة بل مع كل وزر و

ومعصية كما قال ابن السماك رحمه الله لم أر ظالما أشبه بالمظلوم من الحاسد
نفس دائم وعقل هائم وغم لازم والرابع عمى القلب حتى لا يكاد يفهم حكما من
أحكام الله تعالى ولقد قال سفيان رضي الله عنه عليك بطول الصمت تملك
الورع ولا تكن حريصا على الدنيا تكن حافظا ولا تكن طعانا تنج من ألسن الناس
ولا تكن حاسدا تكن سريع الفهم والخامس الحرمان والخذلان فلا يكاد يظفر بمراد
وينصر على عدو كما قال حاتم الأصم الطعين غير ذي دين والعائب غير عابد
والنمام غير مأمون والحسود غير منصور قلت الحسود كيف يظفر بمراده ومراده
زوال نعم الله تعالى من عباده المسلمين وكيف ينصر على أعدائه وهم عباد الله المؤمنون
ولقد أحسن أبو يعقوب فيما قال اللهم صبرنا على نزع النعم على عبادك وحسن
أحوالهم وأن دار بينه عليك الطاقة وكثر شرك ومعصيتك ويمنعك راحة
النفس وفهم القلب والنصرة على الأعداء والظفر بالمطالب فأي داء يكون أدوأ
منه فعليك بمعالجة نفسك من ذلك والله ولي التوفيق وأما الاستعجال
والخرق فإنه الخصلة المفوتة للمقاصد الموقعة في المعاصي فإن منها تتولد آفات
أربع أحدها أن يقصد العابد منزلة في الخير والاستقامة ويجتهد فربما يستعجل في
نيلها وليس ذلك بوقتها فإما أن يفتر وييأس ويترك الاجتهاد فيحرم تلك المنزلة
وإما أن يتغلب في الجهد وإتعاب النفس فينقطع عن تلك المنزلة فهو بين الإفراط والتفريط
وكلاهما نتيجة الاستعجال ولقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن دينكم هذا متين
فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى وفي المثل السائر
إن استعجل يصل وقال القائل قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون

مع المستعجل الزلل والثانية أن يكون للعابد حاجة فيدعو الله تعالى فيها ويكثر الدعاء
ويجتهد فربما يستعجل الإجابة قبل وقتها فلا يجدها فيفتر ويسأم فيترك الدعاء فيحرم
حاجته ومقصوده والثالثة أن يظلمه إنسان فيغيظه فيستعجل في الدعاء عليه فيهلك
مسلم بسببه وربما يتجاوز عن الحد فيقع في معصية وهلاك قال الله سبحانه ويدع الإنسان
بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا والرابعة أن أصل العبادة وملاكها الورع
والورع أصله النظر البالغ في كل شيء والبحث التام عن كل شيء هو بصدده من أكل
وشرب ولبس وكلام وفعل فإذا كان الرجل مستعجلا في الأمور غير متأن
متثبت لم يتم منه توقف ونظر في الأمور كما ينبغي ويتسارع إلى كل كلام فيقع
في الزلل وإلى أكل كل طعام فيقع في الحرام والشبهة وكذلك في كل أمر فيفوته
الورع فلا خير في عبادة بلا ورع وإذا كان في خصلة الاستعجال من منازل الخير
وحرمان الحاجات وهلاك المسلمين وهلاكه ثم خطر فوت الورع الذي هو رأس المال
فحق للإنسان أن يهتم لها بالإزالة وإصلاح النفس بعدها والله ولي التوفيق وحده
وأما الكبر فإنه الخصلة المنكرة ربما إنما تسع قواعد أي واستكبر وكان
من الكافرين وليت هذه الخصلة بمنزلة سائر الخصال التي تشيع في عمل وتقصر
بفرع وإنما تقصر بالأصل وتقدح في الدين والاعتقاد إذا أوثبت وغلبت لا تتدارك
والعياذ بالله ثم أقل ما يتبع منها على صاحبها أربع آفات أحدها حرمان الحق
وعمى القلب عن معرفة آيات الله تعالى وفهم أحكامه قال الله تعالى سأصرف عن آياتي
الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وقال الله تعالى كذلك يطبع الله على كل
قلب متكبر جبار الثانية المقت والبغض من الله تعالى قال الله عز وجل إنه لا يحب المستكبرين

وروي ان موسى صلعم قال يا رب من ابغض خلقك اليك قال من
تكبر قلبه وغلظ لسانه وصفق عينه وبخلت يده وساء خلقه والثالث الجزع
والاتكال في الدنيا قال حاتم اجتنب الموت على ثلثة على الكبر والحرص
والخيلاء فان المتكبر لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يريه الهوان من ارذل
اهله وخدامه والحريص لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يحوجه الى كسرة او شربة
ولا يجد مساغه والمختال لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يمرغه ببوله وقذره وقيل
من تكبر بغير حق اورثه الله تعالى ذلا بحق والرابعة النار والعذاب في العقبى على
ما روي ان الله تعالى يقول الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني
في واحد منهما ادخلته نار جهنم والمعنى ان العظمة والكبرياء من الصفات
التي تختص بي ولا ينبغي لاحد غيري كما ان رداء الانسان وازاره يختص
به لا يشارك فيه احد وان خصلة تفوتك معرفة الحق وفهم ايات الله تعالى
واحكامه الذي هو اصل الادراك ثم تتركك المقت من الله سبحانه والخزي
في الدنيا والنار في الاخرة لا يسع العاقل ان يغفل عن نفسه فلا يخليها
بازائها بالحذر والتحرز والاستعاذة بالله عز وجل من ذلك وهو ولي التوفيق
والعصمة فهذه بعض ما حضرنا في هذه الخصال الاربع من الافات
وحسب العاقل واحدة منها فضلا عن الكل اذا رعته اخر قلبه وحياته عن
والله الموفق فان قلت فاذا كان الاربعة بهذه المنزلة من افات هذه الخصال
ولزوم التحفظ منها فلا بد من معرفة حقيقتها وحدها فبين لنا ذلك لنعرف
كيف الطريق الى التحفظ عنها فاعلم ان لكل واحدة منها كلاما كثيرا قد اشبعنا

القول في كتاب الاحياء والاسرار ونحن نذكر هنا ما لا بد من ذكره ولا تقع
الغنى عنه فنقول بالله التوفيق **اما الامل** قال اكثر علمائنا رحمهم الله انه ارادة
الحيوة للوقت المتراخي بالحكم وقصر الامل ترك الحكم فيه بان تقيده بالاستثناء
بمشية الله تعالى وعلمه في الذكر او بشرط الصلاح في الارادة فاذا ان ذكرت
حيوتك بان تقول اعيش بعد نفس ثان او ساعة ثانية او يوم ثان بالحكم والقطع فا
امل وذلك منك معصية اذ هو حكم على الغيب فان قيدته بالمشية والعلم
فتقول اعيش ان شاء الله او ان علم الله ان اعيش فقد خرجت عن حكم
الامل وقد صنت بقصر الامل من حيث تركت الحكم فيه وكذلك ان اردت
حياتك للوقت الثاني وقطعا فانت امل فان قيدت ارادتك بشرط الصلاح
خرجت عن حكم الامل وقد صنت بقصر الامل من حيث تركت الحكم فيه فعليك
بترك الحكم في ذكر البقاء وارادته والمراد بالذكر ذكر القلب ثم المراد منه التوطين
على ذلك والتثبيت للقلب عليه فافهم رشدك الله ان شاء الله تعالى ثم الامل ضربان
امل العامة وامل الخاصة فامل العامة ان تريد الحيوة والبقاء لجمع الدنيا والتمتع
بها وهذه معصية محضة وضده قصر الامل قال الله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا
ويلههم الامل فسوف يعلمون وامل الخاصة ان يريد البقاء لاتمام عمل خير وحفظ
وهو ما لا يستيقن الصلاح له فيه فانه ربما يكون خيرا معينا لا يكون للعبد فيه اذن الله
صلاح بان يقع تحتها في اخرة لا يقوم بها هذا الخير فاذا ليس للعبد اذا ابتدا
في صلوة او صوم او غيره ان يحكم بالتمام اذ هو غيب ولا ان يعتقد ذلك قطعا
لانه ربما لا يكون له فيه صلاح بل يقيده ذلك بالاستثناء او بشرط الصلاح ليتخلص

من غيب الاجل قال الله تعالى لنبيه محمد صلعم ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك
غدا الا ان يشاء الله وضده هذا الامر فيما قال العلماء النية وانما قالوا ذلك
على ضرب من الاتباع لان الناوي بالنية المجردة يكون مشتغلا من الامل فهذا
حكم الامل فالنية المجردة اذ قد تمت الحاجة الى موضعها مع امثال الاصل الاول
قالوا رحمهم الله في حده الجامع التام ان النية الصحيحة المجردة ارادة اخذ عمل
مبتداه به قبل سائر الاعمال بالحكم مع ارادة اتمامه بالتفويض والاستثناء
فالامل فلم جاز الحكم في الابتداء ووجب التفويض والاستثناء في الاتمام
يقال لان الثقة الحظ في الابتداء اذ هو في حال الابتداء ليس بشيء متراخ عنك
ولثبوت الحظ في الاتمام اذ هو يقع في وقت متراخ فيه الخطر اي خطر الوصول
لا يدري هل يصل اليه فلعلك ام لا وخطر الفساد لا يدري هل في ذلك صلاح
ام لا فاذا وجب الاستثناء لخطر الوصول والتفويض لخطر الفساد فاذا جمعت
الارادة على هذه الشروط تكن حينئذ نية محمودة مخرجة عن حد الامل والمنية
فاعلم جدا فهذه هذه واعلم ان حصن قصر الامل ذكر الموت وحصن حصنه
ذكر مفاجاة الموت واخذه على غرة وغفلة وبغتة وهو في غرور وفتور
فاحتفظ بهذه الجملة وحصلها موفقا فان الحاجة اليها ماسة وقد ضيع عنك
تضيع الوقت في التسويف والتعلل وملاحاة الرجال والله الموفق بفضله
واما الحسد فهو ارادة زوال نعم الله تعالى عن اخيك المسلم مما له فيه صلاح
فان لم ترد زوالها عنه ولكن تريد لنفسك مثلها فهو غبطة وعلى هذا الحال قوله صلعم
لا حسد الا في اثنتين الخبر اي لا غبطة الا في ذلك فعبر عن الغبطة بالحسد

التاقي

اتساعا للتقارب بها فان لم يكن له فيها صلاح فاردت زوالها عنه فذلك غيرة وتنفذ
الفرق بين هذه الخصال واما ضد الحسد فالنصيحة وهي ارادة بقاء نعمة الله عز وجل
على اخيك المسلم مما له فيها صلاح فان قيل كيف تعلم ان له فيها صلاحا او فسادا
لتنصحه او تحسده فاعلم انه قد يقوم لنا غالب الظن بذلك وغلبة الظن حتى
يجري مجرى العلم في هذه المواضع ثم ان اشتبه عليك فلا ترد زوال نعمة عن احد
من المسلمين او بقاءها الا مقيدا بالتفويض وشرط الصلاح لتتخلص من حكم الحسد
ويحصل لك فائدة النصيحة واما النصيحة المانع من الحسد فتذكر ما اوجب الله
من موالاة المسلمين وحصن هذا الحصن ذكر ما عظم الله من حق المؤمن ورفع الله
من قدره وما له عند الله سبحانه من الكرامات العظيمة والعقبى وما لك فيه من الفوائد
الجليلة في الدنيا من التعاون والتظاهر والجماعات والجمعات ثم ما يرجى من شفاعته
في الآخرة فهذه ونحوها مما يبعث على النصح لكل مسلم وتجنبك ان تحسده في نعمة
اعطاه الله اياها والله سبحانه ولي التوفيق بفضله واما العجلة فانها المعنى الراتب
في القلب الباعث على الاقدام على الامر باول خاطر دون التوقف فيه والاستطلاع
منه بل الاستعجال في اتباعه والعمل به وضدها الاناة وهو المعنى الراتب في القلب
الباعث على الاحتياط في الامور والنظر فيها والتاني في اتباعها والعمل بها ولها التوقف
فضد التعسف قال شيخنا رحمه الله الفرق بين التوقف والتاني ان التوقف
قبل الدخول في الامر حتى تستبين له رشده والتاني بعد الدخول فيه حتى يؤدي
لكل جزء منه حقه ثم مقدمات الاناة ذكر وجوه الخطر في الامور التي تعترض الانسان
وضروب الآفات المخوفة فيها وذكر ما في النظر والتثبت من السلامة وما في التعسف

والاستعجال من الندامة والملامة بهذه وامثالها مما يبعث على التأني والتوقف
في الامور وتمنع من الاستعجال والتعسف والله ولي العصمة برحمته واما الكبر
فاعلم انه خاطر في رفع النفس واستعظامها والكبر اتباعه والضعة خاطر
في وضع النفس واحتقارها والتواضع اتباعه ولكل واحد منهما عامي وخاصي
فالتواضع العامي هو الاكتفاء بالدون من الملبس والمسكن والمركب والكبر
في مقابلة الترفع عن ذلك والتواضع الخاصي هو توطين النفس على قبول الحق ممن كان
وضيعا او شريفا والكبر في مقابلة الترفع عن ذلك وهو معصية كبيرة وخطيئة عظيمة
ثم حصن التواضع العامي ان تذكر مبدءك ومنتهاك وما انت عليه في الحال
من ضروب الآفات والاقذار كما قال بعضهم اوله نطفة مذرة وآخره
جيفة قذرة وانت فيما بينهما حامل العذرة وحصن التواضع الخاصي هو ذكر
عقوبة العادل عن الحق المتمادي في الباطل فهذه جملة كافية لمن استبصر

الفصل الخامس في البطن وحفظها ثم عليك بحفظ البطن واصلاحه
فانه اشق الاعضاء اصلاحا على المجتهد واكثرها مؤنة وشغلا واعتبارها واعظمها
ضررا واثرا لانه المنبع والمعدن ومنه تنبع الامور في الاعضاء من قوة وضعف
وعفة وجماع ونحوه فعليك بصيانته عن الحرام والشبهة اولا ثم عن فضول
الحلال ثانيا ان كانت لك همة في عبادة الله تعالى فاما الحرام والشبهة فانما
يلزمك البحث عنه لثلاثة امور اولها حذرا من نار جهنم قال الله تعالى الذين يأكلون
اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وقال النبي صم
كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به والثاني ان آكل الحرام والشبهة مطرود

لا يوفق

لا يوفق للعبادة اذ لا يصلح لخدمة الله تعالى الا كل طاهر مطهر الست اليس
ان الله تعالى منع الجنب عن الدخول الى بيته والمحدث عن مس كتابه قال عز وجل
من قائل ولا جنبا الا عابري سبيل وقال تعالى لا يمسه الا المطهرون مع ان الجنابة
والحدث امر مباح فكيف من هو منغمس في قذر الحرام ونجاسة السحت والشبهة
متى يصل الى خدمة الله تعالى العزيزة وذكره الشريف سبحانه كلا فلا يكون ذلك
وقال يحيى بن معاذ الرازي الطاعة مخزونة في خزائن الله تعالى ومفتاحها الدعاء
واسنانه الحلال فاذا لم يكن للمفتاح اسنان فلا ينفتح الباب واذا لم ينفتح باب
الخزانة كيف يصل الى ما فيها من الطاعة والثالث ان آكل الحرام والشبهة
محروم وان اتفق له فعل خير فهو مردود عليه غير مقبول منه فاذا لا يكون له من ذلك
الا العناء والكد وشغل الوقت قال النبي صم كم من قائم ليس له من قيامه الا السهر
وكم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والظماء وعن ابن عباس رضي الله عنه
لا يقبل الله صلوة امرء وفي جوفه حرام فهذه هذه واما فضول الحلال فانه
آفة العباد وبلية اهل الاجتهاد واني تاملت فوجدت فيه عشر آفات هي
اصول في هذا الشأن الاولى ان في كثرة الاكل قسوة القلب وذهاب نوره
روي عن النبي صم انه قال لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان
القلب يموت كالزرع اذا كثر عليه الماء ولقد شبه ذلك بعض العلماء بان
المعدة كالقدر تحت القلب تغلي والبخار يرتفع اليه فكثرة البخار تكدره وتسخمه
الثانية ان في كثرة الاكل فتنة الاعضاء وتهيجها وانبعاثها للفضول والفساد
فان الرجل اذا كان شبعان بطرا اشتهت عينه النظر الى ما لا يعنيه من

والاذن الاستماع اليه واللسان التكلم والفرج الشهوة والرجل المشي اليه
وان كان جايعا فتكون الاعضاء كلها ساكنة هادية ولا تطمع الى الشي منها
ولا تنشط لها ولقد قال الاستاذ ابو جعفر رحمه الله ان البطن عضو ان
جاع هو شبع ساير الاعضاء يعني تسكن فلا تطالبك بشي وان شبع
هو جاع ساير الاعضاء وجملة الامر ان ساير افعال الرجل واقواله عقيب
طعامه وشرابه ان دخل الحرام خرج الحرام وان دخل الفضول خرج الفضول
كان الطعام بذر الافعال والافعال ينبت به ومنه والثالثة ان في كثرة
الاكل قلة الفهم للعلم فان البطنة تذهب الفطنة ولقد صدق الداراني رحمه الله
حيث قال اذا اردت حاجة من حوايج الدنيا والآخرة فلا تاكل حتى
تقضيها فان الاكل يغير العقل وهذا امر ظاهر علمه لمن اختبره والرابعة ان
في كثرة الاكل قلة العبادة لانه اذا اكثر الانسان الاكل ثقل بدنه وغلبته بالنوم
عيناه وفترت اعضاؤه فلا يجي منه شي وان اجتهد الا النوم فيكون كالجيفة
الملقاة ولقد قيل اذا كنت بطنا فعد نفسك زمنا ولقد ذكر عن يحيى
بن زكريا عليه السلام ان ابليس تبدا له وعليه معاليق فقال له يحيى ما هذه قال
الشهوات التي اصيد بها بني آدم قال يحيى هل تجد لي فيها شيئا قال لا
الا انك شبعت ذات ليلة فثقلناك عن الصلوة فقال يحيى عليه السلام
لا جرم اني لا اشبع بعدها ابدا فقال ابليس لا جرم اني لا انصح احدا ابدا فهذا
في من لم يشبع عمره الا ليلة فكيف بمن لا يجوع في عمره ليلة واحدة ثم يطلع في
العبادة وقال سفيان العبادة حرفة وحانوتها الخلوة والاتها المجاعة

العظام

والخامسة

والخامسة ان في كثرة الاكل فقد حلاوة العبادة قال ابو بكر ما شبعت
منذ اسلمت لاجد حلاوة عبادة ربي وما رويت منذ اسلمت اشتياقا الى لقاء
ربي وهذه صفات المكاشفين وكان يكاشف واليه اشار صلعم بقوله ما فضلكم ابو بكر
بفضل صوم او صلوة وانما هو بشي وقر في صدره وقال الداراني رضوان الله عليه
احلى ما يكون العبادة اذا التصق ظهري ببطني والسادسة ان فيه خطر الوقوع في
الشبهة والحرام لان الحلال لا يأتيك الا قوتا ولقد روينا عن النبي صلعم ان الحلال
لا يأتيك الا قوتا والحرام يأتيك جزفا جزفا والسابعة ان فيه شغل القلب
والبدن بتحصيله اولا وبتهيئته ثانيا ثم باكله ثالثا ثم باخذه والتخلص عنه رابعا
ثم بالسلامة منه خامسا مما تجده ومنه آفة في البدن من آفات وعلل
ولقد قال صلعم اصل كل داء البردة يعني التخمة واصل كل دواء الازم
يعني الحمية وعن مالك بن دينار رضي الله عنه انه كان يقول يا اهلاه
لقد اختلفت الى الخلاء حتى استحييت من ربي ثم ان هذه الجملة في طلب الدنيا
والطمع الى الناس وتضييع الوقت بسبب كثرة الاكل ما لم يخف والثامنة
من امور الآخرة شدة سكرات الموت وروي في الاخبار ان شدة سكرات
الموت على قدر لذات الحيوة فمن اكثر من هذه اكثر من تلك والتاسعة
نقصان الثواب في العقبى قال الله تعالى اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا
الآية فانه بقدر ما تاخذ من لذات الدنيا تنقص لك من لذات الآخرة
ولهذا المعنى ان الله تعالى عرض الدنيا على نبينا محمد صلعم قال لا انتقص
من آخرتك شيئا خصه بذلك فدل على ان ليس النقصان الا لانه تفضل الله

بذلك والمعاشرة الجنس والمسابة واللوم والتعيير في ترك الادب
في اخذ الفضول وطلب الشهوات فان الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب
وذريعتها الى تباب وهذه جملة العشرة في احديها كفاية لمن نظر لنفسه فعليك
ايها المجتهد بالاحتياط البالغ في القوت كيلا تقع في حرام او شبهة فيلزمك
العذاب ثم بالاقتصار من الحلال على ما يكون عدة على عبادة الله ثم فلا تقع
في شره وتبق في الحبس والحساب فالله سبحانه والله ولي التوفيق فان طلبت تبيين
لي اوائل احكام الحرام والشبهة وحدهما فاقول لعمر الله ثم لقد اشبعنا القول فيه في
اسرار معاملات الدين وذكرنا ما ذكرناها مع ذلك في كتاب الاحياء لكن نشير الى كلمات
معدودة بحيث تصل الى فهم الضعيف المبتدي اذ مقصود من هذا الكتاب بيان
ما ينتفع به المبتدي في العبادة وبعين الطالب قال بعض العلماء المحققين ما تيقنت
كونه ملكا للغير او منهيا عنه في الشرع فهو حرام محض وما اذا لم يكن لك تيقن بذلك
ولكن يغلب في ظنك انه كذلك فهو شبهة وقال الآخرون بل الحرام المحض ما يكون
بعلم او غالب ظن لان غلبة الظن مما يجري مجرى العلم في اكثر الاحكام فاذا تساوت
الامارات حتى تبقى شاكا لا يكون لاحدهما ترجيح عندك فذلك شبهة يشبه انه حلال
ويشبه انه حرام فاشتبه امره عليك والتبس حاله ثم الامتناع عن الذي هو حرام محض
حتم واجب وعن الذي هو شبهة تقوى وورع فهذا اول القولين عندنا فان قيل
فما تقول في قبول جوائز السلاطين في هذا الزمان فاعلم ان العلماء اختلفوا فيه
فقال قوم كل ما لا تتيقن انه حرام فله اخذه وقال الآخرون لا يحل ان يؤخذ
ما لا يتحقق انه حلال لان الاغلب في هذا الزمان المعهود على السلاطين الحرام

والحلال في ايديهم معدوم عزيز وقال قوم ان صلات السلاطين تحل للغني
والفقير اذا لم يتحقق انها حرام وانما التبعة على المعطي قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم قبل
هدية المقوقس ملك الاسكندرية واستقرض من اليهودي مع قول الله تعالى
اكالون للسحت قالوا وقد ادرك جماعة من الصحابة ايام الظلمة واخذوا منهم
منهم ابو هريرة وابن عباس وابن عمر وغيرهم وقال الآخرون لا يحل من اموالهم
شيء للغني ولا للفقير اذ هم موسومون بالظلم والغالب عن مالهم السحت والحرام والحكم
للغالب فيلزم الاجتناب وقال آخرون ما لم يتيقن انه حرام فهو حلال للفقراء
دون الغني الا ان يعلم الفقير ان ذلك عين الغصب فليس له ان يأخذه الا ليرده
على مالكه ولا حرج على الفقير ان يأخذ من اموال السلاطين لانه ان كانت ملك
السلطان فاعطى الفقير فله اخذه بلا ريب وان كانت من فيء او عشر او خراج فللفقير فيه
حق وكذلك لاهل العلم قال علي بن ابي طالب صلوات الله عليه من دخل
الاسلام طائعا وقرأ القرآن ظاهرا فله في بيت مال المسلمين في كل سنة مائتا درهم
ودينار ان لم يأخذها في الدنيا اخذها في الآخرة واذا كان كذلك فالفقير
والعلماء يأخذ من حقه قالوا واذا كان المال مختلطا بمال مغصوب لا يمكن تمييزه
او غصبا لا يمكن رده على صاحبه وذريته فلا مخلص للسلطان منه الا ان يتصدق
به وما كان الله ليأمره بالصدقة على الفقير وينهى الفقير عن قبوله او يأذن للفقير
في القبول وهو عليه حرام قالوا للفقير ان يأخذ الا عين الغصب والحرام الملبس له
اخذه وهذه المسائل لا تكثر الفروع فيها الا بسط وتشقيق واستيعاب القول فيها
يخرج عن المقصود من الكتاب فان اردت معرفتها فطالع كتاب الحلال والحرام من

كتاب احياء علوم الدين بحده مشروحا في شرحنا ان شاء الله تعالى فان قيل ما تقول في صلات
اهل السوق ويزعم اهل الحزم ردها والبحث عنها وقد علمت مجازفتهم وقلة نظرهم في معاملاتهم
وكذلك صلات الاخوان فالجواب انه اذا كان ظاهر الانسان الصلاح والستر
فلا حرج عليك في قبول صلاته وصدقته ولا يلزمك البحث بان تقول قد فسد الزمان فان
هذا سوء الظن بذلك الرجل المسلم بل حسن الظن بالمسلمين مامور به ثم اعلم ان ها هنا اصل
في هذا الباب وهو ان ههنا شيئين احدهما حكم الشرع وظاهره والثاني حكم الورع وحقيقته
فحكم الشرع ان تاخذ ما اتاك ولا تسئل الا ان تتيقن انه غصب او حرام بعينه وحكم
الورع ان لا تاخذ شيئا من احد حتى تبحث عنه غاية البحث وتستقصي غاية الاستقصاء
فتستيقن ان لا شبهة فيه بحال والا فترده فقد روينا عن ابي بكر ان غلاما له اتاه
بلبن فشربه فقال الغلام كنت اذا جئتك بشيء سالتني عنه ولم تسئلني عن هذا اللبن
فقال فما قصته فقال رقيت قوما في الجاهلية فاعطوني هذا فقاءه ابو بكر وقال
اللهم هذا مقدوري فما بقي في العروق فانت حسيبه فهذا ونحو ذلك على وجوب البحث
مما تقدم عليه ان كان لك نظر في الورع وحقيقته فهذه جملة فان قلت فكان الورع
يخالف الشرع وحكمه فاعلم ان الشرع موضوع على اليسر والمسامحة ولذلك قال النبي عليه السلام بعثت
بالحنيفية السمحة والورع موضوع على التشديد والاحتياط كما قيل الا ورع على المتقي
اضيق من عقدة التسعين ثم الورع من الشرع ايضا وكلاهما في الاصل واحد ولكن للشرع حكمان
حكم الجواز وحكم الافضل الاحوط فالجائز يقال له حكم الشرع والافضل الاحوط يقال له حكم
الورع فجامع تميزهما واحد في الاصل فافهم ذلك راشدا ان شاء الله اذا جاز البحث والاستقصاء
عن كل شيء فسد علينا ما ناخذه في هذا الزمان وتعذر الامر جدا على صاحب الورع

او لا بد لمن بلاغ يبلغه الى الطاعة فاعلم ان طريق الورع شديد وان من قصد
سلوكه فشرطه ان يوطن نفسه وقلبه على احتمال الشدة والالتزام لذلك ولهذا لما
صار الكثير من اهل الورع والسابقون الى جبل لبنان وغيره فاقتصروا على الاكل من حشيش
وثمرات يابسة لا شبهة فيها بحال فمن حدثته نفسه الى نيل منزلة الورع الاعلى فعليه
ان يحمل الشدة ايه ويصبر عليها ويسلك طريق اولئك لينال منزلتهم وقال ابن ادهم من
الناس واكل مما بيده او ليوثر في ايديهم فليكن عنده بمنزلة الميتة لا يقدم عليها الا عند الضرورة
ثم لا يتناول منها الا مقدار ما يبلغه الى الطاعة فيكون له عذر في ذلك ولا يغتره وان كان
في اصله شبهة فان الله تعالى اولى بالعفو ولهذا قال الحسن البصري فسد السوق فعليكم بالقوت
ولقد بلغني عن وهيب بن الورد انه كان يجوع نفسه يوما ويومين وثلثه ثم ياخذ رغيفا
ويقول اللهم انك تعلم اني لا اقوى على العبادة واخشى الضعف وان لم آكل اللهم
ان كان فيه شيء من غصب او حرام فلا تؤاخذني ثم يبل الرغيف بالماء ويأكله قلت
فهذان الطريقان للطبقة العليا من اهل الورع فيما نعلم واما من دونهم فلهم احتياط
وبحث على مقدار ولهم ايضا نصيب من الورع على مقدار وبقدر ما تنبغي قال الله تعالى
والله تعالى لا يضيع اجر من احسن عملا وهو عليم بما يفعلون فان قيل فهذا جانب الحرام
فاخبرنا عن جانب الحلال وما حد الفضول الذي يلزم منه الحبس والحساب وما المقدار
الذي اذا اخذه العبد يكون ذلك ادبا ولا يكون فضولا ولا عليه فيه حبس ولا حساب
يقال له اعلم ان احوال المباح في الجملة ثلثة اقسام احدها ان ياخذه العبد تفاخرا
وتكاثرا ومباهاة ورياء فيكون الاخذ منه فعلا منكرا يستوجب على ظاهره فعله الحبس و
الحساب واللوم والتعيير وهو منكر وشر شوم ويستوجب على باطن فعله وهو التكاثر

والشقا في عذاب النار وذلك القصد منه معصية وذنب لقوله تعالى انما الحيوة الدنيا
لعب ولهو وزينة الى قوله وفي الآخرة عذاب شديد وقال النبي صلعم من طلب الدنيا
حلالا مباهيا مكاثرا مفاخرا مرائيا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان فالوعيد على
قصده ذلك بتلبيه القسم الثاني ان يأخذ الحلال لشهوة نفسه لا غير فذلك اي عذاب
منه شر يستوجب عليه الحبس والحساب لقوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم وقال عم
حلالها حساب وحرامها عقاب القسم الثالث ان يأخذ من الحلال في حال العذر
قدر ما يستعين على عبادة الله تعالى ويقتصر على ذلك فذلك منه خير وحسنة وادب
لا حساب عليه ولا عذاب بل يستوجب عليه الاجر والمدحة لقوله تعالى اولئك لهم
نصيب مما كسبوا وقال صلعم من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسئلة احترازا
وتعطفا على جاره وسعيا على عياله جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر وذلك
ما قصده بهذه الحيثية المقصودة المحمودة لله سبحانه فهذه بهذه فاعلمها فان قيل
ما شرط المباح حتى يصير خيرا وحسنة كما ذكرتم فاعلم انه يحتاج لكونه خيرا الى الاصل الى شرطين
احدهما الحال والثاني القصد فالحال يجب ان يكون في حال عذر وهو بحيث انه لم يأخذ
يتوخذ وتغيره ان يكون عاجزا انه لو لم يأخذ ذلك المباح ينقطع بسببه عن فرض او سنة او نفل
يكون ذلك افضل من ترك المباح فان ترك المباح الدنيا فضيلة فاذا كان الحال كذلك
فهو حال العذر واما القصد فهو ان يقصد به القوة والاستعانة على عبادة الله سبحانه و
هو ان يذكر بقلبه انه لولا ما فيه من التوصل الى عبادة سبحانه لما اخذه فذلك فهذا ذكر
الحق فلا حصل ذكر الحق في حال العذر صار ذلك الاخذ من الدنيا الحلال خيرا وحسنة
وادبا واما لو كان حاله حال العذر ولا يكون له هذا القصد والذكر او يكون له هذا الذكر
ذكر الحق

وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد

والكفار بهذا الزراع لكونه بانه حفر [illegible] البزرات ان النبع يكون في اول بحارات في العيون كما حسن ما يكون معجبا بعد يبسها مصفرا الا كثر وليستوي فيجف ويكون يتكسر الاعلاء ويستبدل بسنبله ثم يراه يكون حطاما [illegible] الدنيا في اول الادم [illegible] اطفالا في اول الولادة وفي حال الطفولية كما حسن ما يعجبون الآباء وينشؤن ذوي الاحكام والنفي ثم يبرزون فيصيرون شيوخا منكسة رؤسهم منحنية ظهورهم [illegible] جسمهم وقوتهم وفني شبابهم وجمالهم وذهبت غضارتهم واستولى عليهم الهرم واليبس ثم يموتون فيصيرون حطاما في القبر كالتبن في الارض هذا ابعد ما وصفنا بحسن صفات موصوفة لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر وكان الاولون يسمون الدنيا خنزيرة وكانوا يسمونها ام دفر والدنيا النتن ام دفر

اولا يكون

اولا يكون في حال العذر فلا يصير ذلك الاخذ من جملة الخيرات ثم الاستعانة على حفظ
هذا الادب يحتاج الى بصيرة وتقييد مجمل بانه لا يأخذ الدنيا بحال الا للعقدة على
عبادة الله تعالى حتى اذا ان سهى عن ذكر الحق في حالي اجزاءه فذلك القصد المجمل
عن تجديد ذكر الحق قال شيخنا فصارت الامور الثلثة معتبرة به كل واحدة من وجه
يعني ان الذكر والحال معتبران في حصول كونه خيرا والصلاة والقصد المجمل المقتصر على بصيرة
منزلة الادب معتبر في الاستعانة عليه فافهم ذلك راشدا فان قيل فان اخذ الدنيا
الحلال لشهوة فهل يكون ذلك معصية وهل يلزم عليه عذاب وهل الاخذ بالعقد
فرض ام لا فاعلم ان ذلك فضيلة وتسميه خيرا وحسنة والامر به امر تاديب والاخذ
بالشهوة شر وسيئة والنهي عنه نهي زجر وليس ذلك بمعصية ولا يكون عليه عذاب
النار وانما عليه الحبس والحساب واللوم والتعيير فان قيل فما هذا الحبس والحساب
الذي يلزم العبد فاعلم ان الحساب ان تسئل يوم القيمة عما اخذت واكتسبت وفيما ذا
انفقت وماذا اردت بذلك والحبس حبس عن الجنة مدة الحساب بذلك
في عرصة القيمة بين الماء [illegible] عطشان وكفى بذلك بلية فان قيل
فالله سبحانه وتعالى قد احل لنا هذا الحلال فما اللوم والتعيير في اخذه لاذا فاعلم
ان اللوم والتعيير لترك الادب كمن اجلس على مائدة الملك فترك الادب
فانه يعير بذلك ويلام وان كان الطعام له مباحا والاصل في هذا الباب
ان الله تعالى خلق العبد لعبادته وهو عبد الله تعالى من كل وجه وحق العبد ان
يعبد الله تعالى من كل وجه يمكنه ويجعل افعاله كلها عبادة من اي وجه امكنه فان
لم يفعل ذلك وآثر شهوة نفسه واشتغل بذلك عن عبادة ربه مع تمكنه من

ذلك من غير تعذر والدار دار خدمة وعبادة لا دار تنعم وشهوة استحق اللوم
بذلك والتعيير من سيده فتأمل هذا الاصل راشدا لا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم فهذه الجملة التي اوردنا بيانها في اصلاح النفس والجامها بلجام التقوى
فأدّ بها حقها واحتفظ بها جدا تفز بالخير الكثير في الدارين ان شاء الله تعالى

فصل فعليك ايها الرجل ببذل المجهود في قطع هذه العقبة العظيمة
الطويلة فانها اعظم العقبات شدة واكثرها مؤنة واكبرها آفة وفتنة فان من
هلك من الخلق كلهم انما انقطعوا عن طريق الحق اما بسبب الدنيا او الخلق او
الشيطان او النفس ولقد ذكرنا في كتبنا المصنفة من كتب الاسرار والاحياء
والقربة الى الله ما يبعث على الاهتمام بذلك ومقصودنا بهذا الكتاب اني سألت
الله ان يطلعني على سر معالجة النفس وان يعلمني ويصلح لي فأفردت في
هذا الكتاب الشريف على كثرة وجيزة الالفاظ غزيرة المعاني تغني من تأملها وتدبره
عن واضحة من الطرق ان شاء الله تعالى وهذا الفصل مختص ببيان في معالجة الدنيا والخلق
والشيطان والنفس اما الدنيا فحق لك ان تحذرها وتزهد فيها لان
الامر لا يخلو من ثلثة اوجه اما انت من ذوي البصاير والفطن فحسبك ان الدنيا
عدوة الله سبحانه وهو حبيبك وودك وان الدنيا نتيجة عقلك والعقل حسبك
واما انت من ذوي الهمم في عبادة الله تعالى والاجتهاد فحسبك ان الدنيا تمنع
من تشوقها مما يفوتك ارادتها ويشغلك الفكرة فيها عن العبادة والحزن كيف
تفنيها واما انت من اهل الغفلة لا بصيرة لك بتعرف الحقايق ولا همة لك
تبعث على المكارم فحسبك ان الدنيا لا تبقى اما ان تفارقها واما ان تفارقك

كما قال

كما قال الحسن ان بقيت لك الدنيا لم تبق لها فاي فايدة اذا في طلبها وانفاق
العمر العزيز عليها ولقد احسن القائل حب الدنيا تساق اليك عفوا ** ليس
مصير ذلك الى الزوال ** وما دنياك الا مثل ظل ** اظلك ثم آذن بارتحال
فلا ينبغي للعاقل ان يخدع بها ولقد صدق القائل حيث قال ** اضغاث نوم
او كظل زائل ** ان اللبيب بمثلها لا يخدع واما الشيطان فحسبك فيه ما قال
الله تعالى لنبيه محمد صلعم وقل اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب
ان يحضرون فهذا امام العالمين واعلمهم وافضلهم عند الله يحتاج مع ذلك ان يتعوذ
بالله من شر الشيطان فكيف بك مع جهلك ونقصك وغفلتك واما الخلق
فحسبك فيه منهم انك لو وافقتهم ووافقتهم في اهوائهم اثمت وافسدت
امر آخرتك وان خالفتهم تعبت باذياتهم وجفوائهم وكدرت عليك امر
دنياك ثم لا تأمن ان يلجئوك الى معاداتهم ومنابذاتهم فتقع في شرهم ولانهم
ان مدحوك وعظموك اخافت عليك الفتنة والعجب وان ذموك وحقروك
اخاف عليك الحزن تارة والغضب لغير الله تعالى اخرى وكلا الامرين آفة مهلكة
ثم اذكر حالك معهم بعد ما صرت الى القبر بثلثة ايام كيف يتركونك ويهجرونك
وينسونك ولا يكادون يذكرونك او يترحمون يوما وهم يرثون ما تركت هنالك
الا الله سبحانه افلا يكفيك من الغبن العظيم ان تضيع ايامك مع هؤلاء الخلق مع
قلة الوفاء وقلة الابتداء معهم وتترك خدمة الله تعالى الذي مرجع اليه آخر الامر وحده
ولا يبقى لك الا هو ابد الآبدين الحاجات كلها اليه والتكلان كلها عليه والاعتصام
كلا في كل حال وعنه كل شدة وهول به وحده لا شريك له فتأمل يا مسكين لعلك

ترشد إن شاء الله تعالى والله ولي الهداية بفضله **وأما النفس** فحسبك ما تشاهد
من حالاتها ورداءة إرادتها وسوء اختيارها ففي حال الشهوة بهيمة وفي حال
الغضب سبع وفي حال المصيبة تراها طفلا وفي حال النعمة تراها فرعونا وفي الجوع
تراها مجنونا وفي حال الشبع تراها مختالا إن أشبعتها بطرت ومرحت وإن جوعتها
صاحت وجزعت فهي كما قال الأول كحمار سوء إن أقضمته رمح الناس وإن
جاع نهق ولقد صدق بعض الصالحين حيث قال إن رداءة هذه النفس وجهلها
بحيث إذا همت بمعصية أو انبعثت لشهوة لو تشفعت إليها بالله سبحانه ثم
برسوله وبجميع أنبيائه وبكتابه وبجميع السلف الصالحين من عباده وتعرض عليها الموت
والقبر والقيمة والجنة والنار لا تعطي القياد ولا تترك الشهوة ثم إن استقبلتها بمنع
رغيف فإنها تسكن وتترك شهوتها لتعلم خستها وجهلها فإياك إياها أجل أن
تغفل عنها فإنها كما قال خالق العالم بها جل جلاله إن النفس لأمارة بالسوء
فكفى بهذا تنبيها لمن عقل ولقد بلغنا عن بعض الصالحين قال قال أحمد بن أرقم البلخي
إنه قال نازعتني نفسي بالخروج إلى الغزو فقلت سبحان الله تعالى إن الله يقول
إن النفس لأمارة بالسوء وهذه تأمرني بالخير لا يكون هذا أبدا ولكنها استوحشت
فتريد لقاء الناس فتستروح إليهم ويتسامع الناس بها فيستقبلونها بالتعظيم والبر
والإكرام فقلت لها لا أنزلك العمران ولا أنزل على معرفة فأجابت فاتهمت
الظن بها وقلت الله تعالى أصدق فقلت لها أقاتل العدو حاسرا فتكونين
أول قتيل فأجابت وعدد أشياء مما راودها فأجابت إلى كل ذلك قال فقلت
يا رب نبهني لها فإني متهم لها مصدق لك فكوشفت كأنها تقول يا أحمد

انك تقتلني

أنت تقتلني كل يوم بمنعك إياي شهواتي مرات ولا يشعر
بي أحد فإن قاتلت قتلت مرة واحدة فنجوت منك ويتسامع الناس
فيقال استشهد أحمد ويكون لي شرفا وذكرا قال فقعدت ولم أخرج إلى الغزوة
في ذلك العام فانظر إلى خداع النفس وغرورها ترائي الناس بعد الموت بعمل
لم يكن بعد ولقد صدق القائل وأحسن توق نفسك لا تأمن غوائلها ؛
فالنفس أخبث من سبعين شيطانا ؛ فتنبه رحمك الله لهذه الخداعة الأمارة
بالسوء ووطن قلبك على مخالفتها بكل حال تصب وتسلم إن شاء الله تعالى ثم عليك
بإلجامها بالتقوى لا حيلة لها سواه واعلم أن هنا أصلا أصيلا وهو أن
العبادة شطران شطر الاكتساب وشطر الاجتناب فالاكتساب فعل الطاعة
والاجتناب الامتناع عن المعاصي والسيئات وهو التقوى وإن شطر الاجتناب
على كل حال أسلم وأصلح وأفضل وأشرف للعبد من شطر الاكتساب ولذلك
يشتغل المبتدئون من أهل العبادة الذين هم في أول درجة الاجتهاد بشطر الاكتساب
كل همتهم أن يصوموا نهارهم ويقوموا ليلهم ونحو ذلك ويشتغل المنتهون أولوا
الأبصار من أهل العبادة بشطر الاجتناب إنما همتهم أن يحفظوا قلوبهم عن الميل
إلى غير الله تعالى وبطونهم عن الفضول وألسنتهم عن اللغو وأعينهم عن النظر إلى ما لا يعنيهم
ولقد بلغنا قال العابد الثاني من العباد ليونس عليه السلام يا يونس إن من الناس
من حبب إليهم الصلوات فلا يؤثرون عليها شيئا وهي عمود العقيدة بالثبات
لله تعالى والصدق والتضرع والابتهال ومنهم من حبب إليهم الصوم فلا يؤثرون
عليها شيئا ومنهم من حبب عليهم الصدقة فلا يؤثرون عليها شيئا يا يونس

وان تغتر لك بهذه الخصال اجعل صومك الصمت عن كل سوء واجعل قصدك
كف الاذى فانك لا تتصدق بشيء افضل منه ولا تصوم بشيء ازكى منه فاذا
علمت ان جانب الاجتناب اولى بالرعاية والاجتهاد فيه فان حصل لك
الشطران جميعا الاكتساب والاجتناب فقد استكمل امرك وحصل مرادك
ولقد سلمت وغنمت وان لم تبلغ الا الى احدهما فليكن ذلك جانب الاجتناب
فتسلم ان لم تغنم والا فوت الشطران جميعا وما ينفعك قيام الليل وتعبه ثم تحبطه
بارادة واحدة وما ينفعك صيام نهار طويل وتفسده بكلمة واحدة ولقد روينا
عن ابن عباس انه قيل له ما تقول في رجلين احدهما كثير الخير كثير الشر والآخر
قليل الخير قليل الشر قال لا اعدل بالسلامة شيئا وشاهد ما قلناه حال المريض
وذلك ان معالجة المريض نصفان نصف هو الدواء ونصف هو الاحتماء
فان اجتمعا فكانك بالمريض وقد برئ وصح والا فالاحتماء به اولى اذ لا ينفع
دواء مع ترك الاحتماء ولقد ينفع الاحتماء مع ترك الدواء ولقد قال صلى الله عليه وسلم اصل
كل دواء الحمية والمعنى بها والله اعلم انها تغني عن كل دواء ولذا قال ان اهل
الهند جل معالجتهم الحمية يمنع المريض عن الاكل والشرب والكلام عدة ايام
فيبرأ ويصح بذلك لا غير فتبين لك بهذه الجملة ان التقوى ملاك الامر وجوهره
واهتمام الطبقة العلية العليا من العباد فعليك ببذل المجهود في ذلك مع صرف
كل العناية اليه والله سبحانه ولي التوفيق فصل ثم راع هذه الاعضاء
الاربعة التي هي الاصول الاول العين وحسبك فيها ان مدار امر الدين والدنيا
على القلب وان خطر القلب وشغله وفساده في الاكثر من العين ولذلك قال

علي بن ابي طالب عليه السلام من لم يملك عينه فليس للقلب عنده قيمة والثاني
اللسان وحسبك ان فيه ربحك وغنيمتك وثمرة تعبك واجتهادك كله
العبادة والطاعة وان خطر العبادة واحباطها وافسادها في الاكثر من قبل اللسان
بالتصنع والتزين والغيبة ونحوها يتلف عليك بلحظة واحدة ما تتعب فيه
سنة واحدة بل خمسا وعشرا ولذلك قيل ما شيء احق بطول السجن من اللسان
وفيما روي ان احد العباد السبعة قال ليونس عليه السلام يا يونس ان العباد
اذا اجتهد وان العبادة قد لم تتفقوا على عبادتهم شيء افضل من الصمت عن الكلام في
فضل طويل ثم عاد الى ذلك فقال لا يكونن عندك شيء آثر من حفظ لسانك
ولا يكونن لشيء احب من سلامة صدرك فهذه هذه ثم اذكر النفس التي تكلمت
فيه بفضول ما كان يضرك لو قلت استغفر الله وربما يوافق ساعة عزيزة
فيغفر الله لك فتربح ربحا وتبك او قلت لا اله الا الله فيكون لك من الاجر
والذخر ما لا يحيط به وهمك او تقول اسأل الله العافية فربما تتفق حسن
نظر فيستجيب الله دعوتك فتنجو من بلية الدنيا والآخرة الا يكون من
الخسران العظيم والغبن الفظيع ان تفوت على نفسك كل هذه الفوائد الكريمة
وتجعل نفسك ودينك في فضول اقل ما يلزمك فيه اللوم والحساب يوم القيامة
ولقد احسن القائل واذا ما صمت بالنطق بالباطل فاجعل مكانه تسبيحا
والثالث البطن وحسبك ان مقصود كل العبادة وان الطعام بذر
العمل ومادة منه يبدو وينبت واذا خبث البذر لا يطيب الزرع بل فيه
خطر ان يفسد عليك ارضك فلا تنفع ابدا من ذلك بالمنفعة معروف الاكثر وجوه

انه قال اذا اصبحت فانظر على اى شئ تفطر وعند من تفطر وطعام من تاكل
فكم من يأكل الاكلة فينقلب قلبه عما كان عليه لا يعود الى حاله ابدا وكم من اكلة
حرمت قيام ليل وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليأكل الاكلة
فيحرم بها قيام سنة فعليك ايها الرجل بالنظر الدقيق والاحتياط التام الشديد
فى قوتك ان كان لك عناية بقلبك وهمة فى عبادة ربك هذا اى الاصل
القوت حتى يكون من وجهه ثم عليك بالادب فيه والا كنت فيه حمالا للطعام
مضيعا للايام اذ قد علمنا يقينا بل قد راينا عيانا ان العبادة لا يحيى معها شى
اذا امتلا البطن وان اكرهت النفس على ذلك وجاهدت بضرب الجبل
فلا يكون لتلك العبادة لذة ولا حلاوة ولذلك قيل لا تطمع بحلاوة فى العبادة
مع كثرة الاكل ومن يوفق نفس بلا عبادة ومن عبادة بلا لذة ولا حلاوة
ولهذا المعنى قال ابراهيم بن ادهم رحمه الله صحبت اكثر رجال الله تعالى
فى جبل لبنان فكانوا يوصونني اذا رجعت الى ابناء الدنيا فعظهم باربع
قل لهم من يكثر الاكل لا يجد لذة العبادة ومن ينم كثيرا لا يجد فى عمره بركة
ومن طلب رضاء الناس فلا ينتظر رضاء الرب ومن يكثر الكلام بالفضول
والغيبة فلا يخرج من الدنيا على دين الاسلام وعن سهل رحمه الله انه قال جماع الخير
كله فى هذه الخصال الاربع وبها صارت الابدال ابدالا اخماص البطون
والصمت والاعتزال عن الخلق وسهر الليل وقال بعض العارفين الجوع راس
مالنا ومعناه ان ما يحصل لنا من فراغ القلب وسلامته وعبادة وحلاوة وعلم
نافع بسبب الجوع والصبر عليه لله سبحانه واما القلب فحسبك انه اصل

الكل

الكل ان افسدت فسد الكل وان صلحت صلح الكل اذ هو الشجرة وساير الاعضاء
اغصان ومن الشجرة تشرب الاغصان وتصلح وتفسد وانه الملك وساير
الاعضاء تبع واركان واذا صلح الملك صلحت الرعية واذا فسد فسدت فاذا
صلاح العين واللسان والبطن وغيره دليل على صلاح القلب ووجوده واذا
رايت فيه خللا وفسادا فاعلم ان ذلك من خلل فى القلب وفساد وقع ثم
بل الشر وفيه اكثر فاصرف عنايتك اليه فاصلحه يصلح الكل بمرة فتستريح ثم امره
دقيق عسير اذ هو مبني على الخواطر وهي ليست تحت يدك والاستماع من اتباعها
مجهود طاقتك فيه اقتضى المشقة ولهذا المعنى صار اصلاحه اشد على اهل الاجتهاد
والاهتمام بامره اكثر واكبر عند ذوي البصاير وعن ابي يزيد رحمه الله انه قال كانت
قلبي عشرا ولسانى عشرا ونفسى عشرا فكان قلبي اصعب الثلث فهذه فعليك
بالاهتمام بالخصال الاربع التي ذكرناها من الامل والعجلة فى الامور والحسد والكبر
انما خصصنا هذه الاربع من بين ساير الخصال فى هذا الموضع وحققنا على الاحتراز
منها لانها علل القراء خاصة اذ هي تعتري ساير الناس عموما والقراء خصوصا
فيكون اقبح واشنع ترى الرجل القارى يطول الامل ويعقد نية خير ينويه
فى الكسل والتوانى فى العمل وتراه يستعجل فى تحصيل منازل الاخر فيتقطع عنها
او فى اجابة دعاء وصالح فيحرم ذلك او فى الدعاء على احد بسوء فيقع على ذلك
كما ذكر عن نوح عليه السلام وتراه يحسد نظراءه على ما اتاهم الله من فضله حتى ربما
يبلغ ذلك منه مبلغا يحمله على فضايح وقبايح لا يقدم عليها فاسق ولا فاجر ولهذا المعنى
قال سفيان الثوري ما اخاف على ديني الا القراء والعلماء فاستنكروا منه ذلك

فقال ما انا قلته انما قاله ابراهيم النخعي وعن عطاء قال قال لي الثوري احذروا
القراء واحذروني معهم فلو خالفت احدهم لي في رمانة فاقول انها حلوة و
يقول انها حامضة ما امنته ان يسعى بدمي الى السلطان الجائر وعن مالك
بن دينار انه قال اني اقبل شهادة القراء على جميع الخلق ولا اقبل الشهادة
بعضهم على بعض لاني وجدتهم حسادا وعن الفضيل انه قال لابنه اشتر لي
دارا بعيدة من القراء ما لي وللقوم ان ظهرت مني زلة هتكوني وان ظهرت
علي نعمة حسدوني وكذلك تراه يتكبر على الناس ويستخف بهم مصعرا خده
مقبضا وجهه كانما يمتن على الناس بالذي يصلي زيادة ركعتين او كانما جاءه من
الله منشور بالجنة والبراءة من النار او كانه استيقن السعادة لنفسه
والشقاوة لسائر الناس ثم مع ذلك يلبس لباس المتواضعين من صوف
وغيره ويتماوت وهذا لا يليق بالترفع او التكبر ولا يلائمه بل يناقضه ولكن
الاعمى لا يبصر وذكر ان فرقد السبخي دخل على الحسن وعليه كساء وعلى الحسن
حلة فجعل يلمسها فقال له الحسن ما لك تنظر الى ثيابي ثيابي ثياب اهل الجنة
وثيابك ثياب اهل النار بلغني ان اكثر اهل النار اصحاب الاكسية
ثم قال الحسن جعلوا الزهد في ثيابهم والكبر في صدورهم والذي يحلف به الله
لاحدكم بكسائه اعظم كبرا من صاحب المطرف بمطرفه والى هذا المعنى اشار
ذو النون رحمه الله حيث قال : تصوفت فازدهيت بالصوف جهلا
وبعض الناس يلبسه مجانه : يريك مهانة ويريك كبرا وليس
الكبر من شكل المهانة : تصوف كي يقال له امين : وما معنى تصوفه الامانة

ولا يرد الاثارة ولكن : اراد به الطريق الى الجنة : فلتحذر ايها الرجل من
هذه الافات الاربع لا سيما الكبر فان الثلاث الاول مع قبحهن لو زللت
فيها لوقعت في العصيان والكبر مع قبحه لو وقعت فيه لوقعت في كبار الكفر و
الطغيان ولا تنس حديث ابليس وقصته انه ابى واستكبر وكان من الكافرين
والرجوع الى الله جل وعلى ان يعصمنا جميعا بحسن نظره انه الجواد الكريم

فصل

في جملة الامر انك اذا نظرت بعقلك ايها الرجل
فعلمت ان الدنيا لا بقاء لها وان نفعها لا يفي بضررها وتبعاتها من كد البدن
وشغل القلب في الدنيا والعذاب الاليم والحساب الطويل في الاخرة زهدت
في فضولها فلا تاخذ منها الا ما لا بد لك منه في عبادة ربك وتدع التنعم و
التلذذ الى دار النعيم المقيم في جوار رب العالمين الملك القادر الغني الكريم
وعلمت ان الخلق لا وفاء لهم وان مؤنتهم اكثر من معونتهم فيما يعنيك تركت
مخالطتهم الا فيما لا بد لك منه فتنتفع بخيرهم وتجتنب شرهم وتجعل صحبتك
لمن لا تخلو من صحبته ولا تندم على خدمته وامسك بكتابه ولازمت لبابه
فيكون لك بكل حال وترى منه كل جميل وافضال وتجده عند كل نائبة في
الدنيا والاخرة كما قال عليه السلام احفظ الله تجده حيث اتجهت وعلمت
ان الشيطان خبيث قد تجرد لعداوتك فاستعذت بربك القادر القاهر
من هذا الكلب اللعين ولا تشتغل عن مكايده ومصايده فتطرده بذكر الله تم
ولا تعبا بعد ذلك فانه يسير اذا طلب منك عزيمة الرجال وانه كما قال تعالى انه
ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون ولقد صدق ابو حازم

فيما قال ما الدنيا وما ابليس اما الدنيا فما مضى منها فحلم وما بقي فاماني واما الشيطان
فوالله لقد اطيع فما نفع ولقد عصي فما ضر وعلمت حال النفس وحاجتها الى ما يقرها
وبملكها نظرت اليها برحمة لما نظر العقلاء العلماء الذين ينظرون في العواقب لا نظر الجهال
والصبيان الذين ينظرون الحال ولا يفطنون لغاية الاذى ويرقون من مرارة الدواء
والجمتها بلجام التقوى بان تمنعها عما لا تحتاج اليه بالحقيقة من فضول طعام وكلام ونظر
او تلبس بخصلة فاسدة من طول امل او عجل او حسد مسلم او تكبر في غير موضع
او اكل بمحض شهوة وشره وتعطيها ما ليس لها منه بد ولا تخاف منه ضررا او [illegible]
الى الفضول وقد وسع الله تعالى الامر على عباده برحمته واغناهم عن جميع ما يقرهم في امر
دينهم فاتق حاجة الى ذلك فان الامر كما قال بعض العاملين ان التقوى
اهون شيء اذا رأيت شيء امر تركته فان النفس ستكين وتتعود ما عودتها
وانه كما قال القائل :: فالنفس راغبة اذا رغبتها :: واذا ترد الى قليل تقنع
وقال آخر :: هي النفس ما حملتها تتحمل :: وقال آخر :: وما النفس الا حيث يجعلها الفتى
فان توقت تاقت والا تسلت :: فاذا ملكت الزهد وصفناه كنت من الزاهدين
الراغبين في الآخرة واعلم ان من سمي باسم الزهد مطلقة سمي بالف اسم محمود وجيه
وكنت من المنزهين المنقطعين الى الله تعالى سبحانه الذين هم اهل الانس خدم
رب العالمين مكرمون كما قال القائل :: تشاغل قوم بدنياهم :: وقوم تخلوا لمولاهم
فالزمهم باب مرضاته :: وعن سائر الخلق اغناهم :: وكنت من المجاهدين في الله
الخواص من عباد الله الذين قال فيهم سبحانه ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
وكنت من المتقين الذين لهم سعادة الدارين وصرت حينئذ افضل من الملائكة

المقربين



المقربين اوليت لهم شهوة تدعو الى قبيح ولا نفس خبيثة وكنت قد خلفت هذه
العقبة الطويلة الشديدة وسبقت العوائق كلها الى مقصودك ولا يفوتك امر التقوى
فاذن مع الاستعانة بالله تعالى والاعتصام به لكن تسال الله تعالى وهو خير مسؤول ان
يمدك وايانا بتوفيقه وعونه وتيسيره فانه الكافي لكل مهم والاستعانة به في كل
معضل بيده الخلق والامر وهو على كل شيء قدير فهذا ما اردنا ذكره في هذه الباب
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والله اعلم العقبة الرابعة وهي عقبة
العوارض ثم عليك يا طالب العبادة وفقك الله بكفاية العوارض الشاغلة
عن عبادة الله تعالى وسد سبيلها عليك لئلا يشغلوك عن مقصودك وقد ذكرنا
انها اربعة احدها الرزق ومطالبة النفس بذلك وانما كفايته في التوكل فعليك
بالتوكل على الله سبحانه وتعالى في موضع الرزق والحاجة بكل حال وذلك لامرين
احدهما التفرغ للعبادة ويتمشى لك من الخير حقه فان من لم يكن متوكلا فلا بد من الاشتغال
عن عبادة الله بسبب الحاجة والرزق والمصالحة اما ظاهرا واما باطنا اما بالطلب
وكسب بالبدن كعامة الراغبين في الدنيا او بذكر وارادة ووسوسة بالقلب كالمجتهدين
المتقين والعبادة تحتاج الى فراغ القلب والبدن ليتحصل حقها والوفقة لا يكون
الا للمتوكلين بل اقول كل من هو ضعيف القلب لا يكاد يطمئن قلبه الا بشيء معلوم من الدنيا
ولا يكاد يتم له امر خطير من دنيا او آخرة وكثيرا ما سمعت شيخنا ابا محمد رحمه الله
يقول انما الامور تمشي في العالم برجلين متوكل ومتهور قلت انا وهذا كلام
جامع في معناه فان المتهور يقصد الامور على قوة وعادة وجراءة قلب لا بالمتيقن
الى ما يعرفه او خاطر فيضعفه فيتجزل الامور والمتوكل يقصد الامور على ثقة



وعادة وجراءة طب لا يلتفت الى صارف يصرفه او خاطر يضعف فيثني الاهم
والمتوكل يقصد الامور على قوة وبصيرة وكمال يقين بوعد الله سبحانه وتمام ثقة
بضمانه لا يلتفت الى انسان يخوفه او شيطان يوسوسه فيفوز بمقاصده ويظفر
بمطالبه واما المعلق الضعيف ابدا بين تحول وتردد وقصور وتحير كالحمار في
معلفه والدجاج في قفصه يرتق ما تعود من صاحبه لا يكاد ينفك من ذلك
تقاعدت نفسه عن معالي الامور وانقطعت همته فلا يكاد يقصد امرا شريفا
وان قصده فلا يكاد يظفر ولا يتم له ذلك اما ترى اصحاب الهمم من ابناء
الدنيا لم ينالوا مرتبة كبيرة ومنزلة خطيرة الا بانقطاع قلوبهم عن انفسهم واموالهم
واهليهم اما الملوك فيباشرون الحروب ويقتحمون الاعداء اما هلكا واما ملكا
حتى يحصل لهم مرتبة الملك وعقد الولاية وقيل ان معاوية لما نظر الى العسكرين
يوم صفين قال من اراد خطرا اخاطر بنفسه واما التجار فيركبون المهالك
برا وبحرا ويطرحون انفسهم واموالهم في المقاطع شرقا وغربا ويوطنون انفسهم
على احد الامرين اما فوت الارواح واما حصول الارباح حتى يحصل لهم
كل ربح عظيم ومال جسيم وعلق نفيس واما السوقي الذي قد ضعف قلبه ورق
عزمه لا يكاد يقلع القلب عن علاقته من نفسه وماله خوفا من حبة الى دكانه طول
عمره ولا يصل الى مرتبة شريفة كالملوك ولا الى ربح عظيم كالتجار المخاطرين
فان نال في سوقه ربحا على بضاعته وربما ذلك لكثرة وذلك لتعلق
قلبه بشيء معلوم فهذا في الدنيا وابنائها واما ابناء الآخرة فرسان الهمم بهذه الخصلة
التي هي التوكل وقطع القلب عن العلائق لما احكموها وحصلوها حقا تفرغوا

لعبادة

لعبادة الله تعالى وتمكنوا من التفرد عن الخلق والسياحة في الارض واقتحام الفيافي
واستيطان الجبال والشعاب فصاروا اقوياء العباد ورجال الدين واحرار
الناس وملوك الارض بالحقيقة يسيرون حيث يشاؤون وينزلون حيث يشاؤون
ويقصدون من الامور العظام علما وعبادة ما يشاؤون لا عائق لهم ولا حاجز دونهم عندهم
وكل الاماكن واحد وكل الازمان عندهم واحد واليه الاشارة بقوله صلعم من سره
ان يكون اكرم الناس فليتق الله ومن سره ان يكون اقوى الناس فليتوكل على
الله ومن سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يده و
عن سليمان الخواص لو ان رجلا توكل على الله بصدق النية لاحتاج اليه
الامراء ومن دونهم وكيف يحتاج ومولاه الغني الحميد وعن ابراهيم الخواص
قال لقيت غلاما في التيه كانه سبيكة فضة فقلت له الى اين يا غلام قال
الى مكة قلت بلا زاد ولا راحلة فقال يا ضعيف اليقين الذي يقدر على حفظ
السموات والارض يقدر ان يوصلني الى مكة بلا زاد ولا راحلة فلما دخلت
مكة اذا هو في الطواف يقول يا نفس سيحي ابدا ولا تحبي احدا الا الجليل الصمدا
يا نفس موتي كمدا فلما رآني قال يا شيخ انت بعد على ذلك الضعف وقال
ابو مطيع لحاتم الاصم بلغني انك تقطع المفاوز بالتوكل من غير زاد وقال حاتم
زادي اربعة اشياء قال ما هي قال ارى الدنيا والآخرة مملكة لله وارى
الخلق كلهم عبيده وعياله وارى الارزاق والاسباب كلها بيد الله
وارى قضاء الله نافذا في جميع ارض الله ولقد احسن من قال ارى
الزهاد في روح وراحة قلوبهم عن الدنيا مزاحة بعيدة اذا ابصرتهم ابصرت قوما

ملوك الارض بشبعهم سماحة؛ واما الامر الذي اقتضى التوكل على الله تعالى
في هذا الشأن فهو ما ذكرت من الخطر العظيم والامر الكبير فلئن قلت أليس الله قرن
الرزق بالخلق فقال خلقكم ثم رزقكم فدل على ان الرزق من الله لا غير
كالخلق ثم لم يكتف بالدلالة حتى وعد فقال ان الله هو الرزاق ثم لم يكتف
بالوعد حتى ضمن فقال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ثم لم يكتف
بالضمان حتى اقسم فقال فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون
ثم لم يكتف بذلك كله حتى امرنا بالتوكل وبالغ وانذر فقال وتوكل على الحي الذي
لا يموت وقال سبحانه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فمن لم يتيقن قوله ولم يعتبر
ولم يكتف بوعده ولم يطمئن الى ضمانه ولم يقتنع بقسمه ثم لم يبال بامره ووعده
ووعيده فانظر ماذا يكون حاله واي محنة تجيء من هذا وهذه مصيبة
شديدة ونحن فيه في غفلة عظيمة ولقد قال الصادق الامين عليه السلام لابن عمر
كيف انت اذا بقيت بين قوم يخبؤن رزق سنتهم لضعف اليقين
وعن الحسن انه قال لعن الله اقواما اقسم لهم ربهم فلم يصدقوه وقالت الملائكة
عند نزول هذه الآية فورب السماء والارض هلكت بنو آدم اذ اغضبوا الرب
حتى اقسم لهم على ارزاقهم وعن اويس القرني رضي الله عنه لو عبدت الله عبادة
اهل السماء والارض لا يقبل منك حتى تصدقه قيل وكيف نصدقه قال
تكون آمنا بما تكفل الله من امر رزقك وترى جسدك فارغا لعبادته
ولقد قال لهرم بن حيان اين تأمرني ان اقيم فاومأ بيده الى الشام قال
كيف المعيشة بها قال اف لهذه القلوب لقد خالطها الشك فما تنفعها

الموعظة وبلغنا ان نباشا تاب على يدي ابي يزيد البسطامي رحمه الله فسأله
ابو يزيد عن حاله فقال نبشت عن الف قبر فلم ار وجوههم الى القبلة الا رجلين
فقال ابو يزيد مساكين اولئك تهمة الرزق حولت وجوههم عن القبلة
وذكر لي بعض اصحابنا انه رأى رجلا من اهل الصلاح فسأله عن حاله فقال
هل يلحق بايانك فقال انما يسلم الايمان للمتوكلين فنسأل الله تعالى ان يصلحنا
بفضله ولا يؤاخذنا بما نحن له اهل انه ارحم الراحمين فهذه هذه فان طلبت فاخبرنا
ما حقيقة التوكل وحكمه وما يلزم العبد منه في امر الرزق فاعلم انا نبين لك
هذا باربعة فصول بيان لفظ التوكل وموضعه وحده وحجته فاما اللفظة
فانا نعني تتوكل من التفعل من الوكالة فالمتوكل على احد هو ان تتخذه بمنزلة
الوكيل القائم بامره الضامن لاصلاحه الكافي له من غير تكلف واهتمام فهذه
جملة واما الموضع فاعلم ان التوكل اسم يطلق في ثلثة مواضع احدها في موضع
القسمة وهو الثقة بالله بانه لا يتوكل ما قسم لك فان حكمه لا يتبدل وهذا واجب
بالسمع والثاني موضع النصرة وهو الاعتماد والوثاقة بنصر الله عز وجل لك اذا
نصرته وجاهدت في سبيله قال الله تعالى فاذا عزمت فتوكل على الله وقال تعالى
ان تنصروا الله ينصركم وقال تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وهذا واجب بالوعد
والثالث في موضع الرزق والحاجة بان الله تعالى متكفل بما يقيم بنيتك لخدمته
ويمكن بهن عبادته قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال الصادق الامين
صلوات الله عليه وسلامه لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير
تغدو خماصا وتروح بطانا وهذا فرض لازم للعبد بدليل العقل والشرع جميعا

وهذا هو الاشهر الاغلب هذا اعني التوكل في موضع الرزق وهو المقصود
من هذا الفصل فموضع التوكل اذا هو الرزق وهو الرزق المضمون كما
قال العلماء رحمهم الله وانما تفرع لك هنا تبيان اقسام الرزق فاعلم ان الرزق
اربعة اقسام مضمون ومقسوم ومملوك وموعود فالمضمون هو الغذاء وما به
قوام البنية دون ساير الاسباب فالضمان من الله تعالى لهذا النوع والتوكل
يجب بازايه بدليل العقل والشرع لان الله تعالى كلفنا خدمته وطاعته بابداننا
فضمن ما به تحصل البنية لنقوم بما كلفنا وقال بعض مشايخ الكرامية كلا ما ضمنا
على اصله ان ضمان ارزاق العباد واجب في حكمة الله تعالى لثلثة اشياء احدها انه
سيد ونحن العبيد وعلى السيد كفاية مؤنة العبيد كما ان على العبيد خدمة السيد
والثاني انه خلقهم محتاجين الى الرزق ولم يجعل لهم سبيلا الى طلبه اذ لا يدرون
ما هو رزقهم واين هو ومتى هو ليطلبوه بعينه من مكانه وفي وقته ليصلوا اليه من مكانه
فوجب ان يكفيهم امر ذلك ويوصله اليهم والثالث انه كلفهم الخدمة وطلب الرزق
شاغل عنها فوجب ان يكفيهم المؤنة ليتفرغوا للخدمة وهذا الكلام من الخلط باسرار
الربوبية والقايل بان على الله واجبا تاما وهذا اوضحنا في فن الكلام فساده ولنرجع
الى المقصود من غرضنا واما الرزق المقسوم فهو ما قسمه الله سبحانه وكتبه في اللوح
المحفوظ مما ياكله ويشربه ويلبسه كل واحد بمقدار مقدر ووقت موقت لا يزيد
ولا ينقص ولا يتاخر ولا يتقدم عما كتب بعينه قال النبي صلعم الرزق مقسوم مفروغ
ليس تقوى تقي بزايده ولا فجور فاجر بناقصه واما المملوك فما يملكه كل واحد من
اموال الدنيا على حسب ما قدره الله تعالى له ان يملكه وهو من رزق الله تعالى قال

الله تعالى

الله تعالى انفقوا مما رزقناكم اي مما ملكناكم واما الموعود فهو ما وعده الله تعالى المتقين
من عباده بشرط التقوى حلالا من غير كد قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب فهذه اقسام الرزق والتوكل انما يجب بازاء المضمون
منها فاعلم ذلك واما حد التوكل فقد قال بعض شيوخنا انه اتكال القلب
على الله بالانقطاع اليه واليأس عما دونه وقال بعضهم حفظ القلب الى الله
بموضع المصلحة بترك تعليقه على شي دونه وقال الشيخ ابو محمد رحمه الله التوكل
ترك التعليق والتعليق ذكر قوام بنيتك عن شي دون الله عز وجل وقال
الشيخ الامام رحمة الله عليه التوكل والتعليق ذكران فالتوكل هو ذكر قوام
بنيتك من قبل الله تعالى والتعليق ذكر قوامها من دون الله تعالى والاقاويل
عندي ترجع الى اصل واحد وهو ان توطن قلبك على ان قوام بنيتك
وسد خلتك وكفاية مهمك انما هو من الله عز وجل لا باحد دون الله ولا بحطام
من الدنيا ولا بسبب من الاسباب ثم الله سبحانه ان شاء سبب له مخلوقا او
حطاما وان شاء كفى بقدرته دون الاسباب والوسايط فاذا تذكرت
ذلك بقلبك وتوطنت عليه فانقطع القلب عن المخلوقين والاسباب برمته
الى الله سبحانه وحده فقد حصل التوكل حقيقة فهذا حده واما حصن التوكل الباعث
عليه فهو ذكر ضمان الله تعالى وحصن حصنه ذكر جلال الله وكماله في علمه وقدرته
ونزاهته عن الخلف والسهو والعجز والنقص فاذا واظب العبد على هذه
الاذكار بعثته على التوكل على الله سبحانه وتعالى في امر الرزق فان قيل هل يلزم
العبد طلب الرزق بحال فاعلم ان الرزق المضمون الذي هو الغذاء والقوام

فلا يمكننا طلبه اذ هو شيء من فعل الله سبحانه بالعبد كالحيوة والموت لا يقدر
العبد على تحصيله ولا دفعه واما المقسوم من الاسباب فلا يلزم العبد طلبه اذ
لا حاجة للعبد الى ذلك انما حاجته الى المضمون وهو من الله تعالى في ضمان
الله تعالى واما قوله عز وجل وابتغوا من فضل الله المراد به العلم والثواب وقيل بل
هو رخصة اذ هو امر وارد بعد الحظر فيكون بمعنى الاباحة لا بمعنى الايجاب
والالزام فان قيل لكن لهذا الرزق المضمون اسباب هل يلزمنا طلب الاسباب
قيل له لا يلزمك ذلك اذ لا حاجة للعبد اليه اذ الله سبحانه يفعل بسبب وبغير سبب
فمن اين يلزمنا طلب السبب ثم ان الله تعالى ضمن لك ضمانا مطلقا من غير
شرط الطلب والكسب قال عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله
رزقها ثم كيف يصح ان يامر العبد بطلب ما لا يعرف مكانه فيطلبه اذ
لا يعرف اي سبب منها رزقه الذي يتناوله لا غير والذي يصير سبب غذائه
وتربيته لا غير فالواحد منا لا يعرف ذلك السبب بعينه من اين يحصل له
فلا يصح تكليفه فتامل راشدا فانه بين ثم حسبك ان الانبياء صلوات الله
عليهم اجمعين والاولياء المتوكلين لم يطلبوا رزقا في الاكثر والاعم وتجردوا للعبادة
وباجماع انهم لم يكونوا تاركين لامر الله ولا عاصين له في ذلك فتبين لك
ان طلب الرزق واسبابه ليس بامر لازم للعبد فان قلت هل يزيد الرزق
بالطلب وهل ينقص بترك الطلب فكلا فانه مكتوب في اللوح المحفوظ
مقدر وموقت ولا تبديل لحكم الله ولا تغيير لقسمته وكتابته هذا هو الصحيح
عند علمائنا رضي الله عنهم خلاف ما ذهب اليه بعض اصحاب حاتم وشقيق

قالوا ان الرزق لا يزيد ولا ينقص بفعل العبد لكن الحلال يزيد وينقص
وهذا فاسد لان الدليل في الموضعين واحد وهو الكتابة والقسمة واليه
الاشارة بقوله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم ولو كان
الطلب يزيد والترك ينقص لكان للاسى والفرح موضع اذ هو قصر
وتوانى حتى فاته وجد وشمر حتى حصله وقال النبي صلعم للسائل خذها
لو لم تاتها لاتتك فان قيل فالثواب والعقاب ايضا مكتوب في اللوح
المحفوظ عنده ثم يلزمنا طلبه ويزيد بالطلب وينقص بتركه فاعلم ان طلب
الثواب انما وجب لان الله تعالى امر به امرا حتما واوعد على تركه ولم يخبر
بالثواب على فعل منا وزيادة الثواب والعقاب بفعل العبد فالرزق
بينهما نكتة وهي ما اختاره بعض علمائنا ان المكتوب في اللوح قسمان قسم هو
مكتوب مطلق من غير شرط وتعليق بفعل العبد وهو الارزاق والآجال
اما ترى كيف ذكرها الله مطلقا غير مشروط قال الله تعالى وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها وقال تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
وقال صاحب الشرع عليه السلام اربعة قد فرغ منهن الخلق والخلق والرزق
والاجل وقسم مكتوب بشرط معلق مشروطا بفعل العبد وهو الثواب والعقاب
اما ترى كيف ذكرها الله تعالى في كتابه متعلقا بفعل العبد قال تعالى ولو انهم آمنوا
واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم وبهذا تبين فاعلمه فان قيل
فنحن نجد الطالبين يجدون الارزاق والاموال والتاركين يعدمون ويفتقرون
قيل له كانك لا تجد مع ذلك طالبا محروما فقيرا وتاركا مرزوقا غنيا ان هذا

هو الاكثر لتعلم ان ذلك تقدير العزيز العليم وتدبير الملك الحكيم وانشد في ابو بكر
محمد بن سابق الصقلي الواعظ رحمه الله بالشام ❊ وكم قوي قوي في تقلبه
مهذب الرأي عنه الرزق منحرف ❊ وكم ضعيف ضعيف في تقلبه ❊ كانه
من خليج البحر يغترف ❊ هذا دليل على ان الاله في الخلق سر خفي ليس
ينكشف فان قيل هل يدخل البادية بلا زاد فاعلم انه ان كان له قوة القلب
بالله والثقة البالغة بوعد الله فادخل والا فكن كالعوام بعلائق وقد سمعت
الامام ابا المعالي رحمه الله يقول ان من جرى مع الله على عادة الناس
جرى الله معه على ما هو عادة الناس في كفاية المؤنة وهذا الكلام حسن جدا و
فيه فوايد جمة لمن تأملها فان قيل اليس الله تعالى يقول وتزودوا فان خير
الزاد التقوى فاعلم ان فيه قولين احدهما انه زاد الآخرة ولذلك قال خير
الزاد التقوى ولم يقل حطام الدنيا واسبابها والثاني انه كان قوم لا يأخذون
زادا في طريق الحج لانفسهم اتكالا على الناس ويسألون ويلحون ويؤذون
الناس فامروا بالزاد وامر تنبيه على ان اخذ الزاد من مالكم خير من اخذ
مال الناس والاتكال عليهم ولذلك نقول فان قيل فالمتوكل هل
يحمل الزاد معه في الاسفار فاعلم انه ربما يحمل ولا يتعلق القلب به بانه لا محالة
رزقه وفيه قوامه انما يتعلق القلب بالله ويتوكل عليه ويقول ان الرزق
مقسوم مفروغ عنه والله تعالى ان شاء اقام بنيتي بهذا او بغيره وربما يحمل
بنية اخرى بان يعين مسلما ونحو ذلك وليس الشأن في اخذ الزاد وتركه انما الشأن
في القلب لا تعلق قلبك الا بوعد الله تعالى وحسن كفايته وضمانه فكم من

حامل للزاد وقلبه مع الله دون الزاد وكم من تارك للزاد وقلبه مع
الزاد دون الله تعالى فالشأن اذا في القلب فافهم هذه الاصول تكف
المؤنة ان شاء الله تعالى عز وجل فان قيل فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يحمل الزاد
وكذلك الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم اجمعين فتأمل فلا حرج ان
ذلك مباح غير حرام وانما الحرام تعلق القلب بالزاد وترك التوكل على الله سبحانه
فافهم ذلك ثم ما ظنك برسول الله صلعم حيث قال لو توكل على الحي الذي
لا يموت ا اعصاه في ذلك وعلق قلبه بطعام او شراب او درهم او دينار
كلا وحاشا ان يكون ذلك بل كان قلبه مع الله تعالى ومتوكل على الله تعالى فانه [illegible]
الملتفت الى الدنيا باسرها ولم يمد يده الى مفاتيح خزاين الارض كلها وانما كان
اخذ الزاد منه ومن السلف الصالح لنيات اخر لا لميل قلوبهم عن الله تعالى الى الزاد
والمعتبر القصد على ما اعلمتك فانتبه من رقدتك فان قلت فايهما افضل
اخذ الزاد او تركه فاعلم ان هذا يختلف باختلاف الحال ان كان متقدما ❊ والذين
يريد ان يبين ان اخذ الزاد مباح او ينوي به عون مسلم او اغاثة ملهوف محتاج
ونحو ذلك فالاخذ افضل وان كان متفردا [illegible] بالله سبحانه يشغله الزاد
عن عبادة الله فالترك افضل [illegible] ابو عبد الله الوثيق
[illegible] بالتفويض
فذلك [illegible] وذلك لان احدهما الطمانينة
[illegible] خطرة مبهمة لا يدري صلاحها
من فسادها فيكون مضطرب القلب ما بين النفس لا تدري ان يقع في صلاح او فساد

فاذا فوضت الامر الى الله تعالى علمت انك لا تقع الا في صلاح وخير فتكون
آمنا من الخطر مطمئن القلب في الحال فهذه الطمأنينة والامن والراحة في
الوقت غنيمة عظيمة وكان شيخنا رحمه الله يقول في مجالسه كثيرا دع التدبير
الى من خلقك تسترح والثاني من الامرين حصول الصلاح والخير في الاستقبال
وذلك لان الامور بالعواقب مبهمة فكم من شر في صورة خير وكم من ضر في
حلية نفع وكم من سم في دسم شهد وانت جاهل بالعواقب والاسرار فاذا
اردت الامور قطعا واخذت فيها باختيارك متحكما فما اسرع ما تقع في هلاك
وانت لا تشعر ولقد حكي ان بعض العباد كان يسأل الله تعالى ان يريه ابليس
فقيل له سل الله العافية فابى الى ذلك فاظهره الله تعالى له فلما رآه العابد
قصده بالضرب فقال له ابليس لولا انك تعيش مائة سنة لاهلكتك و
عاقبتك فاغتر بقوله وقال في نفسه ان عمري بعيد فافعل ما اريد ثم اتوب فخرج
فوقع في الفسق وترك العبادة وهلك ففي هذه ما ينبهك على ترك الحكم في ارادة
والالحاح في مطلوبك ويحذرك طول الامل ايضا فانه الآفة العظيمة ولقد صدق
القائل واياك المطامع والاماني فكم امنية جلبت منية واما اذا
فوضت الامر الى الله سبحانه وسألته ان يختار لك ما هو صلاح حالك لم تلق الا الخير
والسداد ولا تقع الا على الصلاح قال الله تعالى حكاية عن العبد الصالح وافوض
امري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق
بآل فرعون سوء العذاب اما ترى كيف اعقب تفويضه بالوقاية من السوء
والنصر على الاعداء وبلوغ المراد فتأمل موفقا فان هذا بين لنا معنى

التفويض

موضع

التفويض وحكمه فاعلم ان ههنا فصلين بهما يتضح الكلام احدهما موضع التفويض
والثاني معناه وحده وضده اما موضعه فاعلم ان المرادات ثلثة مراد
تعلم يقينا انه فساد وشر لا شك فيه البتة كالنار والعذاب وفي الافعال
كالكفر والبدعة والمعصية فلا سبيل الى ارادة ذلك والثاني مراد تعلم قطعا
انه صلاح كالجنة والايمان والسنة ونحو ذلك فلك ارادتها بالحكم لا موضع للتفويض
فيه اذ لا خطر فيه ولا شك انه خير وصلاح والثالث مراد لا تعلم يقينا ان لك فيه
صلاحا او فسادا وذلك نحو النوافل والمباحات فهذا موضع التفويض فليس
لك ان تريده قطعا بل بالاستثناء وشرط الخيرة والصلاح فان قيدت ارادتك
بالاستثناء فهو تفويض وان اردت دون الاستثناء فهو طمع مذموم منهي عنه
فموضع التفويض اذا كل مراد فيه الخطر وهو ان لا تستيقن صلاحك فيه واما
معنى التفويض فقال بعض شيوخنا هو ترك اختيار ما فيه مخاطرة الى المختار المدبر
العالم بمصالح الخلق وعبارة الشيخ ابي محمد السجزي رحمه الله هو ترك اختيار المخاطرة
على المختار لك ما هو خير لك وقال الشيخ ابو عمرو رحمه الله هو ترك الطمع والطمع
ارادة الشيء المخطر بالحكم فهذه عبارات الشيوخ والذي نقول ان التفويض ارادة
ان يحفظ الله عليك مصالحك فيما لا تأمن فيه الخطر وضد التفويض الطمع
والطمع في الجملة يجري على وجهين احدهما بمعنى الرجاء يريد شيئا لا خطر فيه او فيه خطرة
بالاستثناء وذلك ممدوح غير مذموم كما قال والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ومنه
والثاني طمع مذموم قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والطمع فانه فقر مذموم حاضر وقيل هلاك الدين

وفساده الطبع ويلائمه الورع وقال شيخنا رحمه الله الطبع المذموم شيئان
سكون القلب الى منفعة مشكوكة والثاني ارادة الشيء التي طرأ بالحكم وهذه الارادة
تقابل التفويض لا غير فاعلم ذلك واما حسن التفويض فمنه ذكر خطر الامور
وامكان الهلاك والفساد فيها وحسن حسنه ذكر عجزك عن الاحتفاظ عن
ضروب الخطر والامتناع عن الوقوع فيها بجهلك وغفلتك وضعفك فالمواظبة
على هذين الذكرين يحملك على تفويض الامور كلها الى الله تعالى وعلى التحفظ
عن الحكم فيها والامتناع عن ارادتها الا بشرط الخير والصلاح فهذه هذه وبالله التوفيق
فان قيل ما هذا الخطر الذي يوجب التفويض لاجله في الامور فاعلم ان الخطر
في الجملة خطران خطر الشك بانه يكون او لا يكون وانك تصل اليه او لا تصل اليه
وهذا يحتاج الى الاستثناء ويدخل في باب النية والامل والثاني خطر الفساد وبان
تستيقن فيه الصلاح لنفسك وهذا الذي يحتاج فيه الى التفويض ثم اختلفت
عبارات الائمة في الخطر فعن بعضهم ان الخطر في النظر هو ان يكون دونه نجاة
ويمكن ان يجامعه ذنب فالايمان والسنة والاستقامة لا خطر فيها اذ لا يمكن
دون الايمان نجاة والاستقامة لا يجامعها ذنب فاذا يصح ارادة الايمان
والاستقامة بالحكم وقال الاستاذ رحمه الله الخطر في النظر ما يمكن ان يعترض
فيه ما يكون الاشتغال بالعارض اولى من الاقدام على ذلك الفعل وذلك يقع للكفار
والسنن والنوافل الا ترى ان من يفتتح على وقت الصلوة وقصد اداءها
فقصده حريق او غريق يمكنه انقاذه فالاشتغال بانقاذه اولى من الاقبال
على صلوته فلا يصح اذا ارادة المباحات والنوافل واكثر الفرائض بالحكم

فان قيل

فان قيل كيف يصح ان يفترض الله تعالى على عبده شيئا ويوعده على تركه
ثم لا يكون له صلاح في فعله فاعلم ان شيخنا رحمه الله قال ان الله لا يأمر العبد
بشيء الا وفيه صلاحه اذا تجرد عن العوارض ولا يضيق عليه فعلا فرضا بحيث
لا معدل له عنه الا وله فيه صلاح وانما ربما يسبب الله تعالى له عذرا الا (?) يكون العدول
عن احد المأمورين اولى من الاشتغال بالاخر كما ذكرنا فيكون العبد وذلك
معذورا بل مأجورا لا بترك هذا الفرض بل بفعل الفرض الذي هو اولى وكان (?) خمست
الامام رحمه الله اصل هذه المسئلة يقول ان ما افترض الله تعالى على عباده من الصلوة
والصوم والحج ونحوه ففيها صلاح لا محالة للعبد وصحت ارادتها بالحكم قال
فانتفى رأينا على ذلك من المباحات والنوافل اذ في هذا الحكم فاعلم ذلك
فانه من غوامض هذا الباب وبالله التوفيق فان قيل هل يمكن المفوض
الهلاك والفساد والدار دار محنة فاعلم ان في الاغلب لا يفعل بالمفوض الا
الصلاح وقد يفعل به في النادر غير الصلاح ولا ذلك ربما يكون له منفع عن سر التفويض
ولا صلاح للعبد في الخذلان والوقوع عن عزة التفويض وبه قال الشيخ ابو محمد
وقيل لا يفعل بالمفوض الا ما فيه صلاحه فيما فوض الى الله سبحانه وتعالى والخذلان
والقصور عن عزة التفويض مما لا يقع فيه التفويض اذ لا شك في فساده
والتفويض انما يقع فيما يشك في فساده وصلاحه وهذا اولى القولين عند شيخنا
رحمه الله اذ لولا ذلك لما قويت الباعثة على التفويض فان قيل فهل يجب
ان يفعل بالمفوض ما هو الافضل فاعلم ان الايجاب مستحيل في حق الله سبحانه
ولا يجب لعباده عليه شيء وقد يفعل بالعبد الاصلح دون الافضل لحكمة من فضله

الا يرى انه قد قدر للنبي صلعم واصحابه ان يناموا طول الليل الى طلوع الشمس
في بعض الاسفار حتى فاتتهم صلوة الليل وصلوة الفجر والصلوة افضل
من النوم وربما يقدر للعبد الغنى والنعمة في الدنيا وان كان الفقر افضل
ويقدر له الاشتغال بالاولاد والازواج وان كان التجرد لعبادة الله تعالى افضل
فانه بعباده خبير بصير وهذا كما ان الطبيب الحاذق الناصح يختار للمريض ماء
الشعير وان كان ماء السكر افضل وانفس لما علم ان صلاحه في ماء الشعير
والمقصود للعبد النجاة من الهلاك لا الفضل والشرف مع الشقاوة والهلاك
فان قيل هل يكون المفوض مختارا فاعلم ان الصحيح عند علمائنا انه يكون مختارا ولا يقدح
في تفويضه وذلك ان المعنى فيه اذا كان له صلاح في المفضول والافضل
فهو يريد من الله ان يسبب له الافضل كما ان المريض يقول للطبيب اجعل
دوائي ماء السكر دون ماء الشعير اذا كان لي صلاح في كليهما ليحصل لي الفضل
والصلاح جميعا فكذلك العبد اذا سأل الله تعالى ان يجعل صلاحه فيما هو الافضل
ويسبب له ذلك ليجمع له الفضل والصلاح جميعا ولكن بشرط انه ان اختار الله له
الصلاح في غير الافضل ان يكون راضيا بذلك فان قيل فلما ذا كان للعبد ان يختار
الافضل وليس له ان يختار الاصلح فاعلم ان الفرق بينهما ان العبد يعرف الافضل
من المفضول ولا يعرف الصلاح من الفساد لبريئه بالعلم ثم معنى اختياره الافضل
ان يريد من الله تعالى ان يجعل صلاحه فيما هو الافضل ويختار له ذلك ويقدره
الا انه للعبد تحكما في شيء من ذلك فاعلم فهذه جملة من دقيق هذا العلم واسراره
ولولا ان الحاجة مست اليه لما تعرضنا لايراده لانه يلاطم بحار علوم المكاشفة

مع اني اقتصرت على النكتة المقنعة في هذا الكتاب وقصدت الايضاح
لينتفع به فحول العلماء والمبتدئون ان شاء الله تعالى والله ولي التوفيق

العارض الثالث

القضاء ودوره وانواعه وانما كفايته في الرضاء به فعليك
ان ترضى بقضاء الله عز وجل وذلك لامرين احدهما لتتفرغ للعبادة لانك
اذا لم ترض بالقضاء فتكون مهموما مشغول القلب ابدا بانه لم كان كذا ولماذا
لا يكون كذا فاذا اشتغل القلب بشيء من هذه الهموم كيف تتفرغ للعبادة اذ
ليس لك الا قلب واحد وقد ملأته من الهموم وما كان وما يكون من امر الدنيا
فاي موضع فيه لذكر العبادة وفكر الآخرة ولقد صدق شقيق (الزاهد) رحمه الله قال ان
حسرة الامور الماضية وتدبير الآتية قد ذهبت ببركة ساعتك هذه والثاني من
الامرين خطر ما في السخط من غضب الله سبحانه ولقد روينا في الاخبار ان نبيا
من الانبياء اشتكى بعض ما نال من المكروه الى الله سبحانه فاوحى الله اليه تشكوني
ولست باهل ذم ولا شكوى هكذا بدو شأنك في علم الغيب فلم تسخط قضائي
عليك (اي ابتداء امرك) اتريد ان اغير الدنيا لاجلك او ابدل اللوح المحفوظ بسببك فاقضي
ما تريد دون ما اريد ويكون ما تحب دون ما احب فبعزتي حلفت لئن تلجلج
هذا في صدرك مرة اخرى لاسلبنك ثوب النبوة ولاوردنك النار (اي ادخلنك) و
لا ابالي قلت فليستمع العاقل هذه السياسة العظيمة والوعيد الهائل مع انبيائه
واصفيائه فكيف مع غيرهم ثم استمع ما يقول لئن تلجلج هذا في صدرك مرة
اخرى فهذا في حديث النفس وتردد القلب فكيف لمن يخرج ويعيش
ويشكو وينادي بالليل والصراخ من ربه على راس الملا ويتخذ له اعوانا واصحابا

وهذا لمن سخط مرة فكيف بمن هو في السخط على الله تعالى جميع عمره وهذا لمن
شكا اليه فكيف لمن شكى الى غيره نعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات
اعمالنا ونسأله ان يعفو عنا ويغفر لنا سوء آدابنا ويعاملنا بحسن نظره فانه
ارحم الراحمين فان قلت فما معنى الرضا بالقضاء وحقيقة ذلك وحكمه فاعلم
ان علمائنا قالوا ان الرضى ترك السخط والسخط ذكر غير ما قضى الله تعالى باولية او
اصلح لما لا يستيقن فساده وصلاحه هذا اشرط فيه فاعلم ذلك فان قلت
اليس الشرور والمعاصي بقضاء الله تعالى وقدره فكيف يرضى العبد الشر ويلزمه
ذلك فاعلم ان الرضى انما يلزم بالقضاء وقضاء الشر ليس بشر وانما الشر هو المقضي
فلا يكون رضى بالشر وقد قال شيخنا رحمه الله المقتضيات اربعة نعمة وشدة
وخير وشر فالنعمة يجب الرضى فيها بالقاضي والقضاء والمقضي ويجب عليه الشكر
من حيث انه نعمة واظهار المنة عليه بابداء اثر النعمة والشدة يجب الرضا فيها
بالقاضي والقضاء والمقضي يجب عليه الصبر من حيث انه شدة والخير يجب الرضى
فيه بالقاضي والمقضي والقضاء ويجب عليه ذكر المنة من حيث انه خير وفقه له
والشر يجب عليه الرضا بالقاضي والقضاء والمقضي من حيث انه مقضي لا من حيث
انه شر وكونه مقضيا يرجع الى القضاء والقاضي بالحقيقة وهذا كما انك ترضى
مذهب المخالف ان يكون معلوما لك لا ان يكون مذهبا لك ثم كونه معلوما يرجع
الى العلم والرضاء والمحبة انما يكون بالحقيقة للعلم بمذهب المخالف لا بمذهبه فكذلك
الرضا بالقضاء فان قيل فالرضى هل يكون مستزيدا قيل نعم بشرط الخير والصلاح
دون الحكم فلا يخرجه ذلك عن الرضى بل يدل على الرضى فهو ادل لان من احبه

شيء ورضي ذلك استزاده منه وكان عليه السلام اذا احضر اللبن يقول اللهم
بارك لنا فيه وزدنا منه وفي غيره يقول وزدنا خيرا منه وفي موضع من المؤمنين
لم يدل على انه غير راض بما قدره الله تعالى لمن ذلك فان قلت فلم يذكر عن
النبي صلعم الاستثناء وشرط الخير والصلاح فاعلم ان هذه الامور انما يكون بالقلب
وانما يقال باللسان عبارة عن ذلك فلا معتبر بترك عبارة مع حصولها بالقلب
فاعلم ذلك موفقا انشاء الله تعالى العوارض الرابع الشدائد والمصائب وانما كفايتها
بالصبر فعليك بالصبر في المواطن وانما ذلك لان احدهما الوصول الى العبادة
وحصول والمقصود منها فان مبنى امر العبادة كله على الصبر واحتمال المشقات
فمن لم يكن صبورا لم يصل الى شيء منها بالحقيقة وذلك ان من قصد عبادة الله
وتجرد لها استقبلته شدائد ومحن ومصائب من وجوه احدها انه لا عبادة الا
وفي نفسها مشقة ولذلك روي كل هذا الترغيب فيه ووعد الثواب عليه
اذ لا يتاتى فعل العبادة الا بقمع الهوى وقهر النفس اذ هي زاجرة عن الخير ومخالفة
الهوى وقهر النفس من اشد الامور على الانسان وثانيها ان العبد اذا فعل
الخير مع المشقة لزمه الاحتياط حتى لا يفسد عليه والا فقار على العمل اشد من العمل
وثالثها ان الدار دار محنة فمن كان فيها لا بد له من الابتلاء بشدائدها ومصائبها
وذلك اقسام فمنها المصيبة في الاهل والقرابات والاخوان والاصحاب
بالموت والفقد والفراق وفي النفس بانواع الاوجاع والامراض وفي العرض
بقتال الناس اياه والطعن فيه والازورار له والغيبة والكذب عليه
وفي المال بالذهاب والزوال والكل واحدة من هذه المصائب لدغة وحرقة

من نوع آخر يحتاج الى الصبر عليها كلها والا ضعف الجزع والتلهف من التفرغ
للعبادة وربما ان طالب الآخرة اشد ابتلاء واكثر محنة ابدا ومن كان الى الله
اقرب فالمصايب دون الدنيا اكثر والبلاء عليه اشد اما تسمع قوله اشد الناس
بلاء الانبياء ثم الشهداء ثم الامثل فالامثل فاذا من قصد التجرد لطريق الآخرة
استقبلته هذه المحن فان لم يصبر عليها ولا يكون بحيث لا يلتفت اليها انقطع
عن الطريق واشتغل عن العبادة فلا يصل الى شيء من ذلك ولقد اعلمنا الله سبحانه
بلقاء المحن والمصايب وابتلائنا بها وحقق ذلك واكده فقال لتبلون
في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا
اذى كثيرا ثم قال وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور فكانه يقول
وطنوا انفسكم على انه لا بد لكم من انواع البلايا فان تصبروا فانتم الرجال عزائمكم
عزائم الرجال فاذا من عزم على عبادة الله تعالى وجب اولا ان يعزم على الصبر الطويل
ويوطن نفسه على احتمال المشاق العظيمة المتوالية الى الموت والا فقد قصد الامر
بغير آلته واتاه من غير وجهه ولقد ذكر عن الفضيل رحمه الله انه قال من عزم على قطع
طريق الآخرة فليجعل في نفسه اربعة الوان من الموت الابيض والاحمر والاسود
والاخضر فالموت الابيض الجوع والاسود ذم الناس والاحمر مخالفة الشيطان
والاخضر الوقايع بعضها على بعض والثاني من الامرين ما في الصبر من خير الدنيا
والآخرة ومن ذلك النجاة والنجاح قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب ومعناه ومن يتق الله تعالى بالصبر يجعل له مخرجا من الشدائد
ومنها الظفر على الاعداء قال الله تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين ومنها الظفر بالمراد

قال الله

قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقيل كتب
يوسف في جواب يعقوب عليهما السلام ان اباك صبر فظفر فاصبر كما
صبروا تظفر كما ظفروا وفي هذا المعنى لا تيأسن وان طالت مطالبة اذا
استعنت بصبر ان ترى فرجا اخلق بذي الصبر ان يحظى بحاجته ومدمن
القرع للابواب ان يلجا ومنها التقدم على الناس والامامة قوله تعالى وجعلناهم
ائمة يهدون بامرنا لما صبروا ومنها الثناء من الله تعالى قال سبحانه انا وجدناه
صابرا نعم العبد انه اواب ومنها البشارة والصلوة والرحمة قال الله تعالى
وبشر الصابرين الى قوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الآية ومنها
المحبة من الله سبحانه قال تعالى ان الله يحب الصابرين ومنها الدرجات العلى
في الجنة قال الله تعالى اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ومنها الكرامة العظيمة قال
الله تعالى سلام عليكم بما صبرتم ومنها ثواب بلا غاية ولا نهاية خارجا عن اوهام
الخلق واعدادهم قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فسبحانه من سيد
ما اجوده ما اكرمه كل هذه الكرامات في الدنيا والآخرة يعطي عبده على صبر ساعة
فبان لك ان خير الدنيا والآخرة في الصبر قال صم ما اعطي احد من عطاء خير و
اوسع من الصبر ولقد احسن القائل الصبر مفتاح ما يرجى وكل خير به يكون
اصبر وان طالت الليالي فربما امكن الحرون وربما نيل باصطبار ما
قيل هيهات لا يكون والقائل يقول انى صبرت وكان الصبر مني سجية
وحسبك ان الله اثنى على الصبر ساصبر حتى يحكم الله بيننا فانا الى خير
وانا الى شر فعليك باغتنام هذه الخصلة الشريفة وبذل المجهود فيها تكن

من الفائزين والله تعالى ولي التوفيق فان قلت فما حقيقة الصبر وحكمه فاعلم
ان لفظ الصبر من طريق اللغة الحبس قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم بالغداة اي احبس نفسك وانما يوصف الله بالصبر على معنى
حبس العذاب عن المجرمين فلا يعجلهم به ثم المعنى الذي هو من مساعي القلب
سمي صبرا لانه حبس النفس عن الجزع والجزع فيما قاله العلماء بالله ذكر اضطرابك
في الشدة وقيل بل ارادة الخروج عن الشدة بالكلية والصبر ترك ذكر وحسن الصبر
ذكر مقدار الشدة ووقتها وانها لا تزيد ولا تنقص ولا تتقدم ولا تتأخر ولا فائدة
في الجزع بل فيه الضرر والخطر وحسن هذا الحسن ذكر حسن عوض الله تعالى عليه وكريم
الذخر في ذلك لديه فهذه هذه وبالله التوفيق والله اعلم فصل
فعليك بقطع هذه العقبة الشديدة المنيعة بدفع هذه العوارض الاربعة
وازاحة عللها والا فلا تدعك تدرك مقصودك من العبادة العالية وتتفكر فيها فضلا
عن ان تدركها وتحصلها وان لكل واحد منها شغلا شاغلا عاجلا واجلا
ثم ان اعظمها واعضلها امر هذا الرزق وتدبيره فانه البلية الكبرى العامة للخلق
اتعبت نفوسهم وشغلت قلوبهم فاكثرت غمومهم وضيعت اعمارهم واعظمت
تعبهم واوزارهم وعدلت بهم عن باب الله تعالى وخدمته الى خدمة الدنيا وخدمة المخلوقين
فعاشوا في الدنيا في غفلة وظلمة وتعب ونصب ومهانة وذل وقدموا الآخرة
مفاليس بين ايديهم الحساب والعذاب ان لم يرحم الله تعالى بفضله وانظر كم آية انزل
الله تعالى في ذلك وكم ذكر من وعده وضمانه وقسمه على ذلك ولم يزل الانبياء
والعلماء يعظون الناس ويبينون لهم الطريق ويصنفون لهم الكتب ويضربون

لهم الكتب ويضربون لهم الامثال ويخوفونهم بالله تعالى وهم مع ذلك لا يهتدون
ولا يثقون ولا يطمئنون بل هم في غمرة من ذلك لا يزالون يخافون ان يعوزهم
غداء او عشاء واجل ذلك كله قلة التدبر في كتاب الله سبحانه وقلة التفكر في
صنايع الله تعالى وترك التذكر لكلام رسول الله صلعم وترك التامل لاقوال الصالحين
مع الاسترسال لوساوس الشيطان والاصغاء الى كلام الجاهلين والاغترار بعادات
الغافلين حتى تمكن الشيطان منهم ورسخت العادات في قلوبهم فادى بهم ذلك
الى ضعف القلب ورقة اليقين واما الاخيار الذين هم اولو الابصار وارباب الجد
والاجتهاد والبصر والطريق السائر فلم يعبئوا باطراف الارض واعتصموا بحبل الله تعالى
فلم يكترثوا بعلايق الخلق وتيقنوا بآيات الله والبصر والطريقة فلم يلتفتوا الى وساوس
الشيطان والخلق والنفس فاذا وسوس لهم الشيطان او النفس او انسان بشيء قالوا
بالمشاقة والمدافعة والى الله حتى ولى الخلق عنهم واعتزل عنهم الشيطان وانقادت
لهم النفس واستقام لهم الطريق المستقيم على ما ذكر عن ابراهيم بن ادهم انه لما
اراد ان يدخل البادية اتاه الشيطان فخوفه ان هذه بادية مهلكة ولا زاد معك
ولا سبب فعزم على نفسه رحمه الله ان يقطع البادية على تجرده ذلك وان لا يقطعها
حتى يصلي تحت كل ميل من اميالها الف ركعة وقام عزمه عليه وبقي في البادية
اثني عشر سنة حتى ان الرشيد حج في بعض تلك السنين فرآه تحت ميل يصلي فقيل
له هذا ابراهيم بن ادهم فاتاه فقال كيف تجدك يا ابا اسحق فانشد ابراهيم
يقول نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ۞ فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع ۞ فطوبى لعبد آثر الله
ربه وجاد بدنياه لما يتوقع ۞ وعن بعض الصالحين رحمه الله انه كان في بعض

البوادي فوسوس الي الشيطان بانك متجرد وهذه بادية لا عمران ولا ناس
فعزم على نفسه ان يمضي على تجرده وان يترك الطريق حتى لا يقع ما يجده من الناس
ولا يأكل شيئا حتى يجعل في فيه السمن والعسل ثم عدل عن الشارع ومر على وجهه
قال رحمه الله فسرت ما شاء الله فاذا بقافلة قد اضلت الطريق وهم يسيرون
فلما ابصرتهم رميت بنفسي الى الارض لعلهم لا يبصروني فسترهم الله حتى وقفوا
علي فغمضت عيني فدنوا مني وقالوا هذا منقطع قد غشي عليه من الجوع والعطش
فهاتوا سمنا وعسلا لنجعله في فيه لعله يفيق فاتوا سمنا وعسلا فشددت فمي و
اسناني فاتوا بسكين فعالجوا فمي حتى يفتحوه فضحكت وفتحت فاي فلما راوا
ذلك مني قالوا امجنون انت قلت لا والحمد لله واخبرتهم ببعض ما جرى لي
مع الشيطان وعن بعض شيخنا رحمه الله قال نزلت في بعض اسفاري
وايام التعليم مسجدا بعيدا من الناس وكنت متجردا على عادة اوليائنا فوسوس
الي الشيطان بان هذا مسجد بعيد عن الناس لو خرجت الى مسجد بين الناس
لرآك اهله وقاموا بكفايتك فقلت لا ابيت الا ههنا وعلي عهد الله
ان لا آكل شيئا الا الحلواء ولا آكله حتى يوضع في فمي لقمة لقمة وصليت العتمة
واغلقت الباب فلما مضى صدر من الليل اذا انا بانسان يدق الباب
ومعه سراج فلما اكثر الدق فتحت الباب فاذا انا بعجوز قد دخلت ووضعت
بين يدي طبقا من الخبيص وقالت هذا الشاب ولدي صنعت له هذا الخبيص
وجرى بيني كلام فحلفت ان لا يأكل حتى يأكل معه رجل غريب او قالت يأكل
معه هذا الغريب الذي في المسجد فكل رحمك الله واخذت تضع في فمي لقمة

في

وفي فم ولدها لقمة فهذه وامثالها من مجاهدات الصالحين ومناقضاتهم للشيطان
فان لك في ذلك فوائد ثلثا احديها ان تعلم الرزق لا يفوت من قدر له بالا
والثانية ان تعلم ان امر الرزق والتوكل لمهم جدا وان للشيطان فيه غوائل ومهالك و
وساوس عظيمة حتى ان مثل اولئك الائمة والزهاد لم يتخلصوا من ذلك و
لم ييأس منهم الشيطان بعد طول تلك الرياضات وكثرة المجاهدات التي كانت
لهم حتى احتاجوا الى دفعه بهذه المناقضات ولعمري ان من جاهد النفس والشيطان
سبعين سنة لا يأمن من ان يوسوس اليه فكيف يوسوس المبتدي في العبادة بل
الغافل لم يجتهد ساعة في الرياضة ولو ظفر به لنحاه واهلكه بهلاك الغافلين
المغرورين وفي ذلك عبرة لاولي الابصار والثالثة ان تعلم ان هذه الائمة لم يبلغوا الجهد
المحض في المجاهدة البالغة فانهم كانوا لحما ودما وبدنا مثلك بل كانوا
انحف ابدانا واضعف اركانا وادق عظاما منك ولكن كانت لهم قوة العلم
ونور اليقين وهمة امر الدين حتى قووا على مثل تلك المجاهدات والقيام بحق تلك
المقامات فانظر لنفسك رحمنا الله واياك وداو هذا الداء المعضل
المهلك تنجح ان شاء الله تعالى

فصل

ثم اعلم بعد هذه الجملة اني اجد لك
نكتا وجدتها بحيث تنكشف في القلب اذا تذكرتها وتكفيك مؤنة هذا الباب
وتدلك على واضحة من الحق ان تاملتها وعملت بها والله الموفق

الاول ان تعلم ان الله تعالى ضمن رزقك في كتابه وتكفل لك به وما تقول لو وعدك ملك
من ملوك الدنيا انه يضيفك الليلة ويعشيك العشاء وانت حسن الظن
به انه صادق لا يكذب ولا يخلف الوعد بل لو وعدك بذلك سوقي او يهودي

[illegible] ان ضمان الله على الرزق [illegible]
[illegible] التوكل وتحصيل الرزق [illegible]
القلب [illegible]

او نصراني او مجوسي مستورٌ عندك بظاهره عفيفٌ في معاملته الست تثق
بوعده وتطمئن لقوله ولا تهتم اعتمادا على تلك الثقة انكارا عليه فالك
قد وعدك الله وضمن لك رزقك وتكفل بل اقسم عليه في غير موضع ثم انت
لا تطمئن بوعده ولا تسكن الى قوله وضمانه ولا تنظر الى قسمه بل يضطرب قلبك
ويهتم فيا لها من فضيحة لو رايت ويا لها من مصيبة لو علمت مالها وعن علي بن
ابي طالب عليه السلام اتطلب رزق الله من عند غيره ** وتصبح من خوف
العواقب آمنا ** وترضى بصراف وان كان مشركا ** ضمينا ولا ترضى بربك
ضامنا ** ولهذا المعنى يتحير هذا الامر الى الشك والشبهة ويخاف على صاحبه
والعياذ بالله سلب المعرفة والدين ولهذا قال سبحانه وتعالى وعلى الله فتوكلوا
ان كنتم مؤمنين وقال الله فليتوكل المؤمنون فحسب المؤمن المهتم لامر دينه هذه
النكتة الواحدة ولا حول ولا قوة الا بالله والثانية ان تعلم ان الرزق
مقسوم صح ذلك في كتاب الله تعالى واخبار رسول الله صلعم وتعلم ان قسمته لا تتغير
ولا تتبدل فان انكرت القسمة او جوزت نقضها فذلك باب الكفر نعوذ
نعوذ بالله ان علمت انه حق لا يتغير فاي فائدة في الاهتمام والطلب الا الذل
والهوان في الدنيا والشدة والخسران والحبس في الآخرة ولذلك قال
رسول الله صلعم مكتوب على ظهر الحوت واليقين رزق فلان بن فلان فلا يزداد
الحريص الاجتهاد اوفى ذلك يقول شقيق رحمة الله عليه اني ما قدر لماضغيك
ان يضغناه فلا يمضغه غيرك فكل رزقك بالعز ولا تاكل بالذل
وهذه نكتة مقنعة للرجال والثالثة ما سمعت من شيخ الامام يحكى عن الاستاد

رحمه الله

رحمه الله انه كان يقول اني مما نفعني في امر الرزق اني تذكرت وقلت لنفسي
اليس هذا الرزق للحيوة والعيش والميت ما يصنع بالرزق فاذا كان حيوة العبد
في خزانة الله وبيده ان شاء ان يعطيني وان شاء ان يمنعني وهو غائب
عني موكول الى الله تعالى يدبره كيف يشاء وانا ساكن النفس بذلك وهذه نكتة
لطيفة مقنعة لاهل التحقيق ان المتوسطين النكتة الرابعة ما ذكرنا في هذا الفصل ان الله ضمن
رزق العبد ولم يعني الا الرزق المضمون الذي هو الغذاء والتربية وفيه القوام والعدة
واما الاسباب من الطعام والشراب فالعبد اذا تجرد لعبادة الله وتوكل على الله
فربما يحتبس عنه الاسباب فلا يعبأن بذلك ولا يفجعن لما علم من حصه الا ان
الضمان لقوام البنية والتوكل على الله انما هو في هذا المعنى لا غير والمنتظر من الله تحقيق
هذا المعنى فان الله لا محالة يمده بالقوة ليقوم بحق العبادة والخدمة ما دام له اجل
والتكليف بالعبادة وهذا هو المقصود والله تعالى قادر على ما يشاء ان شاء يقيم
بنية عبده بطعام وشراب او بطين وتراب او بتسبيح وتهليل كالملائكة وان شاء
بدون هذا كله فليس مطلب العبد الا القوام والقوة للعبادة ليس الاكل و
الشرب وسد الشهوة ونيل اللذة فلا اعتبار بالاسباب اذا ولهذا المعنى قويت
الزهاد والعباد على الاسفار وطي الليالي والايام فمنهم من لا ياكل عشرة ايام و
منهم من لم ياكل شهرا او شهرين وهو على قوته ومنهم من كان يستف الرمل يحيطه
الله لهم لغذاء وقوتهما ذكر من الثوري رحمه الله انه فقدت نفقته بمكة فمكث قسمه عشر
يوما يستف الرمل قال ابو معاوية الاسود رايت ابراهيم بن ادم ياكل الطين
عشرين يوما ومن الاعمش قال قال ابراهيم التيمي ما اكلت منذ شهر

قلت منذ شهر قال ولا شهرين الا ان انسانا ما شتمني الله على عفو ومن
عتب فاكلته فانا اشتكى بطنى قلت انا فلا تعجبن من ذلك فان
لله القدرة على ما يشاء وهذا مريض تراه شهرا او سوحين يعيش والمريض
على كل حال اضعف نفسا وارق طبعا من الصحيح القوى واما الذى
يموت جوعا فذلك اجل حضره كالذى يموت شبعا وتخمة ولقد بلغني
عن ابى سعيد الخراز رحمه الله انه قال كان حالى مع الله تعالى ان يطعمنى فى كل ثلثة ايام
فدخلت البادية فمضت على ثلثة ايام ما طعمت فلما كان اليوم الرابع وجدت ضعفا
فجلست مكانى فاذا انا بهاتف يقول يا ابا سعيد ايما احب اليك سبب
او قوة قلت لا الا القوة فقمت من وقتى وقد استقللت فاقمت اثنى
عشر يوما ما طعمت ولا وجدت الما لذلك فاذا راى العبد احتباس الاسباب
عنه وعلم من نفسه التوكل على الله فليستيقن ان يمده الله تعالى بالقوة فلا يحزن
لذلك بل حقه ان يشكر الله تعالى على ذلك شكرا اكبر فان له المنة والفتح واللطف
اذ رفع عنه المؤنة واعطاه المعونة وحصل له الاصل والمقصود ورفع عنه
الشغل والواسطة وفرق له علائق العادة واراه طريق القدرة وان شبه
حاله بحال الملائكة ورفعه عن حالة البهائم والعامة فى تلك الكرامة فتامل هذا الاصل
الكبير تغتنم الربح العظيم ان شاء الله تعالى قلت ولعلك ان تقول انك اطنبت فى
هذا الفصل خلاف شرط الكتاب فاقول نعم اعلم انه لقليل فى جنب ما يحتاج اليه
فى هذا المعنى اذ هو اهم شأن فى العبادة بل عليه مدار امر الدين والدنيا والعبودية
فمن ارحمه فى هذا الشان فليتمسك بذلك فيراعى حقه والا فنوا المقصود

بمنزل

بمنزل والذى يدلك على بصيرة علماء الآخرة العارفين بالسانهم بنوا امرهم على
التوكل على الله والتفرغ لعبادة الله وقطع العلائق كلها انكم سمعتوا من كتاب
وكم اوصوا به وصية وفيض الله لهم اعوانا من السادة واصحابا يشتغلون الامر
المحض بامر يستغنى لطايفة من طوايف الايمة الازهاد والكرامية على اصول جرنه
وما زلنا اعزة ما دمنا على مناهج ايمتنا فخرج من معابدنا ومدارسنا كل امين اماما
فى العلم كالاستاذ ابى اسحق وابى حامد وابى الطيب وابن فورك وشيخنا الامام
وامثالهم من السادة وائمة صديق فى العبادة كابى اسحق الشيرازى وابى سعيد
الصوفى ونفر المقدسى وغيرهم ممن فاق الائمة علما وزهدا حتى ضعفت
القلوب من بعضنا وتعلقنا بشيء من العلائق التى قطعها اكثر من فيها فراجعت
الامور وتباعدت الهمم وطارت البركات وزالت اللذات والحلاوات فلا تكاد
تصفو لاحد عبادة او تحصيل لعلم او حقيقة فان اللمعة التى تظهر منا الآن
ليست ممن بقى على مناهج اسلافنا وشيوخنا المتقدمين كالحارث المحاسبي
ومحمد بن ادريس الشافعى والمزنى وحرملة وغيرهم من ائمة الدين رضى الله عنهم اجمعين
فما صحبوا الايام الا تعففا ولا وجدوا من حب سيدهم ابدا افاضل صديقين
اهل ولاية ⁂ الى سيد السادات قد جعلوا العقد ⁂ فكل عند العرش كل جابر
وما خلت الايام من عقدهم عقدا ⁂ فكنا فى الصدر الاول ملوكا فصرنا سوقة
ولكنا زمنا فصرنا رجالة وليتنا لا نتقطع عن الطريق مرة والله المستعان
على المصائب والمسئول ان لا يسلب هذا الرمق انه جواد كريم حنان منان
رحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فاما المتوكلين فتامل فيه اصلين

فيه ما يدل على ان هذا الكتاب ليس من تصانيف الامام الغزالي [illegible]

احدهما انك تعلم ان الاختيار لا يصلح الا لمن كان عالما بالامور بجميع جهاتها
ظاهرها وباطنها حالها وعاقبتها والاطلاع ان تختار الفساد والهلاك على
ما فيه الخير والصلاح الا ترى انك لو قلت لبدوي او قروي غير عليم انتقد لي هذا
الدراهم وميز بين جيدها ورديها فانه لا يهتدي لذلك لو قلت لسوقي غير صرفي
ذهبا تغتر ايضا فلا تامن اذا الابان تترصها عليه العراقي الخبير بالذهب وما فيها
من الخواص والاسرار وهذا العلم المحيط بالامور من جميع الوجوه لا يصلح الا لله
رب العالمين والاسرار وهذا العلم المحيط بالامور من جميع الوجوه لا يصلح
الا لله رب العالمين فلا يستحق اذا احد ان يكون له الاختيار والتدبير الا الله وحده
لا شريك له ولذلك يقول عز من قائل وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان
لهم الخيرة ثم قال عز وجل وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون الا ترى كما حكي
ان بعض الصالحين ان قيل له عن الله تعالى سل تعط وكان موفقا فقال
اني عالما بجميع الوجوه يقول لجاهل بجميع الوجوه سل تعط فقال الموفق
اي شيء اعلم ماذا يصلح لي فاسئله ولكن اختر انت لي فهذه هذه وان حصل
الثاني ما تقول لو ان رجلا قال لك اني اقوام بجميع امورك وادبرك
ما تحتاج اليه من مصالحك فوض الامر كله الي واشتغل انت بشانك الذي
يعنيك وهو عندك اعلم اهل زمانك واحكمهم واقوامهم وارحمهم وانقاهم واصدقهم
واوفاهم الست تغتنم ذلك وتعده اعظم نعمة وتعتني منه اكثر منة وتقدم
له وشكرك واجل ثنائك ثم اذا اختار لك شيئا لا تعرف وجه الصلاح
فيه فلا تضجر بذلك بل تثق وتطمئن الى تدبيره وتعلم انه لا يختار لك الا ما هو خير

ومانظر

وما ينظر الا الصلاح كيف ما كان الا ترى بعد وكلت الامر اليه وضمن ذلك
فالملك اذا الا تفوض الامور الى رب العالمين سبحانه وهو الذي يدبر الامر من
السماء الى الارض اعلم كل عالم واقدر كل قادر وارحم كل راحم واغنى كل غني
ليختار لك بلطيف علمه وحسن تدبيره ما لا يبلغه علمك ولا يدركه فهمك وتشتغل
انت بشانك الذي يعنيك في عاقبتك واذا اختار لك امرا لا تعلم وجه
سره ورضيت بذلك واطمأننت اليه كيف ما كان هو الصلاح والخير فتامل
راشدا ان شاء الله وبالله التوفيق فاما الاصل الثاني فتامل فيه اصلين نفيسين
لا مزيد عليهما احدهما ما في الرضا من الفايدة في الحال والمال اما الفايدة الحالية
ففراغ القلب وقلة الهم من غير فايدة ولذلك قال بعض الزهاد رحمه الله
اذا كان القدر حقا فالهم فضل واصله الخبر الماثور عن النبي صلعم انه قال لابن
مسعود ليقل همك ما قدر يكون وما لم ترزق لم ياتك وهذا هو الكلام الجامع
النبوي البالغ في قلة اللفظ وكثرة المعنى واما الفايدة في المال فثواب الله و
رضوانه قوله رضي الله عنهم ورضوا عنه وفي السخط من الهم والضجر في الحال والوزر
والعقوبة في الاخرة بلا فايدة اذا القضا نافذ ولا ينصرف بهمك وسخطك كما قيل
ما قد قضي يا نفس فاصطبري له ولك الامان من الذي لم يقدر
وتحققي ان الذي هو كاين لا بد منه صبرت ام لم تصبري والعاقل لا يختار
الهم بلا فايدة مع الوزر والعقوبة على راحة القلب وثواب الجنة والاصل الثاني
ان في السخط من عظيم الخطر والعزة والكفر والنفاق الا ان يتداركه الله وتامل قوله تعالى
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
الا فيما حضروا
نزلت في الزبير والانصاري

ويسلم تسليما نفي الايمان واقسم عن من سخط قضاء رسول الله صلعم فكيف حال
من سخط قضاء الله تعالى وورد فيما ان الله تعالى يقول من لم يرض بقضائي ولم يصبر على
بلائي ولم يشكر لنعمائي فليتخذ الها سوائي فيل كانه يقول هذا الا يرضانا ربا
حتى سخط فليتخذ ربا يرضاه وهذا غاية الوعيد والتهديد لمن عقل ولقد صدق بعض
السلف اذا سئل عن العبودية والربوبية فقال الرب يقضي والعبد يرضى
فاذا قضى الرب ولم يرض العبد فاهناك ربوبية ولا عبودية فتأمل هذا الاصل
وانظر لنفسك لعلك تسلم بعون الله وتوفيقه واما الصبر فانه وان مر شربة
كريهة مباركة يجلب اليك كل منفعة وتدفع عنك كل مضرة فاذا كان الدواء
بهذه الصفة فان انسان العاقل يكره النفس على شربه وتجرعه ويغضي على
مرارته وحدته ويقول مرارة ساعة راحة سنة واما المنافع التي تجلبها فاعلم
ان الصبر اربعة صبر على الطاعة وصبر عن المعصية وصبر عن فضول الدنيا وصبر
على المحن والمصائب فاذا احتمل مرارة الصبر بصبره في هذه المواطن الاربعة
تحصل له الطاعات ومنازلها من الاستقامة وثوابها الجزيل في العاقبة ثم لا تجزع
في المصائب وبلياها في الدنيا [illegible] الآخرة ثم لا تبتلي بطلب الدنيا وبالاكثار
من الشغل في الحال والتبعة في المآل ثم لا يحبط اجره على ما ابتلي به وذهب
تحصل اذا بسبب الصبر الطاعة ومنازلها الشريفة وثوابها والتقوى والزهد
والعوض والثواب الجزيل من الله وتفصيل ذلك امر لا يعلم الا الله عز وجل
واما دفع المضار فيتركه اولا من مؤنة الجزع ومتاعبه في الدنيا ووزره
وعقوبته في العقبى واما ان هو ضعف عن الصبر وسلك طريق الجزع فاته كل منفعة

ولحقه كل مضرة اذ لا يصبر على مشقة الطاعة فلا يفعل الطاعة او لا يصبر على
حفظها فيحبطها او لا يصبر على المواظبة عليها فلا يصل الى منزلة شريفة فيها من
درجات الاستقامة او لا يصبر عن معصية فيقع فيها او فضول فيشتغل به او لا يصبر
على مصيبة فيحرم ثواب الصبر وربما يكثر الجزع حتى يفوت العوض بسبب ذلك
فيكون له مصيبتان فوت الشيء وفوت الاجر والعوض وحلول المكروه وحرمان
الصبر ولقد قيل وما ان الصبر على المصيبة اشد من المصيبة واي فائدة في [illegible]
بالحاصل الموجود ولا يرد عليك الذاهب المفقود واذا فاتك احدهما
فلا يفوتك الآخر ومن الكلام الجامع ما ذكر ان عليا عليه السلام عزى رجلا
فقال ان صبرت جرت عليك المقادير وانت ماجور وان جزعت جرت
عليك المقادير وانت مازور ثم اول جملة الامر ان قطع القلب عن العلائق
المالوفة وقلع النفس عن العادات الراسخة بالتوكل المحض على الله جل اسمه
وترك التدبير في الامور وتفويضها الى الله عز وجل من غير علم بما هو الشر فيها
وكبح النفس عن السخط والجزع مع تسارع النفس اليه واكراهها على لجام الرضا
وتجرع شربة الصبر مع نفورها عن ذلك لامر مر وعلاج شديد وحمل ثقيل
ولكنه تدبير سديد وطريق مستقيم وله عاقبة محمودة واحوال شديدة مسعودة
وما تقول في الوالد المشفق الغني اذ منع ولده العزيز رطبة او تفاحة
يأكلها وهو ارمد ويسلمه الى المعلم الغليظ السايس ويحبسه طول النهار
عنده ويفجعه ويحمله الى الحجام ليحجمه فيوجعه ويقلقه اترى انه منع ذلك
منه بخل فيه كسعف وهو يعطي الاجانب ويوسع عليهم او هوان بهذا الولد

كيف وهو يكتب انه جميع ما في يديه او يقصد بذلك اتعابه وايذاه لبغض له
كيف وهو قرة عينه وثمرة فؤاده لو وجبت عليه الريح لغو عليه كلا ولكن لما علم
ان صلاحه في ذلك وان بهذا التعب القليل يصل الى خير كثير ونفع عظيم وما تقول
في الطبيب الحاذق الناصح المحب اذا منع المريض الذي شربة من ماء وهو ظمآن
تتغلى كبده وسقاه شربة الاهليلج كريهة تجرع عنه ذلك بغيضه وطبعه اترى ان
ذلك منه معادات وايذاء كلا بل هو نفع واحسان لما علم يقينا ان في اعطائه
شهوته ساعة هلاكه وعظيم بأسه وفي منع ذلك شفاؤه وبقاؤه فما بال اذا احل
اذا حبس الله عنك رغيفا او درهما فتعلم يقينا انه يملك ما تريد ويقدر على
ايصاله اليك وله الجود والفضل ويعلم حالك فلا يخفى عليه شيء فلا عديم ولا عجز
ولا جفا وبخل تعالى عن ذلك وتقدس فانه اغنى الاغنياء واقدر القادرين واعلم
العلماء واجود الاجودين فتعلم اذا بالحقيقة انه لم يمنعك الا لصلاح واختيار كيف
وهو الذي يقول خلق لكم ما في الارض جميعا كيف وهو الذي جاد عليك بمعرفته
وهي التي يتلاشى في جنبها الدنيا باسرها وفي الخبر المشهور ان الله سبحانه يقول اني
لاذود اوليائي عن نعيم الدنيا كما يذود الراعي الشفيق ابله عن مبارك الغرة
واذا ابتلاك بشدة فاعلم يقينا انه غني عن امتحانك وابتلائك عالم بحالك
بصير بضعفك وهو بك رؤوف رحيم اما تسمع قوله صلعم انه قال الله ارحم بعبده
من الوالدة الشفيقة بولدها فاذا علمت انه لم ينزل بك هذه المكروه الا لصلاح
لك جعله انت وهو عالم بذلك ولهذا المعنى تراه يكثر ابتلاء اوليائه واصفيائه
الذين هم اعز عباده حتى تقول صلعم اذا احب الله قوما ابتلاهم ويقول اشد الناس

بلاء الانبياء ثم الشهداء ثم الامثل فالامثل واذا رايت الله عز وجل يحبس عنك الدنيا
او يكثر عليك الشدائد والبلوى فاعلم انك عنده عزيز وانك عنده بمكان كبير
وانه يسلك بك طريق اوليائه فانه يراك ولا يحتاج الى ذلك اما تسمع
قوله فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا بل اعرف منته عليك فيما يحفظ عليك
من صلاحك وكثير من اجورك وثوابك وينزلك منازل الابرار والاعزة عنده
فكم ترى من عواقب حميدة ومواهب كريمة والله ولي التوفيق بمنه وفضله وصل
وبالجملة اذا علمت يقينا ان الله تعالى الملي بضمان رزقك الذي لا بد لك منه
في بقائك وقيامك لعبادته وانه القادر على ما يشاء كيف يشاء وهو البصير
بحاجتك حالا فحالا ساعة فساعة اتكلت على ضمانة الحق ووعده الصدق
وسكن قلبك بذلك واعرضت عن ذكر العلائق والاسباب وتعليق قلبك
بها اذ العلائق لا تغنيك ولا تكفيك دون الله تعالى فانه تعالى مسبب الكل ومدبرها
ثم هو الذي يربيها ويديمها ثم هو الذي يحفظك قوتها ونفعها ويدفع عنك ثقلها و
ضررها وهو مع ذلك يغنيك ويكفيك دونها اذا شاء فالامر كله اليه وحده لا شريك له فتوكل
عليه لا غير وكذلك ترك التدبير في امورك على من يدبر السماء والارض وتريح
نفسك عن شيء لا يبلغه علمك ونظرك من امر يكون غدا او لا يكون بانه كيف يكون
وتكف عن العلق وتهم ولو ولو ليس فيه الا شغل القلب وتضييع الوقت ولعله يكون
امور كيف بالك بعقلك فيكون ما سبق من فكرك وتدبيرك وتضييعك الوقت
الموزع فيه لغوا بلا فائدة بل حسرانا مبينا تندم عليه وتغبن فيه بمكان شغل القلب
وتضييع العمر في ذلك وفي هذا المعنى لبعض الزهاد منهم سبقت مقادير الاله وحكمه

فافرج فؤادك من الغم ويونس وقال آخر: سيكون ما هو كائن في وقته:
واخو الجهالة متعب محزون: فلعل ما تخشاه ليس بكائن: ولعل ما ترجوه
ليس يكون: وتقول لنفسك في الجملة يا نفس لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا
هو مولانا وهو حسبنا ونعم الوكيل اذ هو قدير لا نهاية لقدرته حكيم لا نهاية لحكمته
رحيم لا نهاية لرحمته ومن كان بهذه الصفة فحقيق ان يتكل عليه ويفوض
الامر كله اليه فعليك بالتفويض وكذلك توطن قلبك على ان ما يقضي
الله لك هو الاوفق والاصلح وان ذلك لا يبلغ علمك كيفيته وسره وتقول
يا نفس المقدور كائن لا محالة فلا فائدة في السخط والحيرة فيما يصنع الله لك
فلا وجه للسخط ألست تقولين رضيت بالله ربا فكيف لا ترضين بقضائه
والقضاء من شان الربوبية وحدها فعليك بالرضا وكذلك اذا اصابتك
مصيبة وحل بك مكروه فراعي نفسك عند ذلك وتضبط قلبك حتى لا تجزع
ولا تظهر منه شكاية وقلق لاسيما عند الصدمة الاولى فان الشأن ههنا لك
والنفس متسارعة جدا الى عادة الجزع عند ذلك وتقول يا نفس هذه قد
وقعت فلا حيلة لدفعها وقد دفع الله تعالى ما هو اكبر منها فان انواع البلاء في خزائنه
لكثيرة وان هذه ستنقضي فلا تبقى وانها سحابة ستنقشع فتجلدي يا نفس
قليلا تجد لذلك سرورا طويلا وثوابا جزيلا بعد ان لا دفع للنازلة ولا فائدة
في الجزع ولا منفعة في الحقيقة مع الوزر والصبر تستقل السالك باب الاسترجاع
وقلبك بذكر ما يحصل لك على الله تعالى من الاجر وتتذكر صبر اولي العزم
المصائب العظام من الانبياء والاولياء وان غرة على الله تعالى واذا احس

عنك الدنيا في وقت فتقول يا نفس هو اعلم بالحال وارحم بك واكرم وانه
الذي يطعم الكلب في خسته ويطعم الكافر في عداوته وانا عبده العارف الموحد
أساويني عنده رغيفا ايضا فاعلمي بالحقيقة انه لم يحبس ذلك عنك الا لنفع
عظيم وسيجعل الله بعد عسر يسرا فاصبري قليلا ترى العجب من لطفه سبحانه اما
سمعت قول القائل يقول توقع صنع ربك سوف يأتي: بما تهواه من فرج
قريب: ولا تيأس اذا ما ناب خطب: فكم في الغيب من عجب عجيب
وقال آخر: اذا اشتدت بك العسرى ففكر في ألم نشرح: فعسر بين يسرين اذا
فكرته فافرح: فاذا اجريت هذه الاذكار ونحوها واظبت عليها بالتكرار والتمرين
فان ذلك سيهون عليك اذا كانت لك همة واجتهاد زمانا غير طويل ولقد
دفعت هذه العوارض الاربعة عن نفسك وكفيت مؤنتها وصرت عند الله تعالى
من المتوكلين المفوضين الراضين بقضائه الصابرين على بلائه وحصلت لنفسك
راحة القلب والبدن في الدنيا وعظيم الثواب والذخر العتيق وجليل القدر والمنزلة
عند رب العالمين فيجمع لك خير الدارين وتستقيم لك طريق العبادة اذ لا عائق ولا شاغل
وكنت حقيقة قد قطعت هذه العقبة العسرة والله سبحانه المسئول ان يمدك وايانا
بحسن توفيقه فان الامر كله بيده وهو ارحم الراحمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم العقبة الخامسة وهي عقبة البواعث ثم عليك يا اخي بالسير اذا استقام
لك الطريق وسهلت السبل وارتفعت العوائق وزالت العوارض عن الطريق
ولا يحصل لك السير المستقيم الا باستشعار الخوف والرجاء والتزامهما حتما على حدهما
اما الخوف فانما يجب التزامه لامرين احدهما الزجر عن المعاصي فان هذه النفس لامارة

بالسوء ميالة الى الشر طماحة الى الفتنة ولا تنتهي عن ذلك الا بتخويف عظيم
وتهديد بالغ وليست هي في طبعها حرة يتمها الوفاء ويثنيها الحياء عن الجفاء
وانما هي كما قال القايل العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامة والتدبير
في امرها ان تزعجها ابدا بسوط التخويف قولا وفعلا وذكرا نحو ما ذكر عن بعض الصالحين
ان نفسه دعته الى معصية فانطلق ونزع ثيابه وجعل يتمرغ في الرمضاء
ويقول لنفسه ذوقي فنار جهنم اشد حرا أمن بهذه اي جيفة بالليل بطالة بالنهار
والثاني لئلا تعجب بالطاعات فتهلك بل تتهمها بالذم والعيب والنقص لما
فيها من الاسواء والاوزار التي فيها من عيوب الاخطار وذلك نحو ما ذكر عن النبي صلعم انه
قال لو اني وعيسى اخذنا بما كسبت هاتان لعذبنا عذابا لم يعذب به احد و
اشار باصبعيه وعن الحسن انه كان يقول ما يأمن احدنا ان يكون قد اصاب ذنبا
فغلق باب المغفرة دونه فهو يعمل في غير معمل وعن ابن السماك فيما يعاتب نفسه
وتقولين قول الزاهدين وتعملين عمل المنافقين ومع ذلك في الجنة تطمعين هيهات هيهات
ان للجنة اقواما آخرين ولهم اعمال غير ما تعملين فهذه واشباهها مما يلزم العبد تذكيرها للنفس
وتكريرها عليها لئلا تعجب بطاعة او تقع في معصية وبالله التوفيق واما الرجاء فانما
يلزمك استشعاره لامرين احدهما للبعث على الطاعة وذلك ان الخير ثقيل و
الشيطان عنه زاجر والهوى الى ضده داع وحال اهل الغفلة من حالة الخلق
في النفس منطبع وما تنشأ به والثواب الذي يطلب بعمله غائب وامد الوصول
اليه فيما تحسبه بعيد واذا كان الحال على هذه الحالة فلا تنبعث النفس لخير ولا ترغب
في حسنة ولا تنشط الا بامر يقابل هذه الموانع ويساويها بل يزيد عليها وذلك الامر

هو الرجاء

هو الرجاء القوي في رحمة الله والترغيب البالغ في حسن ثوابه وكريم اجره
ولقد قال شيخنا رحمه الله الحزن يمنع من الطعام والخوف يمنع من الذنوب
والرجاء يقوي على الطاعات وذكر الموت يزهد في الفضول والثاني ليهون
عليك احتمال الشدائد والمشقات فاعلم ان من عرف ما يطلب هان عليه ما
يبذل ومن طلب شيئا ورغب فيه حق رغبته احتمل شدته ولم يبال بما يلقى
من مؤنته ومن احب احدا حق محبته احب ايضا احتمال محنته حتى انه ليجد بتلك المحنة
عزوبا من اللذة الا ترى ان مشتار العسل لا يبالي بلسع النحل لما يتذكر من حلاوة العسل
والاجير لا يعبو بارتقاء السلم الطويل مع حمل الثقل طول النهار الصائف المديد
لما يتذكر من اخذ الدرهمين بالعشي وان الفلاح لا يفكر بمقاسات الحر والبرد ومباشرة
الشقاء والكد طول السنة لما يتذكر من البيدر اوان الغلة وكذلك يا اخي العباد
الذين هم اهل الاجتهاد اذا ذكروا الجنة في طيب مستقبلها وانواع نعيمها من قصورها
وحورها ومطاعمها ومشاربها وحليها وحللها وسائر ما اعد الله تعالى لاهلها هان عليهم
ما احتملوه من تعب في عبادة او فاتهم في الدنيا من جاه او لذة او نعمة او نالهم في
الدنيا من ذلة او نقمة او نالهم من ضر ومشقة ولقد حكي عن بعض اصحاب سفيان
الثوري انهم كلموه فيما كانوا يرون من خوفه واجتهاده ورثاثة حاله فقالوا يا استاذ
لو نقصت من هذه الجهد نلت مرادك ايضا ان شاء الله تعالى فقال سفيان كيف
لا اجتهد وقد بلغني ان اهل الجنة يكونون في منازلهم فيتجلى لهم نور تضيء له الجنان
الثمانية فيظنون ان ذلك نور من جهة الرب سبحانه فيخرون ساجدين فينودون
ان ارفعوا رؤوسكم ليس الذي تظنون انما نور جارية تبسمت في وجه زوجها ثم انشأ

يقول: ما ضر من كانت الفردوس مسكنه * ماذا تحمّل من بؤس واقتار
تراه يمشي كئيبا خائفا وجلا * الى المساجد يمشي بين أطمار * يا نفس
ما لك من صبر على النار * قد حان ان تقبلي من بعد ادبار * قلت ثم
اذا كان مدار امر العبودية على الامرين القيام بالطاعة والانتهاء عن المعصية
وذلك لا يتم مع هذه النفس الامارة بالسوء الا بترغيب وترهيب وترجية
وتخويف فان الدابة الحرون تحتاج الى قائد يقودها والى سائق يسوقها
واذا وقعت في مهواة فربما تضرب بالسوط من جانب وتلوح لها بالشعير
من جانب آخر حتى تنهض وتتخلص مما وقعت فيه وان الصبي العرم لا يمضي
الى الكتاب الا بترجية من الوالدين وتخويف من المعلم فكذلك هذه النفس
دابة حرون وقعت في مهوات الدنيا فالخوف سوطها وسائقها والرجاء شعيرها
وقائدها وانها الصبي العرم يميل الى كتاب العبادة والتقوى فذكر النار والعقاب
تخويفه وذكر الجنة وثوابها ترجيته وترغيبه فكذلك يلزم العبد الطالب للعبادة
والرياضة ان يشوق النفس بالامرين الذين هما الخوف والرجاء والا فلا تستقيم
النفس الجموح على ذلك ولهذا المعنى اتى الذكر الحكيم بمجموع الامرين الوعد والوعيد
والترغيب والترهيب وابلغ في كل واحد منهما فذكر من الثواب الكريم ما لا حصر له
وذكر من العقاب الاليم ما لا صبر عليه فعليك ايها الرجل بالتزام هذين المعنيين
ليحصل لك مرادك ويسهل عليك احتمال المشقة والله تعالى ولي التوفيق بفضله
فان قلت فما حقيقة الرجاء والخوف وحكمهما فاعلم ان الخوف والرجاء عند
علمائنا رحمهم الله يرجعان الى قبيل الخواطر وانما المقدور للعبد مقدماتهما قالوا

الخوف رعدة تحدث في القلب عن ظن مكروه يناله والخشية نحوه لكن الخشية
تنقبض منها من الاستعظام والمهابة وضد الخوف الجرأة والخوف مقابل بالامن
فيقال خائف وآمن لان الآمن الذي يجترئ على الله عز وجل والخشية ان
الجرأة تضاده ومقدمات الخوف اربع ذكر الذنوب الكثيرة التي سبقت
وكثرة الخصوم الذين مضوا الى المظالم وانت مرتهن لم تتبين لك الخلاص بعد
والثانية ذكر شدة عقوبة الله سبحانه التي لا طاقة لك بها والثالثة ذكر ضعف نفسك
عن احتمالها والرابعة ذكر قدرة الله عليك متى شاء وكيف شاء واما الرجاء
فهو ابتهاج القلب بمعرفة فضل الله واسترواحه الى سعة رحمة الله تعالى وهذا من
جملة الخواطر غير مقدور للعبد ورجاء هو مقدور وهو تذكر فضل الله ورحمة
رحمته وقد يسمى ايضا ارادة المعنى طرة بالاستبشار رجاء والمراد من هذا الباب
هو الاول وهو التذكر على حسب الابتهاج والاسترواح وضده الياس
وهو تذكر فوات رحمة الله تعالى وفضله وقطع القلب عن ذلك وهو معصية
محض وهذا الرجاء فرض اذ لم يكن للعبد سبيل الى الامتناع عن الياس الا به
والا فهو فعل بعد اعتقاده الجد في فضل الله وسعة رحمته ومقدمات الرجاء
اربع الاول ذكر سوابق فضله اليك من غير قدم او شفيع والثاني ذكر
ما وعد من جزيل ثوابه وعظيم كرامته حسب فضله وكرمه دون استحقاقك
اياه بالعمل اذ لو كان على حسب العمل لكان اقل شيء واصغر والثالث
ذكر كثرة نعمه عليك في امر دينك ودنياك في الحال من انواع الامداد و
الالطاف من غير استحقاق او سؤال والرابعة ذكر سعة رحمة الله تعالى وسبقها

وغضبه وانه ارحم الراحمين الغني الكريم الرؤوف بعباده المؤمنين فاذا
واظبت على هذين النوعين من الاذكار افضينا بك الى استشعار
الخوف والرجاء بكل حال والله تعالى ولي التوفيق بمنه وفضله

فصل

فعليك ايها الرجل بقطع هذه العقبة في تمام الاحتياط والتحرز وجد الرعاية
فانها عقبة دقيقة المسلك خطرة الطريق وذلك ان طريقها بين طريقين
مخوفين مهلكين احدهما طريق الامن والثاني طريق الياس وطريق الرجاء
والخوف وهو طريق العدل بينهما بين طريقين الجائرين فان غلب الرجاء
عليك حتى فقدت الخوف البتة وقعت في طريق الامن ولا يامن مكر الله
الا القوم الخاسرون وان غلب الخوف حتى فقدت الرجاء البتة وقعت في طريق
الياس ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وان كنت ركبت
بين الرجاء والخوف واعتصمت بهما جميعا هذا الطريق العدل المستقيم التي
هي سبيل اولياء الله واصفيائه الذين وصفهم الله تعالى بقوله انهم كانوا يسارعون
في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين فاذا ظهرت
لك في هذه العقبة طرق ثلثة طريق الامن والجرءة وطريق الياس والقنوط
وطريق الخوف والرجاء ممتدة بينهما فان ملت عنه بقدم الى يمينك
او يسارك وقعت في المهلكين وهلكت مع الهالكين ثم الشان ان الطريقين
الجائرين المهلكين اوسع مجالا واكثر دواعيا واسهل سلوكا من الطريق العدل
لانك اذا نظرت من جانب الامن رايت من سعة رحمة الله وكثرة فضله
وغاية جوده ما لا يبقي لك معه خوف فتتكل على ذلك بمرة وتامن وان

نظرت

نظرت من جانب الخوف رايت من عظيم سياسة الله تعالى وكثرة هيبته و
دقة امره وغاية مناقشته مع اوليائه واصفيائه ما لا يكاد يبقى معه رجاء
فتياس بمرة وتقنط فتحتاج اذا ان لا تنظر الى سعة الرحمة فقط حتى تتكل
وتامن ولا الى عظيم الهيبة والمناقشة فقط حتى تقنط وتياس بل تنظر الى هذا
والى هذا جميعا وتاخذ من هذا البعض ومن هذا البعض فتركب بينهما طريقا دقيقا
وتسلك ذلك لتسلم فان طريق الرجاء المحض سهل واسع عريض وعاقبته
تؤديك الى الامان والخسران وطريق الخوف المحض واسع عريض وعاقبته
تؤديك الى الضلال وطريق العدل بينهما طريق الخوف والرجاء فان كان دقيقا
عسرا فانه سبيل سالم ومنهج متين يؤدي الى الغفران والاحسان ثم الى الجنان
والرضوان ولقاء الملك الرحمن سبحانه اما تسمع قوله في انباء هذه السبيل
يدعون ربهم خوفا وطمعا ثم قال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء
بما كانوا يعملون فتامل هذه الجملة جدا وتشمر وتنبه لما رفانه لا يعني بالتمني
والله الموفق ثم اعلم انه لا يتاتى لك سلوك هذا الطريق وحمل هذه النفس
الجموح الكسلانة على الخير الا باجتناب المحبوب عندها وارتكاب الطاعات
الشاقة عليها الا بالتحفظ ثلثة اصول والتذكر لها على سبيل الدوام من غير فترة
ولا غفلة احدها ذكر قوله سبحانه في الترغيب والترهيب والثاني ذكر افعاله سبحانه
في الاخذ والعفو والثالث ذكر جزائه للعباد في المعاد من الثواب والعقاب
وتفصيل كل اصل منها يحتاج الى صحف كثيرة ولاجلها صنفنا كتاب تنبيه
الغافلين ونحن نشير في هذا الكتاب الى كلمات توقفك على المقصود ان شاء الله

الوصل الخامس

قوله جل اسمه فتدبر ايها الرجل ما في الكتاب العزيز
من آيات الترغيب والترهيب والترجية والتخويف فمن آيات الرجاء
قوله عز وجل لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ومن يغفر
الذنوب الا الله غافر الذنب وقابل التوب وهو الذي يقبل التوبة عن
عباده ويعفوا عن السيئات كتب ربكم على نفسه الرحمة ورحمتي وسعت
كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ان الله بالناس لرؤف رحيم وكان
بالمؤمنين رحيما فهذه ونحوها آيات الرجاء ومن آيات الخوف والياس قوله
يا عبادي فاتقون افحسبتم انما خلقناكم عبثا ايحسب الانسان ان يترك
سدى ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقدمنا الى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا نسئل الله ان يشملنا برحمته ومن الآيات
اللطيفة الجامعة بين الخوف والرجاء قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم
ثم قال في عقبه وان عذابي هو العذاب الاليم لئلا يستولي عليك الرجاء
بمرة وقوله شديد العقاب ثم قال في عقبه ذي الطول لئلا يستولي عليك
الخوف بمرة واعجب من ذلك قوله ويحذركم الله نفسه ثم قال في عقبه والله
رؤف بالعباد واعجب منه قوله تعالى من خشي الرحمن بالغيب علق الخشية
باسم الرحمن دون اسم الجبار او المنتقم او المتكبر ونحوه لتكون الخشية مع ذكر
الرحمة فلا تكون الخشية تنظر بك بمرة فتكون تخويفا في تانيس وتحريكا
في تسكين كما تقول الا تخشى الوالدة الرحيمة الا تخاف الوالد الشفيق اما

تجده الا البر الكريم والمراد من ذلك ان يكون الطريق عدلا فلا تذهب
الى امن وقنوط جعلناه واياكم من المتدبرين لهذه الذكرى العاملين بما فيه
انه الجواد الكريم **الوصل السادس** افعاله ومعاملاته اما من جانب الخوف
فلا قول الا ان ابليس عبده ثمانين الف سنة لم يترك فيها شبرا موضع قدم
الا وسجد لله تعالى فيه سجدة ثم ترك له امرا واحدا فطرده عن بابه وضرب بوجهه
عبادة ثمانين الف سنة ولعنه الى يوم الدين واعد له عذابا اليما ابد الآبدين
حتى ان الصادق الامين صلوات الله وسلامه عليه راى جبرائيل متعلقا
باستار الكعبة وهو ينادي ويصرخ الهي لا تغير اسمي ولا تبدل جسمي
ثم آدم عليه السلام صفيه ونبيه الذي خلقه بيده واسجد له ملائكته وحمله على
اعناقهم الى جواره وانبسط فاكل اكلة واحدة لم يؤذن له فيها فنودي
الا لا يجاورني من عصاني وامر الملائكة الذين حملوا سريره يخرجونه من
سمائي الى سماء حتى ادفعوه بالارض ولم يقبل توبته فيما روي حتى بكى على
ذلك مائتي سنة ولحقه من الهوان والبلاء ما لحقه وبقيت ذريته في تبعات
ذلك الى الابد ثم ان نوحا شيخ المرسلين صلوات الله عليهم اجمعين الذي احتمل في
امر دينه ما احتمل لم يقل الا كلمة واحدة على غير وجهها اذ نودي فلا تسئلني
ما ليس به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين حتى روي في بعض الاخبار
انه لم يرفع راسه الى السماء حياء من الله تعالى اربعين سنة ثم ان ابراهيم
خليل الرحمن لم يكن منه الا هفوة واحدة فكم خاف وتضرع وقال والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين حتى روي انه كان يبكي من شدة الخوف

ثم يرسل الله تعالى اليه الامين جبرائيل عليه افضل السلام فيقول يا ابراهيم
هل رأيت خليلا يعذب خليله بالنار فيقول يا جبرائيل اذا ذكرت خطيئتي
نسيت خلته ثم موسى بن عمران لم يكن منه الا لطمة عن حده فلم خاف وتضرع واستغفر
وقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي ثم في زمانه بلعم بن باعورا كان بحيث اذا
نظر رأى الوحش وهو المعني بقوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا
فانسلخ منها فاتبعه الشيطان ولم يبق آتيناه واحدة فانسلخ منها ولم يحصل
الا الذلة واحدة مال الى الدنيا واهلها ميلة واحدة وترك اولى من اوليائه
حرمة واحدة سلبه معرفته وجعله بمنزلة الكلب المطرود فقال فمثله كمثل الكلب
فاوقعه في بحر الضلال والهلاك الى آخر الابد حتى سمعت بعض العلماء يقول
انه كان في اول امره بحيث يكون في مجلسه اثنا عشر الف محبرة للمتعلمين
الذين يكتبون عنه ثم صار بحيث كان اول من صنف كتابا ان ليس للعالم صانع
نعوذ بالله من سخطه وعذابه الاليم وفظيع عذابه الذي لا طاقة لنا به فانظر حب الدنيا
وشومها بانه يجلب للعلماء خاصة فتنبه فان الامر خطير والعمر قصير وفي العمل تقصير
والناقد بصير فان ختم بالخير اعمالنا واقالنا عثراتنا فيا حبذا ذلك عليه يسير
ثم ان داود عليه السلام خليفته في ارضه اذنب ذنبا واحدا فبكى على ذنبه
حتى نبت العشب في الارض من دموعه وقال الهي اما ترحم بكائي وتضرعي فاجاب
يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك ولم يقبل توبته اربعين يوما وقيل اربعين
سنة ثم يونس عليه السلام غضب غضبة واحدة في غير موضعها فحبسه في بطن الحوت
تحت قعر البحار اربعين يوما وهو ينادي ان لا اله الا الله انت سبحانك اني كنت من الظالمين

وسمعت الملائكة صوتا فقالوا الهنا وسيدنا صوت معروف في موضع مجهول
قال تعالى ذلك عبدي يونس فشفعت فيه الملائكة ثم مدح ذلك بكلام عز
اسمه فقال وذا النون فنسبه الى محنته ثم قال فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه
كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون ثم ذكر نعمه ومنته فقال لولا
ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فانظر الى هذه السياسة ايها المسكين
وكذلك هلم جرا الى سيد المرسلين اكرم خلقه عليه يقول له فاستقم كما امرت
ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير حتى كان صلعم يقول شيبتني
سورة هود واخواتها قيل عنى بهذه الآية واشكالها من القرآن وقال تعالى
واستغفر لذنبك الى ان من عليه بالغفران فقال ووضعنا عنك وزرك
الذي انقض ظهرك وقال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
وكان عليه السلام بعد ذلك يصلي الليل حتى تورمت قدماه فيقولون اتفعل
ذلك هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فيقول افلا اكون عبدا شكورا وكان عليه السلام يقول لو ان وعيسى اخذنا بما
كسبت هاتان لنعذب بنا عذابا لم يعذب به احدا من العالمين وكان يصلي الليل
ويبكي ويقول اعوذ بعفوك من عذابك وبرضاك من سخطك واعوذ بك
منك لا احصي ثناء عليك كما اثنيت على نفسك ثم الصحابة الذين هم خير قرن من
خير الامة كان يبدو منهم شيء من المزاح فنزل قوله الم يأن للذين آمنوا ان تخشع
قلوبهم لذكر الله الآية ثم وضع في هذه الامة مع كونها امة مرحومة الحدود والسياسات
الغليظة والآداب حتى كان يونس بن عبيد يقول لا آمن من قطع في غيره ودوام

خير عظيم منك ان يكون عذابه بهذا فما اشك الله تعالى الكريم الرحيم سبحانه ان
لا يعاملنا الا بحسن كرمه انه هو ارحم الراحمين **واما جانب الرجاء** فحدث
عن رحمة الله تعالى الواسعة ولا حرج ومن الذي يعرف غايتها او يحسن وصفها
فانه الذي يحب كفر سبعين سنة بايمان ساعة قال الله تعالى قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف اما ترى الى سحرة فرعون الذين جاءوا لحربه
وحلفوا بعزة فرعون عددهم فما قالوا الا آمنا عن صدق القلوب كيف
قبلهم ووهب لهم جميع ما سلف ثم كيف جعلهم رؤس الشهداء في الجنة ابد الآبدين
فهذا اسرع من غرغرة وقدره ساعة بعد كل ذلك الكفر والضلال والفساد وكيف
حال من افنى في توحيده عمره لا يرى في ذلك اهمال الدارين عزه اما ترى اصحاب
الكهف وما كانوا عليه من الكفر طول اعمارهم اذ قالوا ربنا رب السموات والارض
والتجؤا اليه كيف قبلهم ثم اعزهم واكرمهم تعالى ونقلبهم ذات اليمين وذات
الشمال وكيف اعطاهم الهيبة والبسهم المهابة والخشية حتى يقول لاكرم خلق
عليه لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا ثم كيف اكرم كلبا
تبعهم حتى ذكره في كتابه العزيز مرات ثم جعل بعضهم في الدنيا مجرحا ويدخله الجنة في الاخرة
تكرما فهذه فضله مع كلب خطا خطوات مع قوم عرفوه ووحدوه اياما معدودة
من غير عبادة وخدمة فكيف فضله مع عبده المؤمن الذي عبده ووحده وعبده
سبعين سنة ولو عاش سبعين الف سنة كان قاصدا للعبودية اما سمعت كيف
عاتب الله ابراهيم في دعائه على المجرمين بالهلاك وكيف عاتب موسى في امر قارون
فقال استغاث بك قارون فلم تغثه فوعزتي لو استغاث بي لاغثته وعفوت

عنه

عنه وكيف عاتب يونس في شان قومه بانك تحزن على شجرة يقطين انبتها
في ساعة وايبستها في ساعة ولا تحزن على مائة الف او يزيدون ثم كيف قبل
عذرهم وصرف عذابه العظيم عنهم بعد ما اظلهم ثم كيف عاتب سيد المرسلين
فيما روي انه دخل من باب بني شيبة فراى قوما يضحكون فقال لم تضحكون
لا اراكم تضحكون حتى اذا كان عند الحجر رجع اليهم القهقرى فقال جاءني جبرائيل فقال
يا محمد ان الله تعالى يقول لك لم تقنط عبادي من رحمتي نبئ عبادي اني انا الغفور
الرحيم وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله ارحم بالعبد من الوالدة المشفقة بولدها
وفي الخبر المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى مائة رحمة فواحدة منها قسمها بين الجن و
الانس والبهائم فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وذخر منها تسعة وتسعين
لنفسه يرحم بها عباده يوم القيمة واذ قد اعطاك من الرحمة الواحدة نصيبا كل هذه
العطايا الكريمة العزيزة من معرفته سبحانه والكون من هذه الامة المرحومة ثم معرفة
السنة والجماعة الى سائر ما لديك من النعم الظاهرة والباطنة فرجو من فضله
العظيم ان يتم ذلك فان من بدا بالاحسان فعليه الاتمام ويجعل لك من تسعة
وتسعين رحمة تلك الظلال وفوز نسئل الله سبحانه ان لا يخيب امالنا من فضله
العظيم بفضله سيد الكريم الجواد الرحيم **واما الفصل الثالث** في ذكر ما بعد الموت
في المعاد فلنذكر في ذلك الاحوال الاربعة الموت والقبر والقيمة والجنة والنار
وما في كل مقام منها من الحظ للمطيعين والعاصين والمقربين والمجتهدين
واما الموت فاذكر فيه حال رجلين احدهما ما روي عن ابي شبرمة انه
قال دخلت مع الشعبي على رجل نعوده فوجدناه وعنده رجل يلقنه لا اله الا الله
فبهت او لم يلتفت لا اله الا الله

فقال الشيخ اوضعني به فكلم المريض وقال ان تلقنني او لا تلقنني فاني لا ادعها
ثم قرأ والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها فقال الشيخ الحمد لله نجا صاحبنا
والاخر ما حكي ان تلميذ الفضيل بن عياض حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل و
جلس عند رأسه وقرأ سورة يس فقال يا استاذ لا تقرأ هذه فسكت ثم لقنه فقال
قل لا اله الا الله فقال لا اقولها لاني منها بريء ومات على ذلك فدخل الفضيل
منزله وجعل يبكي اربعين يوما لم يخرج من البيت ثم رآه في النوم وهو يسحب الى جهنم
فقال بأي شيء نزع الله المعرفة عنك وكنت اعلم تلاميذي قال بثلثة اشياء
اولها بالنميمة فاني قلت لاصحابي بخلاف ما قلت لك والثاني بالحسد حسدت
اصحابي والثالث كان بي علة فجئت الى طبيب وسألته عنها فقال اشرب
في كل سنة قدحا من خمر فان لم تفعل تبق بك العلة فكنت اشربه نعوذ بالله
من سخط الذي لا طاقة لنا به ثم اذكر حال رجلين احدهما ما حكي عن عبد الله بن
المبارك انه لما احتضر نظر الى السماء فضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون
وسمعت امام الحرمين رحمه الله يحكي عن الاستاد ابي بكر انه قال كان لي صاحب
ايام التعليم وكان مجتهدا كثير الجهد في التعليم تقيا متعبدا وكان لا يحصل له مع
الاجتهاد الا القليل وكنا نتعجب من حاله فمرض فلزم مكانه بين الاولياء في الرباط
ولم ينتقل الى بيت المرضى وكان يجتهد مع مرضه فاشتد به الحال وانا جالسه
فبينما هو اذ شخص بصره الى السماء ثم قال يا ابن فورك لمثل هذا فليعمل العاملون
وتوفي عند ذلك رحمه الله واما الاخر فنحو ما روي عن مالك بن دينار
انه دخل على جار له احتضر فقال له يا مالك جبلان من نار بين يدي

اكلف الصعود عليهما فسألت اهله فقالوا كان له مكيالان يكيل باحدهما
ويكتال بالاخر فدعوت بهما فضربت احدهما بالاخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل
فقال ما تزداد الامر علي الا عظما واما الخبر والحال بعد الموت فاذكر فيه
حال رجلين احدهما ما ذكر عن بعض الصالحين قال رأيت سفيان الثوري
في النوم بعد موته فقلت كيف حالك يا ابا عبد الله فاعرض عني وقال ليس
هذا زمان الكنية فقلت كيف حالك يا سفيان فانشأ يقول * نظرت
الى ربي كفاحا عيانا فقال لي * هنيئا رضائي عنك يا ابن سعيد * لقد كنت
قواما اذا اقبل الدجى * بعبرة مشتاق وقلب عميد * فدونك فاختر
اي قصر اردته * وزرني فاني منك غير بعيد * والرجل الثاني ما ذكر ان بعضهم
رأى في النوم شاحب اللون مغلولة يديه الى عنقه فقيل له ما فعل الله بك
فانشأ يقول * تولى زمان لعبنا به * وهذا زمان بنا يلعب * وحال
اخرين احدهما ما روي ان بعض الصالحين قال كان لي ابن استشهد فلم
اره في المنام الا ليلة الى ليلة توفي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اذ تراءى
لي تلك الليلة فقلت يا بني الم تكن ميتا قال لا ولكني استشهدت وانا حي
عند الله ترزق فقلت ما جاء بك قال نودي في اهل السماء ان لا يبقى
نبي ولا صديق ولا شهيد الا ويحضره الصلوة على عمر بن عبد العزيز فجئت
لاشهد الصلوة ثم جئتكم لاسلم عليكم واما الاخر فما روي عن هشام بن حسان
انه قال مات لي ابن صغير فرأيته في النوم فاذا هو شيب فقلت يا بني
ما هذا الشيب فقال لما قدم علينا فلان زفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق

منا احد الا شاب نعوذ بالله الرحيم من عذابه الاليم **واما القيمة** فقال
قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا
فما احد يخرج من قبره فاذا البراق على راس القبر والتاج والحلل فيلبس ويركب
الى جنات النعيم لا يخلى من عزه ان يمشي الى الجنة برجله وآخر يخرج من قبره فاذا
الزبانية والاغلال والانكال لا يخلون الشقي ان يمشي الى النار برجله بل
يسحب الى سواد الجحيم على وجهه نعوذ بالله من سخطه ولقد سمعت بعض العلماء يروي
عن النبي صلعم انه قال اذا كان يوم القيمة يخرج قوم من قبورهم لهم نجب يركبونها لها
اجنحة خضر فتطير بهم من عرصات القيمة حتى اتوا على حيطان الجنة فاذا رأتهم
الملائكة قال بعضهم لبعض من هؤلاء فيقولون ما ندري لعلهم من امة محمد صلعم فيأتيهم
بعض الملائكة فيقولون من انتم ومن اي الامم انتم فيقولون نحن من امة محمد صلعم
فيقول الملائكة هل حوسبتم فيقولون لا فيقول هل وزنتم فيقولون لا فيقولون
هل قرأتم كتبكم فيقولون لا فيقول الملائكة ارجعوا الى محل ذلك ورائكم فيقولون هل
اعطيتمونا شيئا فنحاسب عليه وفي خبر آخر ما ملكنا شيئا فنعدل او نجوز ولكن
عبدنا ربنا حتى دعانا فاجبناه فينادي مناد صدق عبادي ما على المحسنين من سبيل
والله غفور رحيم اما تسمع قوله افمن يلقى في النار خير ام من يأتي آمنا يوم القيمة
فاعظم برجل يشاهد تلك الاهوال والزلازل والوقايع وهو آمن لا يدخل
قلبه فزع ولا يكون على قلبه ثقل نسئل الله تعالى ان يجعلنا واياكم من اولئك السعداء
وما ذلك على الله بعزيز **واما الجنة والنار** فقال فيها آيتين من كتاب الله
احدهما قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا

وقال حكاية من آوين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤوا
فيها ولا تكلمون وروي انهم يصيرون عند ذلك كلابا ينبحون في النار
نعوذ بالله الرؤف الرحيم من عذابه الاليم فان الامر كما قال يحيى بن معاذ الرازي
لا ندري اي المصيبتين اعظم فوت الجنان ام دخول النيران اما الجنة فلا صبر
عنها واما النار فلا صبر عليها وعلى كل حال فوت النعيم ايسر من مقاسات الجحيم
ثم الطامة الكبرى والمصيبة العظمى هي الخلود اذ لو كان على حال سينقضي لكان
الامر هينا ولكن الشأن في ابد بلا آخر فاي قلب يحتمل ذلك واي نفس تصبر
على ذلك ولذلك قال عيسى عليه السلام ذكر اثنين يقطع قلوب الخائفين
وذكر عند الحسن ان آخر من يخرج من النار رجل يقال له هناد عذب الف عام
ينادي يا حنان يا منان فبكى الحسن وقال ليتني كنت هنادا فتعجبوا منه فقال
ويحكم اليس يوما يخرج قلت مرجع الامر كله الى الاجل وهي النكتة التي تقصم الظهور
وتصفر الوجوه وتقطع القلوب وتذيب الاكباد وتدمي العيون من العباد
وهي خوف نزع المعرفة فهذه الغاية التي ينتهي اليها خوف الخائفين وتبكي عليها
اعين الباكين ولقد قال بعضهم ان الغموم ثلثة غم الطاعة ان لا تقبل وغم المعصية
ان لا تغفر وغم المعرفة ان تسلب وقال المخلصون بل الغم كله هو الواحد بالحقيقة
وهو غم المعرفة وكل غم دونه جلل اذا انقضاه ولقد بلغنا عن يوسف بن اسباط
رحمه الله انه قال دخلت على سفيان فبكى ليلة اجمع فقلت بكاؤك هذا على
الذنوب فحمل تبنا وقال الذنوب اهون على الله من هذا انما اخشى ان يسلبني الله
الاسلام نسئل الله تعالى ربنا المنان ان لا يبتلينا بمعصية وان يتم علينا بفضله

كبير نعمته وان يتوفانا على ملة الاسلام انه ارحم الراحمين وقد ذكرنا سبب
سوء الخاتمة ومعناها في كتاب احياء علوم الدين فتأمل هنالك فان الوصول فيه
ههنا خروج الى الاكثار فتأمل بهذه الجملة فان التفصيل اكثر من ان ياتي عليه الوهم
والذكر لعلك تفلح بعون الله وحسن توفيقه فان قلت فاي الطريقين افضل
طريق الخوف ام طريق الرجاء فيقال لك بل المركب منهما ولقد قيل من غلب عليه
الرجاء صار مرجيا بل ربما يخاف عليه ان يصير مرجيا ومن غلب عليه الخوف
صار حروريا والمراد ان لا يتوقى باحدهما دون الآخر فان بالحقيقة الرجاء الحقيق
لا ينفك عن الخوف الصحيح والخوف الصحيح لا ينفك عن الرجاء الصحيح ولذلك قيل الرجاء
كله لاهل الخوف لا الامن والخوف كله لاهل الرجاء لا الاياس فان قلت فهل يكون
احدهما ارجح والاكثر ذكرا اجمال فاعلم ان العبد اذا كان صحيحا قويا فالخوف اولى و
اذا مرض وضعف لا سيما اذا اشرف على الآخرة فالرجاء اولى كذا سمعت
العلماء يقولون قلت وذلك لان روي ان الله تع يقول انا عند المنكسرة قلوبهم
من مخافتي فيصير رجاؤه اولى في ذلك الوقت لانكسار قلبه وخوفه المتقدم زمان
الصحة والقوة والامكان ولذلك يقال لهم الا تخافوا ولا تحزنوا فان قلت
اليس قد جاءت الاخبار الكثيرة في حسن الظن بالله والترغيب في ذلك
فاعلم ان من حسن الظن بالله الحذر من المعصية والخوف من عقابه والاجتهاد
في خدمته واعلم ان ههنا اصلا ونكتة عزيزة يغلط فيها الكثير من الناس وهو
ان الفرق بين الرجاء والامنية ان الرجاء يكون على اصل والتمني لا يكون على
اصل مثاله من زرع واجتهد وجمع بيدرا ثم يقول ارجوان يحصل لي منه مائة

قفيز فذلك منه رجاء وآخر لا يزرع زرعا ولا يعمل يوما فذهب ونام واغفل
سنة فاذا جاء وقت البيادر يقول ارجوان يحصل لي مائة قفيز فيقال له من
اين لك هذا الرجاء وانما ذلك امنية بلا اصل فكذلك العبد اذا اجتهد في عبادة
الله وانتهى عن معصية يقول ارجوان يتقبل هذا اليسير ويتم هذا التقصير ويعظم الثواب
ويعفو عن الزلل واحسن الظن فهذا منه رجاء واما اذا غفل وترك الطاعات
فارتكب المعاصي ولم يبال بسخط الله ولا رضاه ووعده ووعيده ثم اخذ يقول
انا ارجو من الله الجنة والنجاة من النار فذلك منه امنية لا حاصل تحتها سماها رجاء
وحسن ظن وذلك خطاء وضلال حلت وما يبين هذا الاصل ما روي عن
النبي صلعم انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع
نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل وفي ذلك يقول الحسن البصري ان اقواما الهتهم
اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ليست لهم حسنة يقول اني احسن الظن بربي
وكذب ولو احسن الظن بربه لاحسن العمل له ثم تلا قوله وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم
ارديكم فاصبحتم من الخاسرين وعن جعفر الضبعي قال رايت ابا مكرة العابد
وقد بدت اضلاعه من الاجتهاد فقلت رحمك الله ان رحمة الله واسعة فغضب
وقال هل رايت مني ما يدل على القنوط ان رحمة الله قريب من المحسنين قال جعفر
فابكاني قوله فاذا كان الرسل والابدال والاولياء مع كل هذه الاجتهاد في الطاعة
والحذر من المعصية فانيش تقول اما كان لهم حسن ظن بالله بلى فانهم كانوا اعلم
بسعة رحمة الله واحسن ظنا بجوده منك ولكن علموا ان ذلك دون الاجتهاد
امنية وغرور فاعتبر بهذه النكتة وتامل حالهم وانتبه من رقدتك والله تعالى ولي التوفيق

فصل وجملة الامر انك اذا تذكرت سعة رحمة الله التى سبقت
غضبه ووسعت كل شى ثم ان كنت من هذه الامة المرحومة الكريمة على الله عز وجل
ثم غايت فضله العظيم وكمال جوده القديم وجعل عنوان كتابه اليك بسم الله الرحمن
الرحيم ثم كثرة اياديه ونعمه اليك وبغيه عليك ظاهرة وباطنة من غير شفيع او قدم
سابقة لك وتذكرت من جانب آخر كمال جلاله وعظمته وعظم سلطانه وهيبته
ثم شدة غضبه الذى لا تقوم له السموات والارض ثم غايت غفلتك وكثرة ذنوبك
وجفوتك مع دقة امره وخطر معاملته فى احاطة علمه وبصره بالغيوب والعيوب
ثم حسن وعده وثوابه الذى لا يبلغ كنهه الاوهام وشدة وعيده واليم عقابه
الذى لا يحتمل ذكره القلوب تارة تنظر الى فضله وتارة تنظر الى عذابه وتارة تنظر
الى عدله وتارة تنظر الى رحمته ورافته وطورا تنظر الى نفسك فى جفواتها وجناياتها
تأدى بك جميع ذلك الى الخوف والرجاء وكنت قد سلكت السبيل الشارع القصد
وعدلت من الجانبين المهلكين الامن واليأس ولا تتيه فيهما مع التايهين
ولا تهلك مع الهالكين وشربت الشراب الممزوج العدل فلا تهلكك برودة
الرجاء الصرف وحرارة الخوف الصرف فكان بك قد وصلت الى المقصود
غانما وشفيت من العلتين سالما ووجدت النفس وقد اثبت للطاعة ودوام
فى الخدمة ليلا ونهارا من غير فترة ولا غفلة واجتنبت المعاصى والمخازى
وهجرتها بمرة كما قال نوف ان نوما اذا ذكر الجنة طال شوقه واذا ذكر النار
طال نومه وصرت حينئذ من الاصفياء الخواص العابدين الذين وصفهم الله تعالى
بقوله انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين

وكنت قد قطعت بهذه العقبة الخطيرة باذن الله تعالى وحسن توفيقه فكم من حلاوة
وصفوة فى الدنيا وكم لك من ذخر كريم واجر عظيم فى العقبى والله سبحانه مسئول
ان يمدك وايانا بحسن توفيقه وتسديده انه ارحم الراحمين واجود الاجودين ولا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم **العقبة السادسة فى عقبة القوادح**
ثم عليك يا اخى ايدك الله وايانا بحسن توفيقه بعد ما استبان لك السبيل
واستقام لك المسير تمييز سعيك وصيانته عما يفسده ويفتنه عليك واما
ذلك باقامة الاخلاص وذكر المنة والاجتناب عن ضده لامرين احدهما ما فى
فعله من الفائدة وهو حسن القبول من الله تعالى ووفور الثواب
عليه والا فيكون مردودا وذهب الثواب كلا وبعضا على ما روى فى الخبر
المشهور عن النبى صم ان الله تعالى يقول انا اغنى الاغنياء عن الشريك من
عمل عملا فاشرك فيه غيرى فنصيبى له فانى لا اقبل الا ما كان لى خالصا وقيل
ان الله تعالى يقول لعبده يوم القيمة اذا التمس ثواب عمله الم توسع لك فى
المجالس الم تكن الرئيس فى الدنيا الم يرخص بيعك وشراؤك الم تكرم
هذا واشباهه من الحظ والقسمة ومن خطر الرياء فضيحتان ومصيبتان
اما الفضيحتان فاحدهما فضيحة السر وهى اللوم على رؤس الملائكة وذلك
لما روى ان الملائكة تصعد بعمل العبد مبتهجين فيقول الله ردوه الى سجين
فانه لم يردنى به فيفتضح ذلك العمل والعبد والثانية فضيحة العلانية وهى يوم القيمة
على رؤس الاشهاد وروى عن النبى صم ان المرائى ينادى باربعة اسماء يا كافر
يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل سعيك وبطل اجرك فلا خلاق لك التمس

الا اجر لمن كنت تعمل له يا مخادع وروي انه ينادي منادٍ يوم القيمة يسمع الخلائق
اين الذين كانوا يعبدون الناس قوموا خذوا اجوركم ممن عملتم له فاني لا اقبل
عملا خالطه شيء واما المصيبتان فاحديها فوت الجنة وذلك ما روي عن النبي صلعم
ان الجنة تكلمت وقالت انا حرام على كل بخيل ومراء والبخيل يحتمل معنيين احدهما
ان هذا البخيل من بخل باقبح بخل وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله
وهذا المرائي من يرائي باقبح رياء فهو المنافق الذي يرائي بايمانه وتوحيده
وفي هذا القول ترجية والثاني انه من لم يتب عن البخل والرياء ولم يخلع نفسه
ففيه خطر ان يلحقه بشؤم ذلك فيقع في الكفر فيفوته الجنة رأسا والعياذ بالله
واما المصيبة الثالثة دخول النار وذلك لما روى ابو هريرة عن النبي صلعم
ان اول من يدعى يوم القيمة رجل قد جمع القران ورجل قاتل في سبيل الله
ورجل كثير المال فيقول الله تعالى للقاري الم اعلمك ما انزلت فيقول بلى
يا رب فيقول ما عملت فيما علمت فيقول يا رب قمت به اناء الليل والنهار
فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله تعالى بل اردت ان يقال
فلان قارئ فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الم اوسع عليك
حتى لم ادعك تحتاج الى احد فيقول بلى يا رب فيقول فما عملت فيما اتيتك
فيقول كنت اصل الرحم واتصدق فيقول كذبت ويقول الملائكة كذبت
ويقول الله بل اردت ان يقال فلان جواد فقد قيل ويؤتى بالذي قتل
في سبيل الله فيقول ما فعلت فيقول امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت
حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت فيقول الله بل اردت

ان يقال

ان يقال فلان جريء فقد قيل ذلك قال ابو هريرة ثم ضرب رسول الله صلعم
بيده على ركبتي وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق الله تسعر بهم نار جهنم
وعن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلعم يقول ان النار واهلها يعجون
من اهل الرياء قيل يا رسول الله كيف تعج النار من حر النار التي يعذبون
بها وفي هذا المقدار بلاغ لاولي الابصار والله سبحانه ولي الهداية بفضله فان
فاجرنا عن حقيقة الاخلاص والرياء وحكمهما وتاثيرهما في العمل فاعلم ان الاخلاص
عند علمائنا اخلاصان اخلاص العمل واخلاص طلب الاجر واما اخلاص
العمل فهو ارادة التقرب الى الله تعالى وتعظيم امره واجابة دعوته والباعث عليه
الاعتقاد الصحيح وضد هذا الاخلاص النفاق وهو التقرب الى من دون الله تعالى
وقال شيخنا رحمه الله النفاق هو الاعتقاد الفاسد الذي هو للمنافق في الله
عز وجل وليس هو من قبيل الارادات لعلة ذكرناها في موضعها واما الاخلاص
في طلب الاجر فهو ارادة نفع الآخرة بعمل الخير وكان شيخنا رحمه الله يقول
انه ارادة نفع الآخرة لم يرد [illegible] خيره بل بحيث ترجى به تلك المنفعة وقد
شرحنا هذه الشرايط وقال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام ما الخالص
من الاعمال قال الذي يعمل لله لا يحب ان يحمده عليه احد وهذا
تعرض لترك الرياء وانما خصه بالذكر لانه اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص
قال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال من الكدورات وقال الفضيل
الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل و
الاقاويل في هذا كثيرة لا فايدة في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وقال

ركن بيان الاخلاص

سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم اذا سئل عن الاخلاص فقال تقول ربي
الله ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم
في عبادته كما امرت وهذا اشارة الى قطع كل ما سوى الله عن مجرى النظر وهو
الاخلاص حقا وضد الاخلاص الرياء وهو ارادة نفع الدنيا بعمل الآخرة
ثم الرياء ضربان رياء محض ورياء تخليط فالمحض ان تريد به نفع الدنيا لا غير
والتخليط ان تريدهما جميعا نفع الدنيا ونفع الآخرة وهذا احدهما واما تأثيرهما
فان اخلاص العمل ان يجعل الفعل قربة واخلاص طلب الاجر ان يجعله مقبولا
وافر الاجر والتعظيم والنفاق الذي يحبط العمل ويخرجه عن كونه قربة مستحقا به
الثواب بالوعد من الله تعالى فالرياء المحض لا يكون من العارف عند بعض
العلماء وان كان ابطل نصف الثواب وعند الآخرين قد يكون الرياء المحض
من العارفين وانه يذهب بنصف الاضعاف والتخليط يذهب بربع الاضعاف
والصحيح عند شيخنا رحمه الله ان الرياء المحض لا يكون من العارف مع تذكر الآخرة
ويكون مع السهو والمختار اقل من تأثير الرياء رفع القبول والنقصان في الثواب
وان لا تقدير بضعف ولا ربع وشرح هذه المسائل يطول وقد شرحناها في كتاب
الاحياء شرحا مستقصى واشبعنا القول في اسرار معاملات الدين فان قلت
فما موضع الاخلاص ومن اي طاعة يجب ويقع فاعلم ان الاعمال عند بعض
العلماء ثلثة اقسام قسم يقع فيه الاخلاصان جميعا وهو العبادات الظاهرة
الاصلية وقسم لا يقع فيه شيء منهما وهو الاعمال الباطنة الاصلية وقسم يقع
فيه اخلاص طلب الاجر دون اخلاص العمل وهو المباحات المأخوذة

للعدة

للعدة قال شيخنا رحمه الله ان كل عمل يحتمل العرف الى غير الله من العبادات
الاصلية يقع فيها اخلاص العمل فالعبادات الباطنة اكثرها يقع فيها اخلاص العمل
واما اخلاص طلب الاجر فقال مشايخ الكرامية لا يقع في العبادات الباطنة
اذ لا يطلع عليها احد الا الله تعالى فامتنع منها دواعي الرياء فلم يحتج الى اخلاص
طلب الاجر وكان شيخنا رحمه الله يقول اذا اراد العبد المتقرب من الله بالعبادات
الباطنة نفع الدنيا فهو ايضا رياء قلت انا فالصحيح اذًا ان يقع لاكثر من العبادات
الباطنة الاخلاصان وكذلك النوافل يجب فيها الاخلاصان عند الشروع
واما المباحات المأخوذة للعدة يقع فيها اخلاص طلب الاجر دون اخلاص
العمل اذ هي لا تصلح ان تكون بنفسها قربة بل هي عدة على القربة فان طلب بهذا
موضعها نبين لك وتمامها من العمل فاعلم ان اخلاص العمل مع النفل يقارنه لا محالة
ولا يتأخر عنه واما اخلاص طلب الاجر فربما يتأخر عنه وعند بعض العلماء يعتبر فيه
وقت الفراغ من العمل فاذا فرغ على اخلاص او رياء فقد انقضى الامر ولا يمكنه
استدراكه بعد وعند غيره ان من مشايخ الكرامية ما لم ينل المنفعة المطلوبة بالرياء
يمكنه اقامة الاخلاص في ذلك العمل فاذا نال المطلوب فقد فات وقال
بعض العلماء ان الفريضة يمكن اقامة الاخلاص فيها الى الموت واما النوافل
فلا سبيل الى ذلك فيها قال والفرق بينهما ان الله تعالى ادخل العبد في الفريضة
فالمأمول منه التفضل والتيسير فيها واما النفل فالعبد هو الذي ادخل نفسه
وتكلفه فمطلوب بحق ما تكلف قلت وفي هذه المسئلة فائدة وهي ان من
سبق منه الرياء وترك الاخلاص في عمل فيمكنه استدراك ذلك وتلافيه

على احد الوجوه التي ذكرناها والمقصود من نقل مذاهب الناس في هذه الدقائق
علمنا الآن بقلة العاملين وقلة الرغبة في سلوك هذه الطريق والتقرب الى الله
في العبادات فان لم يجد لحلقه دواء في هذا القول وجده في الآخر لاختلاف
الاغراض وعلل الاعمال وآفاتها فافهم راشدا ان شاء الله تعالى فان قلت اكل
عمل يحتاج الى اخلاص منفرد فاعلم انه قد اختلف في ذلك فقيل انه يجب لكل
عمل اخلاص منفرد وقيل يجوز تناول اخلاص بجملة من العبادات فالعمل ذوي
الاركان كالصلوة والوضوء يكفيها اخلاص واحد لان بعضها متعلق ببعض
صلاحا وفسادا وانفرادا كشيء واحد فان قلت ان اراد بعمله الخير نفعا من
الله تعالى ولا يريد من الناس شيئا من مدحة او سمعة او منفعة ايكون ذلك رياء
فاعلم ان ذلك محض الرياء قال علماؤنا رحمهم الله الاعتبار بالرياء بالمراد
لا بالذي تريد منه فان كان مرادك من عمل الخير نفعا دنيويا فانه رياء سواء اردته
من الله او من الناس قال الله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في
حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب و
ليس الاعتبار بلفظة الرياء واشتقاقها من ... وانما سميت هذه
الارادة الفاسدة بهذا الاسم لانها اكثر ما تقع تكون من قبل الناس ورؤيتهم
فافهم فان قلت اذا كان القصد في الدنيا التي يريدها من الله تعالى التعفف
من الناس والقدرة على عبادة الله تعالى ايكون ذلك رياء فاعلم ان التعفف
ليس في كثرة المال والجاه وانما هو في القناعة والثقة بكفاية الله سبحانه
واما القدرة على عبادة الله تعالى فاذا كان مراده ذلك فلا يكون رياء وكذلك

ما يتصل

ما يتصل بامر الآخرة واسبابها ويصير لطفا لذلك فان اريد بعمل الخير هذه النوع
لا يكون تلك الارادة رياء لان هذه الامور تقرر بتلك النية جزاء وتقربا الى عمل الاعمال
الآخرة ولا يكون ارادة الخير رياء وكذلك ان اردت ان يكون لك تعظيم عند الناس او محبة
عند المشايخ والائمة فيكون قصدك من ذلك تأييد مذهب اهل الحق والرد على اهل
البدع والانتشار للعلم او تحضيض الناس على العبادة ونحو ذلك دون ان تقصد بذلك
شرف نفسك من حيث امر دنيا تنالها فان هذه كلها ارادات سديدة ونيات
محمودة لا يدخل شيء منها في باب الرياء اذ المقصود منها امر الآخرة بالخصوص واعلم
انه قد ثبت لبعض مشايخنا مما يعتاده اولياؤنا من قراءة سورة الواقعة في ايام
العسرة ليس المراد بذلك ان يرفع الله تعالى تلك الشدة عنهم ويوسع عليهم شيئا من
الدنيا على ما جرت به العادة فكيف يصح ارادة متاع الدنيا بعمل الآخرة فقال في جوابه
رحمه الله كلاما معناه ان المراد منهم ان يرزقهم الله قناعة او قوتا يكون لهم عدة على عبادة الله
وقوة على درس العلم وهذه من جملة ارادة الخير دون الدنيا واعلم ان هذه السيرة اعني
قراءة هذه السورة عند الشدة في امر الرزق والخصاصة انما هو شيء وردت به الاخبار
المأثورة عن النبي عم وعن الصحابة رضي الله عنهم حتى ابن مسعود حين عوتب في امر
ولده اذ لم يترك لهم الدنيا قال لقد خلفت لهم سورة الواقعة ومن ذلك الاصل في
السنة جرت هذه الحفظة في تيسير علمائنا رحمهم الله ولا فلا مبالات لهم بكم الله
شدة في امر الدنيا او سعة وهم الذين يغتنمون ضيق الدنيا وعسرها ويتفاءلون به
فيما بينهم ويعدونه من الله تعالى منة عظيمة ويخافون اذا جاءهم سعة من الدنيا التي لا يعدها
اكثر الناس الا الضيق والشدة ان يكون استدراجا من الله تعالى ومصيبة كيف وعطاياهم

الاسفار والطي في عزوم احوال لهم في عزوم وتعمد قوم يتولون الجوع راس مال
فهذا اوضح مذهب اهل التصوف وهو مذهبي ومذهب اشياخي وبذلك
جرت سيرة سلفنا واما تقصير بعض المتأخرين فلا معتبر به وانما ذكرنا هذا الفصل لئلا
يغتر منه مخالف بجهالة بمقاصد القوم في امورهم او يغلط فيهم سليم الصدر او يأنف
من العلم حقه فان قيل كيف يتفق هذا بحال اهل الزهد والتجرد وارباب الصبر
والرياضة فاعلم ان هذا شئ مأخوذ من السنة ثم المقصود حصول الفاقة والعدة
لا ابتلاء الشره والشهوة او الضعف عن احتمال العسرة والشدة واكثر ما ترى
في عقيب ذلك فاقة في القلب وفقد كلب الجوع وضعفه وشكوه عن الطعام
وهمة علم ذلك ثم اصحة فاعلم هذه الجملة موفقا ان شاء الله تعالى

القادح الرابع العجب

واما لزومك اجتنابه لامرين احدهما انه يحجب عن التوفيق والتأييد من الله تعالى فان
المعجب مخذول واذا انقطع عن العبد التأييد والتوفيق فما اسرع ما يهلك ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والثاني
انه يفسد العمل الصالح ولذلك قال المسيح عليه السلام يا معشر الحواريين كم من سراج
قد اطفأته الريح وكم من عابد افسده العجب واذا كان المقصود والفائدة العبادة
وهذه الخصلة تحرم العبد حتى لا يحصل له خير فان حصل فقليل من ذلك يفسده حتى
لا يبقى بيده شئ فيحق ان يحذر من ذلك ويتيقظ والله تعالى ولي العون والعصمة
فان قيل فما حد العجب ومعناه وما اثره وحكمه فتبين لي ذلك فاعلم ان حقيقة
العجب استعظام العمل الصالح وتفصيله عند علمائنا رحمهم الله ذكر العبد حصول شرف
العمل الصالح بشئ دون الله عز وجل او الناس او الشئ قالوا وحكم العجب شيئان بان

تذكر ذلك من منة الله عليه النفس والخلق والشئ وشيئين بان تذكره من
اثنين وهو ضده بان تذكره من واحد وضد العجب ذكر المنة وهو ان تذكر انه بتوفيق
الله وانه الذي شرفه وعظم ثوابه وقدره وهذا الذكر فرض عند دواعي العجب
نفل في ساير الاوقات واما اثر العجب في العمل قال بعض العلماء يبطل الاحباط
فان تاب قبل موته سلم والا احبط واليه ذهب محمد بن صابر من شيوخ الكرامية
والاحباط عنده ان يذهب من العمل جميع الاجزاء الحسنة حتى لا يستحق بذلك ثوابا
ولا مدحة البتة ومن قول غيره هو ذهاب الاضعاف فان طلب كيف
يلتبس على العبد العارف ان الله تعالى هو الذي وفق للعمل الصالح وعظم قدره
واكثر ثوابه بفضله ومنته فاعلم ان هنا نكتة لطيفة وذخيرة شريفة وهو ان الناس
في العجب ثلثة اصناف صنف هم المعجبون بكل حال وهم المعتزلة والقدرية الذين
لا يرون لله عليهم منة في افعالهم وينكرون العون والتوفيق الخاص واللطف
وذلك لشبهة استولت عليهم وصنف هم الذاكرون المنة بكل حال وهم المستبصرون
لا يعجبون بشئ من الاعمال وذلك لبصيرة اكرموا بها وتأييد خصوا به والصنف
الثالث المخلطون وهم عامة اهل السنة تارة ينتبهون فيذكرون منة الله عز وجل
وتارة يغفلون فيعجبون وذلك لمكان الغفلة العارضة والفترة في الاجتهاد و
النقص في البصيرة فان قلت كيف حال القدرية والمعتزلة في افعالهم فاعلم
ان في ذلك اختلافا فقيل انه يحبط لمكان اعتقادهم وقيل لا يحبط عمل بإعجاب
من فرق الاسلام حتى يحبط كل عمل باعجاب كما ان اعتقاد اهل السنة لا تمنع العجب في كل
عمل حتى يحبط بذا سنة فان عمل فليس سوى العجب والرياء من قادح في العمل فقيل الاجل

الى غير ذلك من القوادح سواها لكنا خصصناهما بالذكر لانهما الاصل الذي يدور عليهما معظم
الباب وقد قال بعض المشايخ ان حق العبد ان يحفظ في العمل من عشرة اشياء
النفاق والرياء والتخليط والمن والاذى والندامة والعجب والحسرة والتهاون
وخوف ملامة الناس ثم ذكر شيخنا رحمه الله ضد كل خصلة منها واحترازها بالعمل
فضد النفاق الاخلاص في العمل وضد الرياء اخلاص طلب الاجر وضد التخليط التوحيد و
ضد المن تسليم العمل لله تعالى وضد الاذى تحصين العمل وضد الندامة تثبيت النفس
وضد العجب ذكر المنة وضد الحسرة اغتنام الخير وضد التهاون تعظيم التوفيق وضد
خوف الملامة الخشية واعلم ان النفاق يحبط العمل والرياء يوجب رده
والمن والاذى يبطلان الصدقة باطلاق الاية وقد جعل بعض المشايخ يبطلان
اصنافها واما الندامة فانها تحبط العمل تماما جميعا والعجب يذهب اضعاف
العمل والحسرة وخوف الملامة والتهاون يخفف العمل فيذهب
قلت فالقبول والرد فيه التفصيل يرجعان الى ضرب من التعظيم والاستخفاف
والاحباط ابطال نوع يكون بالفعل وبسببه ثم تارة يكون ابطال الثواب واخرى
ابطال التضعيف والثواب منفعة يستحقها الفعل بعينه وتارة واحوال والتضعيف
زيادة على هذا والزيادة يحصل بحسب قراين واحوال اخر وكالاحسان
الى احد من اهل الحرم ثم الى الوالدين ثم الى نبي من الانبياء فيكون زيادة
ولا يكون تضعيفا فهذا الذي ما حققت في هذا المعنى فافهم ذلك وبالله التوفيق
فصل فعليك بقطع هذه العقبة المخوفة ذات المقاطع والمتالف عند
في غاية التحذر فان صاحب بضاعة الطاعات قد قطع كل العقبات و

التحذر و

وتحمل تلك المشقات حتى حصلت لك بضاعة من العبادة عزيزة شريفة
فانه لا يخاف على البضاعة هلاك الا في هذه العقبة فان فيها قطاع يأخذون البضاعة
ومتالف يحذر ان يهلك ومنها آفات تفسد عليك طاعتك ثم اعظمها
خطرا واعمها وقوعا هذان الآفتان اللذان هما الرياء والعجب فلنذكر
لكل واحد منهما اصولا مقنعة يجردها لك لعلك تتمكن من توقيهما باذن الله تعالى والله ولي التوفيق
الرياء فاذكر فيه اولا قول الله سبحانه الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير كان الله سبحانه يقول اني
خلقت السموات والارض وما بينهما كل هذه الصنائع والبدائع والعجائب
بنظرك لتعلم اني قادر عالم وانت تصلي ركعتين مع ما فيهما من المعايب والتقصير
فلا تكتفي بنظري اليك وبعلمي بك وثنائي عليك وشكري لك حتى تحب
ان يعلم الخلق ليمدحوك بذلك الكون فلك وفاء الكيف ذلك عقلا ورضاه احد
لنفسه ويحك اما تتفكر والاصل الثاني ان من كان له جوهر نفيس يمكن ان
يأخذ في ثمنه الف الف دينار فباعه بفلس اليس يكون ذلك خسرانا عظيما وغبنا
فظيعا ودليلا بينا على خسة الهمة وقصور العلم وضعف الرأي وقلة العقل
فما يناله العبد بعمله من الخلق من مدحة وحطام ما بالاضافة الى رضى رب العالمين
وشكره وثنائه وثوابه لا اقل من فلس في جنب الف الف دينار بكثير بل في جنب
الدنيا وما فيها واكثر واكثر ان يكون ذلك من الخسران المبين ان تفوت بنفسك
تلك الكرامات العزيزة الشريفة بهذه الامور الحقيرة الدنية ثم ان كان ولا بد
لك من هذه الخسيسة فاقصد ان الاولى تبيعك الدنيا بل اطلب الآخرة وحده

يعطيك الدارين اذ هو مالكهما جميعا وذلك قوله تعالى من كان يريد ثواب
الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة قال عليه السلام ان الله يعطي الدنيا
بعمل الآخرة ولا يعطي الآخرة بعمل الدنيا فاذا انت اخلصت النية وجردت
الهمة للآخرة حصلت لك الآخرة والدنيا جميعا وان انت اردت الدنيا
ذهبت عنك الآخرة في الوقت وربما لا تنال الدنيا كما تريد وان نلتها
فلا تبقى لك فتكون قد خسرت الدنيا والآخرة فتامل ايها العاقل والاصل
الثالث ان المخلوق الذي لاجله تعمل ورضاه تطلب لو علم انك تعمل لاجله
لابغضك ولسخط عليك واستهانك واستخف بك فكيف يعمل العاقل
العمل لاجل من لو علم انه يطلب رضاه لسخط عليه واهانه فاعمل يا مسكين لاجل
من اذا عملت لاجله وقصدته بسعيك وطلبت رضاه بذلك احبك واكرمك
واعطاك حتى ارضاك واغناك عن الكل وكفاك فهذه هذه فافطن لها ان كنت
تعقل والاصل الرابع ان من حصل له شيء يمكن ان يكتسب به رضى اعظم ملك
في الدنيا فطلب به رضى كناس خسيس من الناس فيكون ذلك دليلا على السفه
ورداءة الراي منه وسوء الحظ له ويقال له ما حاجتك الى رضى هذا الكناس
مع امكانك من رضى الملك فكيف وقد سخط الكناس عليك بسخط
الملك ففاتك الكل فهذا حال المرائي فاي حاجة الى رضى مخلوق حقير ضعيف
مهين وهو متمكن من تحصيل رضوان رب العالمين الكافي عن الكل وان ضعفت
الهمة وكلت البصيرة حتى طلبت رضى مخلوق لا محالة فحسبك ان تجرد ارادتك
وتخلص سعيك لله فان القلوب والنواصي بيده فيميل اليك القلوب

وتجمع لك النفوس ويفسح من حبك الصدور فتنال من ذلك بالاشارة
بجهدك وقصدك وان لم تشتغل وقصدت بعملك رضى المخلوقين دون الله سبحانه
فانه يصرف عنك القلوب وينفر عنك النفوس ويسخط عليك الخلق فيحصل
لك بهذا الا سخط الله وسخط الناس جميعا فيا له من خسران وحرمان ولقد
ذكر عن الحسن انه قال كان رجل يقول والله لاعبدن الله عبادة اذكر
بها وكان اول داخل في المسجد وآخر خارج منه لا يراه احد حين الصلوة الا قائما
يصلي وصائما لا يفطر ويجلس الى حلق الذكر فلبث كذا سبعة اشهر فكان لا يمر
بقوم الا قالوا ما فعل الله بهذا المرائي وصنع فاقبل على نفسه باللوم وقال
اراني في غير شيء لاجعلن عملي كله لله فلم يزد على عمله الذي كان يعمل قبل ذلك
الا انه تغيرت نيته الى الخير فكان بعد ذلك يمر بالناس فيقولون رحمه الله
فلانا الآن قد اقبل على الخير ثم قرأ الحسن ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا قال يحبهم ويحببهم الى المؤمنين ۝ يا مبتغي المدح والثواب
في عمل تبتغي محالا ۝ قد خيب الله ذا رياء وابطل السعي والكلالا ۝ من كان
يرجو لقاء رب ۝ اخلص من خوفه الفعالا ۝ الملك والناس في يديه
يعطيك النوالا ۝ والناس لا يملكون شيئا ۝ فكيف رأيتهم ضلالا
واما العجب فنذكر فيه اصولا احدها ان فعل العبد انما صارت له قيمة
لما وقع من الله موقع الرضا والقبول والا فهي الاجير يعمل طول النهار
بدرهمين والحارس يسهر طول الليل بدانقين وكذلك اصحاب الصناعات
والحرف كل واحد يعمل بالليل والنهار فيكون قيمته وذلك دراهم معدودة

فان عرفت الفضل الى الله فصمت لله يوما قال تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وفي الخبر اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت و
لا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهذا يومك الذي قيمته درهمان مع احتمال
التعب العظيم صار لك بهذه القيمة بما يعجز عنه الى الاعشار ولو قمت ليلة لله تعالى
قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وهذه الليلة
قيمتها دانقان او درهمان صار لك بهذه القيمة والقدر بل لو جلست لله ساعة
تصلي فيها ركعتين خفيفتين بل نفسا قلت لا اله الا الله قال الله تعالى ومن عمل صالحا
من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب
فهذه ساعة من انفاسك التي لا قيمة لها عند اهل الدنيا ولا عندك لكم تضيعها
في لا شيء وكم تركتها عليك بلا فائدة صار لها كل هذه القدر لماذا الا انه وقع مرضيا
لله تعالى فعظم قدره وكثر قيمته بفضله فحق اذا للعاقل ان يرى حقارة عمله وقلة
مقداره من حيث هو وان لا يرى الا منة الله تعالى عليه فيما شرف من قدر عمله
واعظم من جزائه وان يحذر على فعله من ان يقع على وجه لا يصلح لله ولا يقع
منه موقع الرضى فيذهب منه القيمة التي حصلت له ويعود الى ما كان في الاصل
من الثمن الحقير من دراهم او دوانيق واحقر واخس من ذلك ومثاله ان
العنقود من العنب والاضبارة من الريحان يكون قيمته في السوق دانقا
فان اهداه واحد الى ملك وتسبحه فوقع منه موقع الرضى فيهب له على ذلك
الف دينار لما وقع من الملك موقع الرضى فصار ما قيمته حبة بالف دينار
فاذا لم يرضه الملك ورده عليه رجع الى قيمته الخسيسة من حبة او دانق فكذلك

ما كان منه فتنبه وابصر منة الله وحسن فعله عما يشتبه به عند الله عز وجل
والاصل الثاني ما تعلم ان الملك في الدنيا اذا اجرى على احد جراية من
طعام او كسوة او دراهم او دنانير معدودة فانية فانه سيخدمه بضروب الخدمة
اناء الليل والنهار مع ما في ذلك من الذل والصغار ويقوم على رأسه حتى
تحذر رجلاه ويسعى بين يديه اذا ركب وربما يحتاج ان يكون على بابه طول الليل
حارسا وربما يعد واعدوه فيحتاج ان يقاتل عدوه فيبذل روحه الى ان يتلف
منه لاجل كل هذه الخدمة والكلفة والحفظ والعز لاجل تلك النفقة النكدة الحقيرة
مع انها بالحقيقة من الله تعالى وانما هو بمنزلة سبب في ذلك وربك الذي خلقك
والهمك شبابا ربك بأحسن التربية ثم اسبغ عليك من النعم الظاهرة والباطنة
في دينك ونفسك ودنياك ما لم يبلغ كنهه فهمك ووهمك قال الله عز من قائل
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم انك تصلي ركعتين مع ما فيهما من المعايب
والآفات ومع ما وعد عليهما في المستقبل من حسن الثواب وضروب الكرامات
حتى تستعظم ذلك وتعجب به فليس هذا من شأن عاقل اذا نظرت فهذه هذه
والاصل الثالث ان الملك الذي من شأنه ان يخدمه الملوك والامراء والقوم
على رأسه السادات والعظماء ويتولى خدمته الاكابر والحكماء ويطلب بخدمته
العقلاء والعلماء ويمشي بين يديه الاكابر والرؤساء اذا وفق لسوق اوقربائي
بعفو رأفته وعناية لربك حتى زاحم اولئك الملوك والسادات والاكابر و
الافضال في خدمته وبدعته ويجعل لك مقاما من حضرته معلوما وينظر الى خدمتك
بعين الرضى وان كانت مشوشة معيبة ايش كان لك قد شرت على هذا الحقير

المنة من الملك وعظمت عنايته به فان اخذ هذا الحقير يمن على الملك
ببابك الخدمة المعينة ويستعظم ذلك ويعجب به الا يقال ان ذلك لسفيه
جدا او مجنون لا يعقل شيئا ولما تقرر هذا فان الهنا سبحانه هو الملك الذي
تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده
وهو المعبود الذي يسجد له من في السموات والارض طوعا وكرها فمن الخدم
على بابه جبرائيل الامين وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وحملة العرش و
الكروبيون والروحانيون وسائر الملائكة المقربين الذين لا يحصي عددهم
الا الله رب العالمين في منازلهم الرفيعة وانفسهم الطاهرة وعباداتهم العظيمة
ثم من الذين هم خدمه على بابه آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد
خير العالمين مع سائر الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم اجمعين في مراتبهم المنيعة رفيعة
ومناقبهم الوفيرة الشريفة ومقاماتهم الكريمة وعباداتهم الجليلة الخطيرة ثم من العلماء
الائمة الابرار والزهاد الاخيار في مراتبهم الفاخرة وابدانهم النقية الطاهرة
وعباداتهم الكبيرة الخالصة المتظاهرة واذل الخدم على بابه ملوك الدنيا
وجبابرتها يخرون له على الاذقان ساجدين يعفرون الوجوه في التراب
خاضعين ويرفعون حوائجهم اليه باكين ضارعين ويعترفون له بالعبودية و
التقصير عاجزين متأذين حتى ربما ينظر اليهم نظرة ويقضي لهم بفضله حاجة
او يتجاوز عنهم بكرمه زلة فمع هذه العظمة والجلال والملك والكمال قد اذن
لك في حضرته وهيبته وانت الذليل لو استاذنت على رئيس بلدك
زمانا لا ياذن لك وان كلمت امير ناحيتك ووالي ولايتك لا يكلمك وان جئت

لسلطان

لسلطان بلادك زمانا لا يلتفت اليك واذن لك جل جلاله حتى تعبده وتثني
عليه وتناجيه بل تجترئ عليه بالمسئلة وتباسطه فتستقضيه حاجاتك وتشكو اليه
مهماتك ثم انه يرضى ركعتيك في معاصيها بل يعد من الثواب عليهما ما لا يخطر
بقلب بشر وانت مع ذلك تعجب بهاتين الركعتين وتستكثر ذلك وتستعظم
ولا ترى منة الله عليك في ذلك فما اشقاك من عبد وما اجهلك من انسان
والله هو المستعان واليه المشتكى من هذه النفس الجاهلة وعليه التكلان فنذهه

فصل وعلى وجه آخر ان الملك العظيم اذا اذن في ادخال الهدايا
اليه فيدخل بحضرته العلماء والكبراء والرؤساء والنبلاء والاغنياء بانواع
الهدايا من الجواهر الثمينة والذخائر النفيسة والاموال الجليلة فان جاء بقال
بباقة بقل او تمر او في سلة عنب تساوي دانقا او حبة فيدخل في حضرة ويزاحم
اولئك الاغنياء والاكابر بهداياهم الكثيرة الشريفة وهذا الملك يقبل من هذا الفقير
هديته وينظر اليه بنظر القبول والرضى ويامر له بالنفيس خلعة وكرامة الا يكون
ذلك منه غاية الفضل والكرم فان اخذ هذا الفقير يمن بذلك على الملك و
يعجب به ويستعظم ويثني ذكرته الملك الا يقال ان هذا لمجنون مضطرب العقل
او سفيه سيئ الادب عظيم الجهل فالآن انك اذا قمت ليلة وصليت ركعات
فاذا فرغت فتفكر كم قام لله سبحانه في هذه الليلة من الخدم في اقطار الارض
برها وبحرها وجبالها وبلادها من اصناف المتقين والصديقين والناسكين والمشايخ
والمجتهدين المتفرغين وكم حضرت في هذه الساعة بباب الله من عبادة صافية
وخدمة خالصة عن انفس خاشعة والسن طاهرة وعيون باكية وقلوب عامرة

وصدور نية واركان تقية وصلواتك ان كنت بذلت المجهود في تحسينها
واحكامها واخلاصها فلا تكاد تصلح لحضرة هذه الملك العظيم ولا تنبغين في
جنب تلك العبادات التي تتوهمن انها لك كيف وقد كانت منك
عن قلب غافل مختلط بانواع العيوب وبدن نجس باقذار الذنوب ولسان
متلطخ بانواع المعصية والفضول فكيف يصلح ان يحمل هذا الى ملك الحضرة فكيف
تستاهل ان يهدى الى رب العزة قال شيخنا رحمه الله انظر ايها العاقل هل
وجدت قط صلوة من صلواتك الى السماء كائنة بعثتها الى بيوت الاغنياء
وكان ابو بكر الوراق يقول ما فرغت قط من صلوة الا استحييت حين
فرغت منها اشد من حياء امراة فرغت من الزنا ثم ان رب الكريم سبحانه
لمحض كرمه وفضله عظم قدرها بين الركعتين ووعد عليها من جزيل الثواب ما وعد
فانت عبده وفي جرايته وعملت ما عملت بتوفيقه وتيسيره ثم مع ذلك تعجب
به وتمنن منة الله عليك بهذا والله اعجب العجب لايكاد يذهب مثله الا
عن جاهل لا عقل له وغافل لا ذهن له وقلب ميت خاو لا خير فيه لهذه
نسئل الله حسن الكفاية بمنه وفضله **فصل** ثم اقول بعد هذه الجملة تيقظ
من رقدتك ايها الرجل في هذه العقبة والا كنت من الخاسرين فان هذه العقبة
اشد واشق واتم واخطر عقبة استقبلتك في هذه الطريق اذ تنتهي اليها ثمرة
كل ما مضى من العقبات فان سلمت غنمت وربحت وان كانت الاخرى فقد ضاع
السعي كله وخاب الامل وبطل العمر ثم الشان كل الشان انه قد اجتمع في هذه العقبة ههنا
ثلثة امور الاول ان الامر دقيق جدا والغبن شديد والخطر عظيم اما دقة الامر

فان

فان مجاري الرياء والعجب في الاعمال دقيقة خفية بالغاية فلا يكاد يتنبه
لذلك الا كل نحرير من اهل الدين بصير يقظان القلب متحرز واني يطلع
عليه الجاهل المغرور والغافل المذموم ولقد سمعت بعض علماءنا يحكي
ان عطاء السلمي رحمه الله ورضوانه نسج ثوبا فاحكمه وتنظفه جدا ثم حمله الى السوق
فعرضه فاستحضره البزاز وقال ان فيه عيوبا كيت وكيت فاخذه عطاء
وجلس يبكي بكاء شديدا فندم الرجل على ذلك وجعل يعتذر اليه ويبذل له ثمنه
ما يريد فقال له عطاء ليس ذلك ما تظن انا انا عامل في هذه الصناعة وقد
اجتهدت في احكام هذا الثوب واصلاحه وتحسينه حتى لا يوجد به عيب فلما
عرض على البصير بعيوبه اظهر منه عيوبا كنت عنها غافلا فكيف اعمالنا هذه اذا
عرضت غدا الى الله تعالى كم يبدو فيها من العيوب والنقصان التي نحن اليوم
عنها غافلون وعن بعض الصالحين قال كنت ليلة في وقت السحر في غرفة لي
شارعة اقرا سورة طه فلما ان ختمتها غفوت غفوة فرايت شخصا نزل
من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدي فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة
عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فاني رايت مكانها محوا ولم ار تحتها شيئا
فقلت والله قرات هذه الكلمة ولا ارى لها ثوابا ولا اريها اثبتت فقال
الشخص صدقت وقد قراتها وكتبناها الا انا قد سمعنا مناديا ينادي من قبل
العرش امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها قال فبكيت في منامي وقلت لم فعلتم
ذلك قالوا مر رجل فرفعت بها صوتك لاجله فذهب ثوابها فهذه هذه
واما شدة الغبن فلان الرياء والعجب آفة عظيمة تمنع من الحظوة بالنعمة عليك

عبادة سبعين سنة وحكي ان رجلا اضاف سفيان الثوري واصحابه
فقال لاهله هاتوا الطبق لا الذي اتيت به في الحجة الاولى بل الذي اتيت
به في الحجة الثانية فنظر الى سفيان وقال مسكين قد افسد عليه بهذه حجتيه وهو
آخر الغبن ان اقل طاعة سلمت من هذه الآثار والعجب يكون لها من
الله عز وجل من القيمة ما لا نهاية له واكبر طاعة اذا اصابتها هذه الآفة بقيت عارية
لا قيمة لها الا ان يتدارك الله على ما روي عن علي عم انه قال لا يقل عمل
البتة وكيف يقل عمل متقبل وسئل الشفيق عن عمل كذا وكذا ما ثوابه قال اذا قبل
لا يحصى ثوابه وعن وهب قال كان ممن كان قبلكم رجل عبد الله سبعين عاما
صايما يفطر من سبت الى سبت وطلب الى الله حاجة فلم يقض فاقبل على نفسه
وقال من قبلك اتيت ولو كان عندك خير قضيت حاجتك فانزل الله تعالى
ملكا فقال يا ابن آدم ساعتك التي ازريت بنفسك فيها خير من عبادتك
التي مضت قلت فلينظر العاقل الى هذا الكلام أليس من الغبن ان واحدا
يكدح ويتعب سبعين سنة وآخر يتفكر ساعة واحدة فيكون فكره ساعة افضل
من سبعين سنة وهذا أليس من الغبن العظيم انك تمكن من ساعة خير من
سبعين سنة وتترك ذلك من غير حاجة بلى والله انه لاعظم الغبن وان اغفله
لاشد خسرانا وان الخصلة التي لها هذه القيمة والخطر يجب ان يحذر منه ويجتنب عن الغفلة
ومثل هذا المعنى انما وقع نظر اولي الابصار من العباد في مثل هذه الدقايق
واهتموا لمثل هذه الاسرار بمعرفتها اولا ثم رعايتها والتحفظ عنها ثانيا ولم تغنهم
كثرة الاعمال بالظاهر وقالوا ان الشان في الصفوة لا في الكثرة وقالوا

ان صفوة

جمرة واحدة خير من الف خرزة واما الذين قل علمهم وكل في هذا الباب
نظرهم فجهلوا المعنى واغفلوا ما في القلب من العيوب واشتغلوا باتعاب النفوس
في الركوع والسجود والامساك من الطعام والشراب ونحوه فغرهم العدد والكثرة
ولم ينظروا الى ما بينهما من التفاوت في المخ والصفوة وما ينفع عدد الجوز ولا لب فيه وما ينفع
رفع السقوف ولم يحكم مبانيها وما يعقل هذه المعاني الا العالمون بالله الكاملون
والله تعالى ولي الهداية بفضله واما عظم الخطر فمن وجوه احدها انك لا نهاية لجلاله
وعظمته وله عليك نعم لا تعد ولا تحصى وبدنك معيب بعيوب خفية وآفات رديه
بآفات كثيرة وامر مخوف ان وقع لك زلل مع تسارع النفس اليه فتحتاج
ان تخرج عملا صافيا سالما من بدن معيب ونفس ميالة الى الشر امارة بالسوء
على وجه يصلح لرب العالمين في جلاله وعظمته وكثرة اياديه ومننه ويقع منه موقع
الرضى والقبول والا ضيعت ربح الربح العظيم الذي لا تسمح النفس بفوته بل ربما
تصيبك منه مصيبة لا طاقة لك بها وهي ... والله شان عظيم وخطب جليل
واما جلال الملك وعظمته بحيث ان الملائكة المقربين الابرار قائمون لربالخدمة
آناء الليل والنهار حتى ان منهم من منذ خلقه الله تعالى في قيام ومنهم من هو في ركوع ومنهم
من هو في سجود ومنهم من هو في التسبيح والتهليل فلما تم القائم قيامه ولا الراكع ركوعه و
لا الساجد سجوده ولا المسبح تسبيحه ما دام به صوته الى نفخة الصور ثم لما فرغوا من هذه
الخدمة العظيمة نادوا باجمعهم سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وهذا سيد المرسلين
وخير العالمين اعلم الخلق وافضلهم محمد صلى الله عليه وآله اجمعين يقول لا احصي ثناء عليك
انت كما اثنيت على نفسك يقول انا لا اقدر ان اثني عليك ثناء انت له اهل فضلا

حضره

من اجبدك كما انت لاهل وهو الذي يقول ليس احد يدخل الجنة بعمله
قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته واما النعم
والايادي فكما قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وعلى ما روي انه يحشر
الناس على ثلثة دواوين ديوان الحسنات وديوان السيئات وديوان
النعم فيقابل الحسنات بالنعم فلا يوفي بجنسه الا ادنى نعمة حتى تفنى الحسنات
وتبقى السيئات والذنوب فقد تم فيها المشية واما عيوب النفس و
آفاتها فقد منا في بابها والامر المخوف ان العبد يكدح ويتعب سبعين
سنة غافلا عن عيوبه وآفاته وربما لا يكون واحد منها مقبولا وربما يتعب اعواما
فيفسد بساعة واحدة واعظم خطرا من ذلك كله انه ربما ينظر الله الى العبد
وهو يرائي الناس بعبادته وخدمته جعل ظاهره لله وباطنه وقلبه للخلق فيطرده
طرد الا مردود والعياذ بالله ولقد سمعت بعض العلماء يحكي عن الحسن البصري انه
رؤي في المنام بعد موته فسئل عن حاله فقال اقامني الله بين يديه وقال يا حسن
اتذكر يوم كنت تصلي في المسجد اذ رمقك الناس بابصارهم فزدت حسنا
لصلوتك فلولا ان اول صلوتك لي خالصا لطردتك اليوم عن بابي ولقطعتك
عني مرة واحدة ولما كان الامر في الجملة من الدقة والصعوبة الى حد عظيم
نظروا اولوا الابصار منه في قواعد انفسهم حتى ان منهم من لا يلتفت الى جميع ما
يظهر للناس من اعماله حتى حكي عن رابعة انها قالت ما ظهر من اعمالي لا اعده
شيئا وقال آخر اكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك وآخر يقول ان امكنك
ان تجعل لك خبيا من الخير فافعل ولقد حكي انه قيل لرابعة بم ترجين اكثر ما ترجين

فقالت

فقالت بيأسي من جميع عملي وحكي انه اجتمع محمد بن واسع ومالك بن دينار
فقال مالك اما طاعة الله او النار فقال محمد بن واسع اما رحمة الله او النار فقال
مالك يا اخرجني الى معلم مثلك وعن ابي يزيد البسطامي رحمه الله قال كابدت
العبادة ثلثين سنة فرايت قائلا يقول لي يا ابا يزيد خزائنه مملوءة من العبادة
ان اردت الوصول اليه فعليك بالذلة والافتقار وسمعت الاستاذ ابا الحسن
يحكي عن الاستاذ ابي الفضل رحمه الله انه كان يقول اني اعلم ان ما اعلم من
الطاعات غير مقبول عند الله تعالى فقيل له لم ذلك فاجاب اني اعلم ما يحتاج اليه
الفعل حتى يكون مقبولا واعلم اني لست اقوم بذلك فعلمت انها غير مقبولة فقيل
له فلم تفعلها قال عسى ان يعطيني الله تعالى يوما منكو النفس متعودة لعمل الخير فلا
احتاج الى ان اعودها ذلك من الراس فهذه حال هولاء الاعلام وذوي المجاهدات
والاقدام ⁖ فاطلب لنفسك مهجة مع عزم ⁖ وقع الاياس وخابت الآمال
هيهات تدرك بالتواني سادة ⁖ كدوا النفوس وساعدوا الاقبال
أو ما رايت ان اثبت هينا الخبر المأثور عن الصادق المصدق صلوات الله عليه
وسلامه وقد ذكرناه في غير كتاب روي عن ابن المبارك عن رجل انه قال الحادث
فقد ثني حديثا سمعته عن رسول الله صلعم حفظته وذكرته في كل يوم من شدته وقته
قال نعم ثم بكى طويلا ثم قال واشوقاه الى رسول الله صلعم والى لقائه ثم قال بينا نحن عند
رسول الله صلعم اذ ركب وارتدفني ثم سرنا فرفع بصره الى السماء وقال الحمد لله الذي
يقضي في خلقه ما شاء يا معاذ قلت لبيك يا سيد المرسلين قال احدثك
ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته انقطعت حجتك عند الله عز وجل

يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعة املاك قبل ان يخلق السموات لكل سماء ملكا
وجعل على كل باب من ابواب السماء ملكا بوابا على قدر الباب وجلالته
فتصعد الحفظة بعمل العبد وله نور وشعاع كالشمس حتى اذا بلغ السماء الدنيا و
الحفظة يستكثر عمله وتزكيه فاذا انتهى الى الباب قال الملك للحفظة اضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبة امرني ربي ان لا ادع عمل من
يغتاب الناس يجاوزني الى غيري ثم تجيء الحفظة من الغد معهم عمل صالح له
نور تستكثره الحفظة وتزكيه حتى اذا انتهوا به الى السماء الثانية قال الملك قفوا
واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه فانه اراد به عرض الدنيا ولعن ربي ان لا ادع
عمله يجاوزني الى غيري فتلعنه الملائكة حتى يمسي وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجا
فيه صدقة وصيام وكثير من البر فتستكثره الحفظة وتزكيه فاذا انتهوا به الى السماء
الثالثة قال الملك البواب قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا الملك
صاحب الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يتكبر على الناس
في مجالسهم وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر النجوم والكوكب الدري له
دوي وتسبيح بصوم وصلوة وحج وعمرة فاذا انتهوا به الى السماء الرابعة
قال الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا الملك صاحب
الاعجاب امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا
ادخل العجب فيه وتصعد الملائكة بعمل العبد كما تزف العروس الى اهلها
حتى اذا انتهوا به الى السماء الخامسة بذلك العمل الحسن من جهاد وحج له ضوء
كضوء الشمس فيقول الملك انا الملك صاحب الحسد انه كان يحسد الناس

على ما آتاهم الله من فضله وقد ثمارضي الله تعالى امرني ربي ان لا ادع عمله
يجاوزني الى غيري وتصعد الملائكة بعمل العبد بوضوء تام وصلوة كثيرة وصيام
وحج وعمرة فيتجاوزون به الى السماء السادسة فيقول الملك الموكل بالباب
انا صاحب الرحمة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لم يرحم قط انسانا وانا
احجب عبدا شمت به امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وتصعد
الملائكة بعمل العبد بنفقة كثيرة وصوم وصلوة واجتهاد وورع له صوت كصوت
الرعد وضوء كضوء البرق فاذا انتهوا به الى السماء السابعة يقول الملك
الموكل بالسماء السابعة انا صاحب الذكر ان صاحب هذا العمل اراد به الذكر
في المجالس والرفعة عند القواد والجاه عند الكبراء امرني ربي ان لا ادع عمله
يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله تعالى خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل
المرائي وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وصيام وحج وعمرة و
خلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعه ملائكة السموات السبع حتى تقطع
الحجب كلها الى الله سبحانه فيقفون بين يدي الرب جل جلاله ويشهدون له
بالعمل الصالح المخلص فيقول الله تعالى انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب
على ما في نفسه انه لم يردني بهذا العمل ولا اخلصه لي وانا اعلم بما اراد وبعمله عليه لعنتي
غر الآدميين وغركم ولم يغرني وانا علام الغيوب المطلع على ما في القلوب
لا يخفى علي خافية ولا يعزب عني عازبة علمي بما كان كعلمي بما لم يكن وعلمي
بما مضى كعلمي بما بقي وعلمي بالاولين كعلمي بالآخرين اعلم السر واخفى
فكيف يغرني عبدي بعمله انما يغر المخلوقين الذين لا يعلمون وانا علام

المغضوب عليه لعنتي ويقول الملائكة السبعة والثلاثة الآلاف المشيعون
يا ربنا عليه لعنتك ولعنتنا ويقول أهل السماء عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين
ثم بكى معاذ رحمه الله وانتحب انتحابا شديدا وقال يا رسول الله كيف النجاة
مما ذكرت قال يا معاذ اقتد بنبيك في اليقين قلت أنت رسول الله
وأنا معاذ بن جبل كيف لي النجاة والخلاص قال نعم يا معاذ وإن كان في عملك
تقصير فاقطع لسانك عن الوقيعة في الناس وعن إخوانك من حملة القرآن
خاصة وليردك عن الوقيعة في الناس ما تعلم من عيب نفسك ولا تزك
بذم إخوانك ولا ترفع نفسك بوضع إخوانك ولا تراء بعملك
كي تعرف في الناس ولا تدخل في الدنيا دخولا ينسيك أمر الآخرة
ولا تناجي رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فتنقطع عنك خيرات
الدنيا والآخرة ولا تتفحش في مجلسك حتى يحذروك من سوء خلقك
ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب جهنم قوله تعالى والناشطات نشطا يقول
تنزع اللحم عن العظم قلت يا رسول الله من يطيق هذه الخصال قال
يا معاذ إن الذي وصفت لك ليسير على من يسره الله تعالى عليه وإنما
يكفيك من ذلك أن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره
لنفسك فإذا أنت قد سلمت قال خالد بن معدان وكان معاذ لا يكثر
من تلاوة القرآن كما يكثر من تلاوة هذا الحديث ويذكره في مجالسه ولما سمعت
أيها الرجل هذا الحديث العظيم بناؤه الكبير خطره الأليم أثره الذي تطير له القلوب
وتحار له العقول وتضيق عن حمله الصدور وتحرج من هوله النفوس فاعتصم

بمولاك

بمولاك الله العالمين والزم الباب بالتضرع والابتهال والبكاء آناء الليل
وأطراف النهار مع المتضرعين المبتهلين فإنه لا نجاة من هذا الأمر إلا برحمته
ولا سلامة من هذا البحر إلا بنظره وعنايته فتنبه من رقدة الغافلين واعقل
الأمر حقه وجاهد نفسك في هذه العقبة المخوفة لعلك لا تهلك مع الهالكين
والمستعان بالله على كل حال فإنه خير معين وهو تعالى أرحم الراحمين ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم فصل وجملة الأمر أنك إذا أحسنت النظر
ورأيت قدر طاعة الله عز وجل ورأيت عجز الخلق وضعفهم وجهلهم فلا تلتفت
إليهم بقلبك فكن زاهدا في ثنائهم ومدحهم وتعظيمهم الذي لا فائدة تحته فلا تريد
بطاعتك شيئا من ذلك ورأيت خسة الدنيا وحقارتها ونفادها وسرعة
زوالها فلا تريد بها أيضا بطاعتك من الله تعالى وتقول يا نفس أثناء رب العالمين
وشكره وإعزازه خير أم ثناء المخلوقين العاجزين الجاهلين الذين لا يعرفون
قدر عملك بالحقيقة وما تحملت منه وما يبلغون حقك فيما عملت وكلفت
بل ربما يفضلون عليك من هو دونك حالا بألف درجة ويضيعونك
في أحوج الأوقات إليهم وينسونك وإن لم يفعلوا ذلك فماذا عسى أن يمكن
بأيديهم وإلى ماذا يبلغ قدرتهم أم هم إن قبضت الله يعدمهم كيف يشار إلى ثنائهم
فاعقلي أيها النفس فلا تضيعي طاعتك العزيزة ولا يغرنك ثناء من
ثناؤه كل فخر وعطاء من عطاؤه كل ذخر ولقد صدق القائل ⁂ سهر العيون
لغير وجهك باطل ⁂ وبكاؤهن لغير فقدك ضائع ⁂ وقال يا نفس
الجنة لك جزاء لطاعة ثمن حطام الدنيا وحطامها المنكد الفاني وأنت

قليلة الفانية يا نفسي

متمكنة من ان تحصلي بطاعتك هذه النعيم المقيم فلا تكوني خسيسة
الهمة ردية الارادة دنية الافعال اما ترين احكام اذا كان سماويا كيف
تعلو قيمته ويزداد قدره فارفعي بهمتك كلها الى السماء وجردي قلبك
لله الواحد الذي بيده الامر كله لا تضيعي ما ظفرت به من طاعتك لا شيء
وكذلك اذا احسنت التأمل ورأيت ايادي الله ومننه العظام عليك
في هذه الطاعة بان امكنك منها واعطاك الآلة اولا ثم ازاح العوائق
حتى تفرغت لهذه الطاعة ثانيا ثم خصك بالتوفيق والتأييد ويسرها عليك
وزينها في قلبك حتى عملتها ثالثا ثم مع جلاله وعظمته واستغنائه عنك وعن طاعتك
وكثرة نعمه عليك اعد لك على هذا العمل اليسير الثناء الجزيل والثواب العظيم
الذي لا تستحقينه رابعا ثم شكرك على ذلك واثنى عليك فاحمدك بذلك
خامسا هذه وكلها بفضله العظيم لا عجز والابتغاء استحقاق لك واي قدر
لك لعمل الحقير المعيب فاذكري ايتها النفس منة ربك الكريم سبحانه
فيما احسن اليك في هذه الطاعة فاستحيي من ان تلتفتي الى عملك بل الفضل
والمنة لله تعالى علينا بكل حال ولا يكون لك شغل بعد حصول هذه الطاعة
الا التضرع والابتهال الى الله سبحانه بان يتقبلها اما تسمعين قول خليله ابراهيم
لما فرغ من خدمته في بناء بيته كيف ابتهل اليه في ان يتفضل عليه بالقبول فقال
ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ولما فرغ من دعائه قال ربنا وتقبل دعاء
فلئن من عليك بقبول هذه البضاعة المزجاة فلقد اكمل المنة واعظم
النعمة ويا لك من سعادة ودولة وعز ورفعة وكم تربين بذلك من خلعة

ونعمة وذخر وكرامة وان يكن الاخرى فيا لك من خسران وغبن وحرمان
فاهتمي بها واشتغلي بهذا الشأن فاذا وقفت على مثل هذا وكررته على
قلبك عند الفراغ من طاعتك واستعنت بالله تعالى صرفك عن
الالتفات الى الخلق والنفس وشغلك عن مرايات واعجاب بعملك
عن محض الاخلاص لله تعالى في الطاعات والتمسك بذكر منة الله تعالى عليك
في جميع الحالات ويحصل لك فيها اجور وطاعات طاهرة لا عيب فيها
وخيرات خالصة لا شوب فيها ثم ازجها وعبادات مقبولة لا نقص فيها
يعتورها بل مثل هذه الطاعات وان حصلت في العمر مثلا مرة واحدة لا غير
فانها بالحقيقة لكثيرة لعمري انها وان قل عددها لقد كثر حسنها وعظم قدرها
وكثر نفعها وطاب عقباها وان التوفيق لمثلها عزيز والفضل به لله تعالى
على العبد لكثير فاي هدية اجل من هدية يقبلها رب العالمين واي سعي
اكرم من سعي يشكره ويثني عليه رب العالمين واي بضاعة اعز من بضاعة
اختارها ورضيها رب العالمين فتأمل ايها المسكين واياك ان تكون
من المغبونين واذا جرى الامر على هذه الجملة كنت من المخلصين لله تعالى
المخلصين الذاكرين لمنته المرضيين وكنت قد خلفت هذه العقبة
المخوفة وسلمت من آفاتها وسبقت بخيراتها وثمراتها فائزا على الابد
ببركاتها وسعاداتها والله ولي التوفيق والعصمة بمنه ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم

العقبة السابعة

وهي عقبة الحمد والشكر عليك
وفقك الله وايانا بحسن توفيقه بعد قطع هذه العقبات والظفر

بالمقصود من العبادة السالمة من الآفات بالحمد والشكر لله سبحانه على
هذه النعمة العظيمة والمنة الكريمة وانما يلزمك ذلك لامرين احدهما لدوام
النعمة والثاني لحصول الزيادة فاما دوام النعمة فلان الشكر قيد النعم به تدوم
وتبقى وبتركه تزول وتحول قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم
قال الله تعالى فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا
يصنعون وقال سبحانه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال م
ان للنعم اوابد كاوابد الوحش فقيدوها بالشكر واما حصول الزيادة
فلان الشكر قيد النعمة فهو ثمن الزيادة قال سبحانه لئن شكرتم لازيدنكم
والذين اهتدوا زادهم الله هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
فالسيد الحكيم اذا راى العبد قد قام بحق نعمة يمن عليه باخرى ويراه اهلا لها
والا فيقطع ذلك عنه ثم النعم قسمان دنيوية ودينية فالدنيوية ضربان نعمة
نفع ونعمة دفع فنعمة النفع ان اعطاك المصالح والمنافع وهي ضربان الخلقة السوية
في سلامتها وعافيتها واللذات الشهية من المطعم والمشرب والملبس والمنكح
وغيرها من فوائدها ونعمة الدفع ان صرف عنك المفاسد والمضار وهي ضربان
احدهما في النفس بان عصمك من زمانتها وسائر آفاتها وعللها والثاني
دفع ما يقصدك به من ضرر من انواع العوائق او يقصدك بسوء من انس
او جن او سباع او هوام ونحوها واما النعمة الدينية فضربان نعمة التوفيق
ونعمة العصمة فنعمة التوفيق ان وفقك اولا للاسلام ثم للسنة ثم للطاعة
ونعمة العصمة ان عصمك اولا من الكفر والشرك ثم عن البدعة والضلالة

ثم سائر المعاصي وتفصيل ذلك لا يحصيه الا السيد العالم الذي انعم عليك
كما قال عز وجل وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واني ودوام هذه النعمة كلها
بعد ما من بها عليك والزيادة عليها من كل باب منها ما لا يبلغه وهمك
كلها متعلق بشيء واحد هو الشكر والحمد لله واني حصلته يكون الا كل هذه القيمة
ويكون فيها كل هذه الفائدة لحقيق ان تتمسك بها من غير اغفال بحال فانه
جوهر ثمين وكيمياء عزيز والله تعالى ولي التوفيق بفضله فان قيل فما حقيقة الحمد والشكر
وما معناهما وحكمهما فاعلم ان العلماء فرقوا بين الحمد والشكر عند التحصيل بان الحمد
من اشكال التسبيح والتهليل فيكون من المساعي الظاهرة والشكر من اشكال
الصبر والتفويض فيكون من المساعي الباطنة ولان الشكر يقابل الكفران و
الحمد يقابل اللوم ولان الحمد اعم واكثر والشكر اخص واقل قال الله تعالى وقليل من
عبادي الشكور فثبت انهما معنيان متميزان ثم الحمد هو الثناء على الله بالنعت
الحسن هذا منتقى كلام شيخنا رحمه الله واما الشكر فتكلموا في معناه واكثر وعن
ابن عباس انه قال الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح لرب الخلائق في السر والعلانية
والى نحوه ذهب بعض مشايخنا فقال الشكر هو اداء الطاعات في الظاهر والباطن
ثم رجع الى انه اجتناب المعاصي ظاهرا وباطنا وقال غيره الشكر هو الاحتراس عن
اختيار معاصي الله تعالى بتحريس على قلبك ولسانك واركانك حتى لا تعصي الله
بشيء من هذه الثلثة بوجه من الوجوه والفرق بين قوله وبين قول الشيخ الاول انه جعل
الاحتراس معنا مثبتا زائدا على الاجتناب عن المعاصي واما الاجتناب عن المعاصي
ما هو الا ان لا يفعل المعصية عند دواعيها ولا يكون في نفسه معنى محصلا يكون العبدبه

شتغلا وعن الكفران معتصما وقال شيخنا رحمه الله ان الشكر تعظيم
المنعم على مقابلة نعمة على حد يمنعه عن جفاء المنعم وكفرانه والوصف تعظيم
المحسن على مقابلة احسانه ليصح ان يكون من الله الشكر للعبد المحسن وفيه
تفاصيل ذكرها في كتاب احياء علوم الدين وغيره وحاصل التفصيل ان الشكر
من العبد تعظيم يمنع عن جفاء من احسن اليه وذلك بتذكر احسانه وحسن حال
الشاكر في شكره وقبح حال الكافر في كفره قلت ان ادنى ما يستوجبه المنعم بنعمته
ان لا يتوصل بها الى معصيته وما اقبح حال من جعل نعمة المنعم سلاحا على عصيانه
فعلى العبد ادنى رتبة الشكر في حقيقته ان يكون من تعظيم الله تعالى ما يحول بينه و
بين معاصيه على حسب تذكر نعمه فاذا وفى بذلك فقد ادى ما هو الاصل فيه ثم يتفاضل
ذلك بجهد في الطاعة وجهد في القيام بالخدمة اذ هو من صنوف النعمة فلا بد من
الاحتراس عن المعصية وبالله التوفيق فان قلت فما موضع الشكر فاعلم ان موضوعه
النعم دينية ودنيوية على اقدارها واما الشدائد والمصائب في الدنيا في الاهل
او النفس او المال فتكلموا في ذلك هل يلزم العبد الشكر عليها قال بعضهم لا يلزم
العبد الشكر عليها من حيث هي وانما يجب فيها الصبر واما الشكر فهو على النعمة
لا غير وقالوا ولا شدة الا وفي جنبها نعم الله تعالى فيلزم الشكر على تلك النعم المقترنة
بها دون نفس الشدة وتلك النعم ما قال ابن عمر رحمهما الله ما ابتليت ببلية
الا كان لله علي فيها اربع نعم اذ لم تكن في ديني واذ لم تكن اعظم منها واذ لم احرم
الرضى واذ رجوت الثواب عليها وقد علم ايضا من تلك النعم ان تلك الشدة
زائلة غير دائمة وانها من الله عز وجل دون غير الله وان كان بسبب مخلوق

فانها

فانها لك عليه لا له عليك فاذا يلزم العبد الشكر على النعم المقترنة بالشدة
وقال آخرون وهو الاولى عند شيخنا رحمه الله ان شدائد الدنيا مما يلزم العبد الشكر
عليها لان تلك الشدائد نعم بالحقيقة بدليل انها تعرض العبد لمنافع عظيمة و
مثوبات جزيلة واعواض كريمة في العاقبة تتلاشى في جنبها مشقة هذه الشدائد
واي نعمة تكون اكثر من هذه ومثال ذلك من يسقيك دواء كريها مر المذاق
شديدا او يفصدك او يحجمك لعلة عظيمة مخوفة الخطر فيؤدي ذلك الى صحة النفس
وسلامة البدن وصفوة العيش فيكون ايلامه اياك بمرارة الدواء او جرح
الفصد والحجامة نعمة بالغة بالحقيقة ومنة ظاهرة وان كان في صورته يكره وينفر
عنه الطبع وتستوحش منه النفس ولذلك تحمد الذي تولى ذلك منك هذا الحسن
اليك المكنك فكذلك حكم هذه الشدائد اما ترى النبي صلعم كيف حمد الله وشكره على
الشدائد شكره على المسار حيث قال الحمد لله على ما ساءه وسره اما ترى كيف يقول
عز وجل وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وما سماه خيرا كثيرا
فهو اكثر ما يبلغه وهكذا يؤكد هذا القول ان النعمة ليست عبارة عن اللذة وما تشتهيه
النفس بمقتضى الطبع انما هو ما يزيد في رفعة الدرجة ولذلك تسمى نعمة في معنى
الزيادة فاذا كان الشدة مما يصير سببا في زيادة شرف العبد ورفعة درجته
فيكون نعمة بالحقيقة وان كانت تتعدد في الشدائد والمحن بطوارها فاعلم ذلك
موفقا فان قلت فالشاكر افضل ام الصابر فاعلم انه قيل ان الشاكر افضل
بدليل قوله وقليل من عبادي الشكور وجعلهم اخص الخواص وقال في نوح
انه كان عبدا شكورا وقال في ابراهيم شاكرا لانعمه ولانه في منزلة

الانعام والعافية ولذلك قيل لان انعم فاشكر احب الي من ان
ابتلى فاصبر وقيل بل الصابر افضل لانه اعظم مشقة فيكون اعظم ثوابا
وارفع منزلة قال الله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد وقال انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وقال الله تعالى والله يحب الصابرين قلت انما الشاكر بالحقيقة
لا يكون الا صابرا والصابر بالحقيقة لا يكون الا شاكرا لان الشاكر في دار
المحنة لا يخلو من محنة يصبر عليها لا محالة ولا يجزع فان الشكر تعظيم المنعم على حد
يمنع من عصيانه والجزع عصيان ولا يخلو الصابر من نعم كلا ذاقها ومن الله ايد
نعم بالحقيقة على المنع المقدم فانه شكر بالحقيقة اذ صبر لانه حبس نفسه من الجزع
تعظيما لله وهذا هو الشكر بعينه اذ هو تعظيم يمنع عن العصيان ولان الشاكر
يمنع نفسه عن الكفران ويصبر عن المعصية وحمل نفسه على الشكر وصبر على الطاعة
فصار صابرا في الحقيقة والصابر عظم الله تعالى حتى منعه تعظيمه عن الجزع فيما اصاب
به وحمل على الصبر فقد شكر الله تعالى فصار شاكرا بالحقيقة ولان حبس النفس
عن الكفران مع فقد النفس لها شدة يصبر عليها الشاكر وتوفيق الصبر والعصمة
نعمة يشكر عليها الصابر فاحدهما لا ينفك عن الآخر ولان البصيرة الباعثة
عليهما واحدة وهي بصيرة الاستقامة في قول بعض على ايتهن من هذه الوجوه
قلنا ان احدهما لا ينفك عن الآخر فاعرف هذه الجملة وبالله التوفيق

فصل فعليك ايها الرجل ببذل المجهود في قطع هذه العقبة
اليسيرة المؤنة الكثيرة الجدوى العزيزة النفع العظيمة القدر وتامل
اصلين احدهما ان النعمة انما تعطى من يعرف قدره وانما يعرف قدرها

الشاكر ودليل ما قلناه قوله سبحانه في الحكاية عن الكفار والرد عليهم اهولاء
من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين ظن اولئك الجهال
ان النعمة العظيمة والمنة الكريمة انما تعطى من يكون اكثرهم مالا واشرفهم حسبا
ونسبا فقالوا ما بال هولاء الفقراء بزعمكم من العبيد والاحرار اعطوا هذه
النعمة العظيمة بزعمكم دوننا وقالوا على طريق الاستكبار وجهة الاستهزاء
اهولاء من الله عليهم من بيننا فاجابهم الله تعالى بهذه الكلمة الزاهرة فقال
اليس الله باعلم بالشاكرين تقدير الكلام ان السيد الكريم انما يعطي نعمه
من يعرف قدرها وانما يعرف قدرها من اقبل بنفسه وقلبه فاخذها على عزها
ولا يبالي بما تحمل من اعباء المؤنة في تحصيلها ثم لا يزال قايما بالباب يؤدي
شكرها وكان في علمنا البالغ ان هولاء الضعفاء يعرفون هذه النعمة
ويقومون بشكرها وكانوا اولى بهذه النعمة منكم فلا اعتبار بغناكم وثروتكم
ولا جاهكم في الدنيا وحشمكم ولا نسبكم في الانساب ولا حسبكم انما تحبون
النعمة كلها الدنيا وحطامها دار الحب والنسب وعلوه لا الدين والحق
والمعرفة وانما تعظمون ذلك وتفتخرون به وتأثرون انكم لا تكادون تقبلون
هذه الدين والعلم والحق الا بانفة على من اتاكم به وذلك لاستعظامكم ذلك
وقلة مبالاتكم به وان هولاء الضعفاء يقبلون انفسهم على ذلك ويبذلون
مهجهم فيه ولا يبالون بما فاتهم وبين حالهم مع ذلك ليتعلموا انهم هم الذين
عرفوا قدر هذه النعمة ورسخ في قلوبهم تعظيمها وانهم فوق كل ثروة وغنى
وطالب لهم احتمال كل شدة ويستغرقون جميع العمر في شكره فلذلك استاهلوا

هذه المنة الكريمة والنعمة في سابق علمنا وحفظنا هم بها دونكم فهذه هذه
ثم اوليك وكذلك كل فريق من الناس خصهم الله تعالى بنعمة من نعم الدين
علم او عمل فانك تجدهم بالخصه اوقف الناس بقدرها واشدهم تعظيما لها
واجدهم في تحصيلها واعظمهم في اكرامها واقومهم بشكرها والذين حرمهم ذلك
فلقلة اجتهادهم وتعظيمهم لحقها بعد القدر السابق فلو كان تعظيم العلم والعبادة
في قلوب السوقة والعامة مثل ما هو في قلوب العلماء لما اثروا عليهم
وبيان عليهم تركه الا ترى ان فقيها اذا اظفر بتعلم مسألة كانت ملتبسة
عليه كيف يرتاح قلبه ويعظم سروره ويحل موقعه من قلبه حتى انه ربما لو وجد
الف الف دينار ما كان يعدل ذلك وربما ابهم امر مسألة في باب
الدين فيتفكر فيها سنة بل عشرا بل عشرين واكثر ولا يسكن ذلك ولا يمل
حتى ربما رزقه الله تعالى فهم ذلك فيعده اعظم منة واكبر نعمة ويرى نفسه
بذلك اغنى كل غني واشرف كل شريف بل ربما سمع مثل هذه المسألة
لسوقي او متعلم كسلان فيرى من نفسه انه شغل في الرغبة في العلم والحكمة له
فلا تستمع اليه حقه وربما ان طال عليه الكلام يمل ويتبرم وان تبين ذلك له
فلا يعده كبير امر وكذلك المنيب الى الله عز وجل كم يجتهد ويدأب
بالرياضة وصيانة النفس عن الشهوات واللذات والجام الاركان في الحركات
والسكنات عسى ان يتم الله تعالى ركعتين في ادب وطهارة وكم يتضرع
الى الله تعالى عسى ان يرزقه ساعة مناجاة بصفوة وحلاوة فليس يظفر
بذلك في شهر مرة بل في سنة مرة بل في العمر كله مرة فيعد ذلك اكرم منة

واعظم نعمة فكم يستر وكم يشكر الله ولا يكترث بما قاساه من المشقات
وكابده من الليالي وهجر من اللذات فيها ثم ترى الذي يزعم انه راغب
في العبادة يجب ان يحصل منها شيئا لو احتاج احدهم في تحصيل مثل هذه
العبادة الصافية الى نقصان لقمة من عشائهم او ترك كلمة لا تعنيهم او
دفع نوم ساعة عن اعينهم فلا تسمح انفسهم بذلك ولا تطيب قلوبهم وان اتفق
لهم في النادر حصول عبادة في صفوة فلا يعدونه خطير امر ولا يقيمون به كثير
شكر انما يعظم سرورهم ويكثر بالطاعة حمدهم اذا حصل لهم درهم او استقام لهم كسوة
او طابت لهم مرقة او طابت لهم في سلامة البدن رقدة فيقولون عند ذلك
الحمد لله هذا من فضل الله فانى يستوي هؤلاء الغافلون الجاهلون واولئك
السعداء المجدين المجتهدين ولذلك صار هؤلاء المساكين عن هذا الخير محرومين
واولئك المؤيدون بها فائزين فايزين ولذلك قسم الامر احكم الحاكمين سبحانه
وهو اعلم بالعالمين وهذا التفصيل قوله اليس الله باعلم بالشاكرين فتفهم
ورائعه حقه واعلم انك لن تحرم قط خيرا انت تستحقه الا بان قبل ذلك
فابذل مجهودك لتعرف قدر نعمة الله تعالى وتعظمها حق تعظيمها فتكون لها
اهلا ولا عطائها ثم يمن عليك بابقائها كما من عليك بابتدائها على ما نذكر
في الاصل الثالث انه الرؤف الرحيم الاصل الثاني ان النعمة انما تسلب ممن
لا يعرف قدرها والذي لا يعرف الكفور الذي كفرها ولا يؤدي شكرها ودليل
ذلك قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان
وكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها الاية تقدير هذا الكلام اتانا نعما

على هذا العبد بالنعم العظام والأيادي الجسام في باب الدين ما مكناه
بذلك من تحصيل رتبة الكبيرة والمنزلة الرفيعة على بابنا فيصير رفيعا عندنا
عظيم القدر كبير الجاه ولكنه جهل قدر نعمتنا فمال الى الدنيا الخسيسة الحقيرة
وآثر شهوة نفسه الدنية الردية ولم يعلم ان الدنيا كلها لا تزن عند الله تعالى
عندنا ولي نعمة من نعم الدين جناح بعوضة فكان في ذلك بمنزلة الكلب الذي
لا يعرف الاكرام من الاهانة والرفعة والشرف من الحقارة وان الكرامة
كلها عنده في كسرة يطعم او عرق مائدة يرمى اليه سواء تعقده على سرير
معكب او تقيمه في التراب والقذر بين يديك تحته وكرامته ونعمته
كلها في ذلك فهذا العبد السوء اذ جهل قدر نعمتنا ولم يعرف حق ما آتيناه من
كرامتنا فكلت بصيرته وسار في مقام القربة رده به بالالتفات الى غيرنا
والاشتغال عن ذكر نعمتنا بدنيا حقيرة ولذة خسيسة فنظرنا اليه نظر السياسة
واحضرناه ميدان العدل وامرنا فيه بحكم الجبروت فسلبناه جميع خلعتنا
وكرامتنا ونزعنا من قلبه معرفتنا فانسلخ عاريا عن جميع ما آتيناه من فضلنا
فصار كلبا طريدا وشيطانا رجيما نعوذ بالله من سخطه واليم عقابه
انه بنا رؤوف رحيم ثم اقنع بمثال ملك يكرم عبدا له فيخلع عليه خاصة
ثيابه ويقربه منه ويحله فوق سائر خدامه وحجابه ويأمره بملازمة بابه
ثم امر ان يبنى له في موضع الآفاق القصور ويرفع له الاسرة وينصب في
الموائد وتزين له الجواري ويقام له الغلمان حتى اذا رجع من الخدمة اجلس
هنالك ملكا محذوما مكرما وبين حال خدمته الى ملكه وولايته الا ساعة

في هذا

من نهار او اقل فان ابصر هذا العبد بجانب باب الملك سائسا يسيرا للدواب
يأكل رغيفا او كلبا يمضغ عظما فيشتغل عن خدمة الملك بنظره اليه واقباله
عليه ولا يلتفت الى ما له من الخلع والكرامة ويسعى الى ذلك السائس
ويمد يده ويسأله كسرة من رغيفه او يزاحم الكلب على عظمه ويغبطهما ويعظم ما
بيد السائس الملك اذ انظر اليه على مثل هذه الحالة فيقول هذا السفيه ولم يعرف
حق كرامتنا ولم ير قدر اعزازنا اياه بخلعنا والتقريب الى حضرتنا مع ما عرفناه
الرحمن عنايتنا وامرناه من الذخاير وضروب الايادي ما هذا الا ساقط عظيم
الجهل قليل التمييز اسلبوه الخلع واطردوه عن بابنا فهذا حال العالم اذا مال
الى الدنيا والعابد اذا اتبع الهوى فبعد ما اكرمه الله تعالى بعبادته ومعرفته اياته و
شريعته واحكامه ثم لم يعرف قدر ذلك فيصير الى احقر شي عند الله عز وجل
واهونه عنده فيرغب فيه ويحرص عليه ويكون اعظم في قلبه واحب اليه من
جميع ما اعطي من تلك النعم العزيزة من العلم والحقائق وكذلك من خصه الله
بانواع توفيقه وعصمته وزينه بانواع خدمته وعبادته ويديم اليه النظر بالرحمة
في اكثر اوقاته ويباهي به ملائكته واعطاه على بابه القيادة والوجاهة واجلسه
بمجلس الشفاعة وانزله منزل الاعزة حتى صار بحيث لو دعاه اجابه ولباه
ولو سأله اعطاه واغناه ولو شفع في عالم لشفعه فيهم وارضاه ولو اقسم
عليه لابره واوفاه ولو خطر بباله الشي لاعطاه قبل ان يسأله ابتداء فمن
كانت هذه حاله ثم لم يعرف قدر هذه النعم ولم ينظر الى قدر هذه المنزلة فعدل
عن ذلك الى شهوة نفس ردية لا خيار لها او لعقبة من الدنيا الدنية التي

لا يجازيها وهو ينظر الى تلك الكرامات والخلع والهبات والمنن والعطايا
ثم ما وعده واعده له في الآخرة من الثواب العظيم والنعيم المقيم فما احقرها
من نفس وما اسوءه من عبد وما اعظم خطره لو علم وما افحش صنيعه
لو فهم نسئل الله الباري الرحيم ان يصلحنا بعظيم فضله وسعة رحمته انه
ارحم الراحمين فعليك ايها الرجل ببذل المجهود حتى تعرف قدر نعم الله
عليك واذا انعم عليك بنعمة الدين فاياك ان تلتفت الى الدنيا
وحطامها فان ذلك منك لا يكون الا ضربا من التهاون بما اولاك
ربك من النعم الدينية اما تسمع قوله تعالى لسيد المرسلين ولقد آتيناك سبعا من المثاني
والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا
الآية تقديره ان كل من اوتي القرآن العظيم حق له ان لا ينظر الى الدنيا الحقيرة
نظرة باستحلاء فضلا عن ان يكون له فيها رغبة فليلازم الشكر على ذلك فانه
الكرامة التي حرص خليله ابراهيم ان يمن بها على ابيه فلم يفعل وحرص حبيبه
المصطفى ان يمن بها على عمه ابي طالب فلم يفعل واما حطام الدنيا
فانه يصبه على كل كافر وفرعون وملحد وزنديق وفاسق وجاهل الذين
هم اهون خلقه عليه حتى يغرقوا فيه ويصرفه عن كل نبي وصفي وصديق وعالم
وعابد الذين هم اعز خلق الله عليه حتى انهم لا يكادون يصيبون كسرة وخرقة
ويمن عليهم بان لا يلطخهم بقذرها حتى قال عز وجل من قائل لموسى عليه السلام
ولو شئت ان ازينكما بزينة يعلم فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عنها
لفعلت ولكني ازوي عنكما وارغب بكما عنه وكذلك افعل باوليائي

واني

واني لاذودهم عن نعيمها كما تذود الراعي الشفيق ابله عن مبارك الغرة
واني لاجنبهم سلوتها وعيشها وليس ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا
حظهم من كرامتي وقال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لبيوتهم
سقفا من فضة الآية فانظر الفرق بين الامرين ان كنت مبصرا او قل
الحمد لله الذي من علي بفتن اوليائه واصفيائه وصرف عني فتنة اعدائه
ولتغص بالشكر الاوفر والحمد الاكبر المنة الكبرى والنعمة العظمى التي هي الاسلام
فانها الاولى والاوفى بان لا تفتر ليلك ونهارك عن شكرها وان كنت
عاجزا عن عرفان قدرها فاعلم بالجملة انك لو خلقت من اول الدنيا و
اخذت في شكر الاسلام من اول الوقت الى الابد لما كنت تقوم
ولا قضيت بعض الحق لما هنالك من الفوز العظيم قلت واني اعلم ان الموضع
لا يحتمل ذكر ما يبلغه علمي من قدر هذه النعمة ولو امليت فيه الف ورقة
لكان يبلغ على فوق ذلك مع اعترافي بان ما اعلمه في جنب ما لا اعلمه
كنقطة في بحار الدنيا باسرها اما تسمع ويحك قوله تعالى لسيد المرسلين ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان الى ان قال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان
فضل الله عليك عظيما وقال تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان
اما تسمع قوله وقد سمع رجلا يقول الحمد لله على الاسلام فقال انك
لتحمد الله على نعمة عظيمة ولما قدم البشير على يعقوب عليه السلام قال
على اي دين تركته قال الاسلام قال الآن تمت النعمة وقيل ما من كلمة
احب الى الله ولا ابلغ عنده في الشكر من ان يقول العبد الحمد لله الذي انعم علينا

لمن يكفر بالرحمن

وبعد انا لللاسلام واياك ان تغفل عن الشكر فتغتر بما انت عليه من الاحوال
من الاسلام والمعرفة والتوفيق والعصمة فان مع ذلك لا موضع للامن
والغفلة فان الامور بالعواقب وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول ما
امن احد على دينه الا سلب وكان شيخنا رحمه الله يقول اذا سمعت بحال
الكفار وخلودهم في النار فلا تأمن على نفسك فان الامر على الخطر لا تدري
ماذا يكون من العاقبة وماذا سبق لك في حكم الغيب فلا تغتر بصفاء الاوقات
فان تحتها غوامض الآفات وقال بعضهم يا معشر المغترين بالعصم ان تحتها
انواع النقم زين الله ابليس بانواع عصمة وهو عنده في حقايق لعنته و
زين بلعم بانوار ولايته وهو عنده في حقايق عداوته وعلى هم كم من مستدرج
بالاحسان اليه وكم من مفتون بحسن القول فيه وكم من مغرور بالستر عليه
وقيل لذي النون ما اقصى ما يخدع به العبد قال بالالطاف والكرامات
كذلك قال سبحانه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ونسبغ عليهم النعم
وننسيهم الشكر * احسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف
سوء ما ياتي به القدر * وسالمتك الليالي فاغتررت بها * وعند صفو
الليالي يحدث الكدر * واعلم انك كلما صرت اقرب فامرك اخوف واصعب
والمعاملة اشد وادق والحفظ عليك اعظم فان الشي كلما كان ابلغ علوا اذا انقلب
كان اصعب وقوعا كما قيل ما طار طير فارتفع الا كما طار وقع فاذا لا سبيل
الى الامن واغفال الشكر وترك الابتهال في الحفظ بحال وكان ابراهيم بن ادهم
يقول كيف تأمن وابراهيم الخليل عم يقول واجنبني وبني ان نعبد الاصنام

ويوسف الصديق عم يقول توفني مسلما وكان سفيان الثوري
لا يزال يقول اللهم سلم سلم كانه في سفينة يخشى الغرق وبلغنا عن
محمد بن يوسف انه قال تأملت سفيان الثوري ليلة فبكى الليل اجمع فقلت
بكاؤك هذا على الذنوب قال فحمل تبنا وقال الذنب اهون على الله من
من هذا انما اخشى ان يسلبني الاسلام والعياذ بالله وسمعت ان بعض
العارفين يقول ان بعض الانبياء سال الله تعالى عن امر بلعم وطرده بعد تلك
الآيات والكرامات فقال الله تعالى لم يشكرني يوما من الايام على ما اعطيته
ولو شكرني على ذلك مرة لما سلبته فتيقظ ايها الرجل واحتفظ بركن
الشكر جدا جدا واحمد الله على منته في الدين اعلاها الاسلام والمعرفة
وادناها مثلا توفيق تسبيحة او عصمة عن كلمة لا تعنيك عسى ان يتم نعمة عليك
ولا يبتليك بمرارة الزوال فان امر الامور واصعبها الاهانة بعد
الاكرام والطرد بعد التقريب والفراق بعد الوصال والله الماجد الكريم
الرؤف الرحيم فصل وجملة الامر انك اذا احسنت النظر
في منن الله تعالى العظام عليك وايادية الكرام الجسام لديك التي لا يحصيها
قلبك ولا يحيط بها وهمك حتى خلفت هذه العقبات الصعاب فوجدت
العلم والبصاير وتطهرت من الاوزار والكباير وسبقت العوائق ودفعت
العوارض وطفرت بالبواعث وسلمت عن القوادح فكم حصل لك فيها من
خصلة شريفة ورتبة منيفة اولها التبصير والتوفيق واخرها التقريب والتشريف
فتأملت فيها بمقدار عقلك وتوفيقك وشكرت الله جل جلاله على قدر

طاعتك بان يشغل لسانك بحمده وثنائه ويملا قلبك بعظمته ويبلغك
مبلغا يحول بينك وبين عصيانه ويحثك على الخدمة لربك الملك اذ بسوه
طاعتك معترفا بالتقصير عن حق انعامه واحسانه وكلما اغفلت شكره او فترت
او زللت عاودت واجتهدت وتضرعت له وتوسلت وقلت يا الله
يا مولاي كما بدأت بالاحسان بفضلك من غير استحقاق فاتممه بفضلك
من غير استحقاق وتنادوا به هذا الاولياء الذين وجدوا تاج هدايته وذاقوا
حلاوة معرفته فخافوا على انفسهم حرقة الطرد والاهانة ووحشة البعد والضلالة
ومرارة العزل والازالة فتضرعوا بالباب مستغيثين ومدوا اليه الاكف مبتهلين
ونادوا في الخلوات مستصرخين وقلت انا تقديره والله اعلم انا وجدنا
منك نعمة فلطفا في اخر لانك انت الجواد الوهاب وكما وهبت مزية
الانعام في الابتداء هب لنا رحمة الاتمام في الانتهاء انما تبع ويحك ان
اول دعاء علمه رب العالمين عباده المسلمين الذين اصطفاهم من بين خلقه
هذا الدعاء قوله اهدنا الصراط المستقيم اي ثبتنا عليه وادمه لنا فهكذا تتضرع
اليه فان الخطر عظيم وقيل ان الحكماء نظروا فوجدوا اصعب المصائب ومحنها
الى حسنى المرض في الغربة والفقر في الشيب والموت في الشباب
والعمى بعد البصر والنكرة بعد المعرفة واحسن من ذلك قول من قال
لكل شيء اذا فارقته عوض وليس لله اذا فارقته من عوض وقال
اخر اذا ابقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضائر
وكذلك في كل نعمة انعم بها عليك وتاييد ايدك به في قطع عقبة من العقبات

بحزن

ما تريد

ليثبت عليك ما اعطى ويزيدك فوق ما تود وتتمنى فاذا فعلت
ذلك كنت قد قطعت هذه العقبة الخطرة وظفرت بالكنزين الكريمين
العزيزين اللذين هما الاستقامة والاستزادة فتدوم لك النعم الموجودة
التي اعطيتها فلا تخشى زوالها ويزيدك من النعم المفقودة التي لم تعط بعد
ما لا تحسن ان تسأله او تتمناها فلا تخشى فواتها وكنت حينئذ من العارفين
العلماء بالدين والتائبين الطاهرين الزاهدين في الدنيا المتجردين للخدمة القاهرين
للشيطان المتقين حق التقوى بالقلب والاركان القاصرين للامل
الناصحين الخاشعين المتواضعين المتوكلين المفوضين الراضين الصابرين
الخائفين الراجين المخلصين الذاكرين المنة الشاكرين لانعم سيدك رب
العالمين ثم تقرر بعد ذلك من المستقيمين المكرمين الصديقين فتأمل
هذا الكلام والله ولي التوفيق فان قلت اذا كان الامر كذلك لعز
قل من الناس العابد لهذا المعبود والواصل الى هذا المقصود ومن الذي
يقوى على هذه المؤن وتحصيل هذه الشرائط فاعلم ان الله تعالى كذلك
يقول وقليل من عبادي الشكور ولكن اكثر الناس لا يشكرون لا يعقلون
لا يعلمون ثم ان ذلك يسير على من يسره الله تعالى عليه وعلى العبد الاجتهاد
وعلى الله سبحانه الهداية قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
واذا كان العبد الضعيف يقوم بما عليه فما ظنك بالرب القدير الغني
الكريم الرحيم فان قلت فالعمر قصير وهذه عقبات طويلة شديدة فكيف
يفي العمر حتى تكمل هذه الشرائط وتقطع هذه العقبات فلعمري ان العقبات

طويلة فالشرايط فيها شديدة ولكن اذا اراد الله تعالى ان يجتبي عبده
قصر عليه طولها وهون عليه شديدها حتى يقول بعد قطعها ما اقرب هذه
الطريق وما اقصره وما اهون هذا الامر وايسره وفي مثل هذا قلت شعر
انا عند دعوتي على هذه الغاية علم المحجة واضح لمريده * وارى القلوب عن
المحجة في عمى * ولقد عجبت لهالك ونجاته موجودة * ولقد عجبت لمن
نجا حتى ان منهم من يقطع هذه العقبات في سبعين سنة ومنهم من يقطعها في
عشرين سنة وفي عشر سنين ومنهم من يحصل له في سنة ومنهم من يقطعها في
شهر بل في جمعة بل في ساعة حتى ان منهم من يحصل له في لحظة بتوفيق خاص
وعناية سابقة اما تذكر اصحاب الكهف كان مدتهم خطرة حيث راوا التغير
في وجه ملكهم دقيانوس فقالوا ربنا رب السموات حصلت لهم المعرفة وابصروا
ما في هذه الطريق من الحقايق فقطعوا هذا الطريق فصاروا مؤمنين متوكلين
مستيقنين اذ قالوا فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته وكل ذلك
انما حصل لهم في مقدار ساعة ولحظة اما تذكر سحرة فرعون ما كان مدتهم الا لحظة
حيث راوا معجزة موسى قالوا آمنا برب العالمين فانقطعوا الطريق وقطعوه
حقه فصاروا من ساعة الى ساعة بل اقل من العارفين بالله الراضين بقضاء الله
الصابرين على بلائه الشاكرين لالائه المشتاقين الى لقائه فقالوا لا ضير
انا الى ربنا منقلبون ولقد حكينا ان ابرهيم بن ادهم كان على ما كان عليه من
امر الدنيا فجعل لهجر ذلك وقصد هذه الطريق فلم يكن الا مقدار سيره من بلخ
الى مرو الروذ حتى صار بحيث اشار الى رجل سقط من القنطرة في الماء الكثير

هنالك

هنالك ان قف فوقف الرجل مكانه في الهواء فتخلص وان رابعة
البصرية كانت امة كبيرة يطاف بها في سوق البصرة لا يرغب فيها احد
لكبر سنها فرحمها بعض التجار فاشتراها بنحو مائة درهم فاعتقها فاختارت
هذه الطريق فاقبلت على العبادة فما تمت لها سنة حتى زارها زهاد البصرة
وقراؤها وعلماؤها لعظم منزلتها واما الذي لم تسبق له العناية ولم يعامل
بالفضل فيوكل الى نفسه فربما يبقى في شعب طريق من عقبة واحدة سبعين سنة
ولا يقطعها وكم يصيح وكم يصرخ ما اظلم هذا الطريق واشكلها واعسر هذا الامر
واعضله فان الشان كله الى اصل واحد وذلك تقدير العزيز العليم العدل الحكيم
فان قلت لم اختص هذا بالتوفيق الخاص وحرم هذا وكلاهما مشتركان
في ربقة العبودية فعند هذا السوال تنادى من سرادق الجلال ان الزم
الادب واعرف سر الربوبية وحقيقة العبودية فانه لا يسأل عما يفعل
وهم يسألون فان قلت اما مثال هذا الطريق في الدنيا الصراط في الآخرة في
عقباتها ومسافاتها ومقاطعها واختلاف احوال الخلايق فيها منهم من يمر
عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمر عليه كالريح العاصف وآخر كالفرس الجواد
وآخر كالطير وآخر يمشي وآخر يزحف حتى يصير فحمة وآخر يسحب حبيسها مدة
وآخر يؤخذ بكلاليب فيطرح في جهنم فكذلك حال هذه الطريق مع سالكيها
في الدنيا فهما صراطان صراط الدنيا وصراط الآخرة فصراط الآخرة للانفس
يرى اهوالها اهل الابصار وصراط الدنيا للقلوب يرى اهوالها ذوو البصائر
وانما اختلفت الاحوال للسالكين في الآخرة لاختلاف احوالهم في الدنيا

فتأمل ذلك حق التأمل فتنبه **فصل** ثم اعلم ان ما هو التحقيق في
هذا الباب وهو انه ليس هذا الطريق في طوله وقصره مثل المسافات
المكانية التي تسلكها الانفس فتقطعها بالاقدام فيتبع قطعها على حسب قوة
الانفس وضعفها انما هو طريق روحاني تسلكه القلوب فتقطعه بالافكار
على حسب العقايد والبصاير اصلها نور سماوي ونظر الهي يقع في قلب
العبد ينظر به نظرة فيرى بها امر الدارين بالحقيقة ثم هذا النور ربما يطلبه
العبد مائة سنة فلا يجده ولا اثرا منه وذلك لخطائه في الطلب وتقصيره
في الاجتهاد وجهله بطريق ذلك واخر يجده في خمسين واخر في عشر واخر في
يوم واخر في ساعة ولحظة لعناية رب العزة وهو ولي الهداية لكن العبد مامور
بالاجتهاد وعليه بالامر والامر مقسوم مقدور والرب حكم عدل يفعل ما يشاء
ويريد فان قلت فما اعظم هذا الخطر واشد هذا الامر وما اكثر ما يحتاج اليه هذا
العبد الضعيف من كل هذا العمل والجهد وتحصيل هذه الشرايط لماذا فاقول
لعمري انك صادق في قولك ان الامر شديد والخطر عظيم ولذلك قال تعالى
لقد خلقنا الانسان في كبد وقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما
جهولا ولذلك قال سيد المرسلين صلوات الله عليه وسلامه لو علمتم ما اعلم لبكيتم
كثيرا ولضحكتم قليلا وما روي ان المنادي ينادي من السماء ليت
الخلايق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ولذلك قول السلف
رضي الله عنهم عن ابي بكر انه قال وددت اني كنت خضراء ياكلني

الدواب

الدواب مخافة العذاب وعن عمر انه سمع انسانا يقرا هل اتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا قال ليتها تمت وقال ابو عبيدة رضي الله عنه
وددت اني كبش لاهلي فيتعرقون لحمي ويحتسون مرقي ولم اخلق وعن
وهب بن منبه خلق الانسان احمق ولولا حمقه ما هنأه عيش وعن
الفضيل اني لا اغبط ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا عبدا صالحا اليس هولاء
يعاينون القيمة انما اغبط من لم يخلق وعن عطاء السلمي رضي الله عنه لو ان
نارا اوقدت فقيل من القى نفسه فيها صار لا شيء لخشيت ان اموت
من الفرح قبل ان اصل الى النار فالامر اذا ايها الرجل شديد كما تقول بل
اشد واعظم مما تظن وتتوهم ولكنه امر سبق في العلم القديم وتقدير
العزيز العليم فلا حيلة للعبد الا بذل المجهود في العبودية والاعتصام بحبل الله
والابتهال دائما الى الله عسى ان يرحمه فيسلمه بفضله واما قولك كل هذا
لماذا فهذا الكلام يدل منك على غفلة عظيمة بل الصواب ان تقول كل هذا
في جنب ما يطلبه العبد الضعيف ماذا اتدري ما يطلب العبد الضعيف
اقل ما يطلبه على الجملة شيئان احدهما السلامة في الدارين والثاني الملك
في الدارين اما السلامة فان الدنيا وفتنها وغوائلها بحيث لم يسلم منها الملائكة
المقربون وقد سمعت حديث هاروت وماروت حتى روي انه اذا عرج
بروح العبد الى السماء تقول ملائكة السموات متعجبين كيف نجا هذا من دار
فسد فيها خيارنا وان الاخرة في اهوالها وشدايدها بحيث تفزع فيها الانبياء
والرسل نفسي نفسي لا اسالك اليوم الا نفسي حتى روي انه لو كان للرجل عمل سبعين

فبما يعلم انه لا ينجو من اراد ان يسلم من فتن هذه فيخرج منها بالاسلام
سالما لا يصيبه فتنة ومن اهوال هذه فيدخل الجنة سالما لا تصيبه نكبة ايكون
امر اهينا وانا الملك والكرامة فان الملك نفاذ التصرف والمشية
فان ذلك بالحقيقة في الدنيا للاولياء الله تعالى واصفياء الراضين بقضائه البر
والبحر والارض لهم قدم والحجر والمدر لهم ذهب وفضة والجن والانس
والبهائم والطير مسخرون لا يشاؤن شيئا الا هو كاين لانهم لا يشاؤن
الا ما شاء الله وما شاء الله كان ولا يهابون احدا من الخلق ويهابهم كل الخلق
ولا يخدمون احدا الا الله ويخدمهم كل من دون الله واين ملوك الدنيا
بعشر معشار هذه الرتبة بل هم اكثر واذل واما ملك الاخرة فيقول
الله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا واعظم بما يقول فيه رب العزة
انه ملك كبير وانت تعلم ان الدنيا باسرها قليلة وان بقاءها من اولها الى
آخرها لقليل ونصيب احدنا من هذه القليل قليل ثم الواحد منا قد يبذل لاجله
وروحه حتى ربما يظفر بقدر قليل من هذه القليل في بقاء قليل وان حصل له ذلك
فيعد بل يغبط ولا يستكثر ما بذل فيه من المال والنفس نحو ما ذكر عن امرئ القيس
حيث يقول بكى صاحبي لما راى الدرب دونه وايقن انا لاحقان بقيصر
فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا فكيف حال
من يطلب الملك الكبير في دار النعيم الخالد المقيم ان يستكثر مع ذلك الى ان يصلي
ركعتين لله تعالى او ينفق درهمين او يسهر ليلتين كلا بل لو كان له الف الف
نفس والف الف روح والف الف عمر كل عمر مثل عمر الدنيا واكثر فيبذل

ذلك

ذلك كله في هذا المطلوب العزيز لكان ذلك قليلا ولئن ظفر بعده بما طلب
كان ذلك غنما عظيما وفضلا من الله اعطاه كبيرا فتنبه ايها المسكين
من رقدة الغافلين ثم اني تاملت ما يعطيه الله سبحانه العبد اذا اطاعه
ولزم خدمته وسلك بهذه الطاعة عمره فوجدتها على الجملة اربعين كرامة
وخلعة عشرين منها في الدنيا وعشرين منها في العقبى اما التي في الدنيا فالاولى
ان يذكره الله سبحانه ويثني عليه واكرم بعبد ان يذكره رب العزة في ذكره وثنائه
والثانية ان يشكره جل جلاله ويعظمه ولو شكرك مخلوق ضعيف مثلك وعظمك
لشرفت به فكيف باله الاولين والآخرين والثالثة ان يحبه ولو احبك رئيس
محلة او امير بلدة لافتخرت بذلك وانتفعت به في مواطن عزيزة فكيف
بمحبة رب العالمين الرابعة ان يكون له وكيلا يدبر اموره والخامسة ان يكون
لرزقه كفيلا يوجه اليه من حال من غير تعب او وبال السادسة ان يكون له
نصيرا يكفيه كل عدو ويدفع عنه كل قاصد بسوء السابعة ان يكون له انيسا
لا يستوحش بحال ولا يخاف التغير والاستبدال والثامنة عز النفس فلا يلحقه
ذل خدمة الدنيا واهلها بل لا يرضى ان يخدمه ملوك الدنيا وجبابرتها والتاسعة
رفع الهمة فيترفع عن التلطخ بقاذورات الدنيا واهلها ولا يلتفت الى زخارفها
وملاهيها يترفع الى حال الرجال الابطال وعن ملاعب الصبيان والنسوان
العاشرة غنى القلب فيكون اغنى من كل غني في الدنيا لا يزال طيب النفس
فسيح الصدر لا يفزعه حدث ولا يهمه عدم والحادية عشرة نور القلب فيهتدي
بنور قلبه الى علوم واسرار وحكم لا يهتدي الى بعضها غيره الا بجهد جهيد وعمر مديد

الثانية عشر شرح الصدر فلا يضيق ولا يعيا بشي من محن الدنيا ومصايبها و
مكارهها وموذن الناس ومكايدهم الثالثة عشر المهابة والموقع في النفوس
تحترمه الاخيار والاشرار ويهابه كل فرعون وجبار الرابعة عشر المحبة في القلوب
يجعل له الرحمن ودا فترى القلوب كلها مجبولة على محبته والنفوس باجمعها مطبوعة
على تعظيمه واكرامه والخامسة عشرة البركة العامة في كل شي من كلام او نفس او فعل او
ثوب او مكان حتى يتبرك بتراب وطئه ومكان جلس فيه يوما وبانسان
صحبه وراه السادسة عشر تسخير الارض من البر والبحر حتى ان شاء سار في الهوى
او مشى على الماء او قطع وجه الارض باقل ساعة السابعة عشرة تسخير الحيوان
من السباع والوحوش والهوام وغيرها فتجيبه الوحوش وتبصبص له الاسود
الثامنة عشرة ملك مفاتيح الارض بحيث ما ضرب يده فله كنز ان اراد وحيث
ما يضرب رجله فله عين ان احتاج وايما نزل فله مايدة يحضره ان قصد التاسعة عشرة
السيادة والوجاهة على باب رب العزة فيبتغي الخلق الى الله الوسيلة
بخدمته وتستنجح الحاجات من الله تعالى بوجاهته وبركته العشرون اجابة الدعوة
من الله عز وجل فلا يسأل الله شيئا الا اعطاه ولا يشفع لاحد الا شفع
ولو اقسم على الله تعالى لابره باشارة حتى ان منهم من لو اشار الى جبل لزال
فلا يحتاج الى السوال باللسان ولو خطر بباله شي لحضر ولا يحتاج الى الاشارة
باليد فهذه كرامات في الدنيا واما التي في العقبى فالاحدى والعشرون ان يهون
عليه اولا سكرات الموت وهي التي وجلت قلوب الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين
منها حتى سالوا الله تعالى ان يهونها عليهم حتى ان منهم من يكون الموت عنده

مثل شربة الماء الزلال للظمآن قال الله تعالى الذين تتوفيهم الملائكة
طيبين والثانية والعشرون التثبيت على المعرفة والايمان وهو الذي منهم
الموت والنزع وعليه كل البكاء والجزع قال عز من قايل يثبت الله الذين
آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة والثالثة والعشرون ارسال
الروح والريحان بالبشرى والامان قوله سبحانه وتعالى ان لا تخافوا ولا تحزنوا
وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون فلا يخاف مما يقدم عليه في العقبى ولا يحزن
على ما خلفه في الدنيا الرابعة والعشرون الخلود في الجنان الخامسة والعشرون الجلوة
في السير لروحه على ملائكة السموات بالاكرام والالطاف والانعام ولبدنه
في العلانية بتعظيم جنازته والمزاحمة على الصلوة عليه والمبادرة الى تجهيزه ورجوا
بذلك اكبر ثواب ونعمة وذا اعظم غنيم والسادسة والعشرون الامان من فتنة
سوال القبر والتلقين الصواب فيامن ذلك الهول السابعة والعشرون توسيع
القبر وتنويره فيكون في روضة من رياض الجنة الى يوم القيمة والثامنة والعشرون
ايناس روحه ونسمته واكرامها فتجعل في اجواف طير خضر مع الاخوان
الصالحين فرحين مستبشرين بما آتيهم الله من فضله والتاسعة والعشرون الحشر
في العزة والكرامة من حلل وتاج وبراق والثلاثون بياض الوجه ونوره
قال الله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة والاحدى والثلاثون
الامن من اهوال القيمة قال الله تعالى ام من ياتي آمنا يوم القيمة والثانية والثلاثون
اعطاء الكتاب باليمين ومنهم من لا يعطى الكتاب راسا والثالثة والثلاثون تيسير الحساب
ومنهم من لا يحاسب اصلا والرابعة والثلاثون ثقل الميزان ومنهم من لا يوقف

للمؤمن اصلا والخامسة والثلاثون ورود الحوض على النبي صلعم فيشرب شربة
لا يظمأ بعدها ابدا والسادسة والثلاثون جواز الصراط والنجاة من النار حتى
ان منهم من لا يسمع حسيسها وتخمد النار والسابعة والثلاثون الشفاعة في عرصة
القيمة كشفاعة الانبياء والرسل والثامنة والثلاثون ملك الابد في الجنة و
التاسعة والثلاثون الرضوان الاكبر والاربعون لقاء رب العالمين اله الاولين
والآخرين بلا كيف جل جلاله ثم اقول وانما عددت ذلك على حسب فهمي
ومبلغ علمي في قصوره ونقصه ومع ذلك فقد اجملت واوجزت وذكرت
من الاصول والجمل ولو فصلت بعض ذلك لما احتمله الكتاب الا ترى انني
جعلت ملك الابد خصلة واحدة ولو فصلتها لاربت على اربعين
خصلة من انواع الحور والقصور والثياب وغير ذلك ثم كل نوع يشتمل على
تفاصيل لا يحيط بها الا عالم الغيب والشهادة الذي هو خالقها ومالكها واي
مطمع لنا في معرفة ذلك وربنا سبحانه يقول فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين ثم رسول الله صلعم خلق فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر
قلب بشر وان المفسر يقول في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
ان هذه هي الكلمات التي يقول الله تعالى لاهل الجنة باللطف والكرم والاكرام
ومن يكون حاله هذه فاني يبلغ جزءا من الف الف جزء منه وهم بشر او يحيط به
علم مخلوق كلا بل تقاعدت الهمم وتقاصرت دونه العقول وحق ان يكون ذلك
كذلك وهو عطاء العزيز العليم على مقتضى الفضل العظيم وحسب الجود القديم الا
فليعمل العاملون وليبذل المجتهدون جهدهم لهذا المطلب العظيم وليعلموا ان

ذلك

ذلك كله لا تحل بقليل في جنب ما هم اليه محتاجون واياه يطلبون وله يتوخون
وليعلموا ان العبد لا بد له في الجملة من اربعة العلم والعمل والاخلاص والخوف
فيعلم اولا الطريق والا فهو اعمى ثم يعمل بالعلم والا فهو محجوب ثم يخلص العمل
والا فهو مغبون ثم لا يزال يخاف ويحذر من الآفات الى ان يجد الامان
والا فهو مغرور ولقد صدق فيه الشيخ رحمه الله حيث قال الخلق كلهم موتى الا
العلماء والعلماء كلهم نيام الا العاملون والعاملون كلهم مغترون الا المخلصون
والمخلصون على خطر عظيم ثلثت اذا والعجب كل العجب من اربعة احدها
من عاقل غير عالم انما يهتم لمعرفة ما بين يديه انما يتعرف ما هو مطلع بعد الموت
عليه بالنظر في هذه الدلائل والعبر والاستماع الى هذه الآيات والنذر والازعاج
لهذه المزاجر والزواجر حسبي في النفس قال الله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات
والارض وما خلق الله من شيء وقال الله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون
ليوم عظيم والثاني من عالم غير عامل انما تذكر ما يعلم يقينا ما بين يديه من الاهوال
العظام والعقبات الصعاب وهذا هو الشان العظيم الذي انتم عنه معرضون
والثالث من عامل غير مخلص انما يتامل قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل
عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والرابع من مخلص غير خائف انما ينظر
الى معاملة جل جلاله مع اصفيائه واوليائه وخيرته العالية منه وصفوته
حتى يقول لاكرم الخلق عليه ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك
الآيات وغيرها حتى كان عليه السلام يقول شيبتني سورة هود واخواتها
ثم جملة الامر وتفصيله ما قال رب العالمين في اربع آيات من الكتاب العزيز

قوله عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ثم قال جل اسمه
ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ثم قال
جل من قائل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ثم اجمل الكل فقال
وهو اصدق القائلين ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين
ونحن نستغفر الله من كل ما زلت به القدم او طغى به القلم ونستغفره
من اقاويلنا التي لا يوافق اعمالنا ونستغفره مما ادعيناه واظهرناه
من العلم بدين الله مع التقصير فيه ونستغفره من كل خطرة دعتنا الى
تصنع وتزين في كتاب سطرناه او كلام نظمناه او علم افدناه ونسأله
ان يجعلنا واياكم يا معشر الاخوان بما علمناه عاملين ولوجهه
مريدين وان لا يجعله وبالا علينا وان يضعه في ميزان
الصالحات اذا ردت اعمالنا الينا انه
جواد كريم فهذه ما اردنا ان نذكره
في شرح كيفية سلوك الآخرة
قد وقع الفراغ من تتميم
هذا الكتاب في شهر
ذي حجة ٩٨٦

قال صاحب الكشاف في قوله تعالى فتأتون افواجا اي من القبور الى المحشر امما كل امة مع امامهم وقيل جماعات مختلفة وعن معاذ
رضي الله عنه انه سأل عنه رسول الله صلعم فقال يا معاذ سألت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة
اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها
وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم
اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم
ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس
واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربا واما العمي فالذين
يجورون في الحكم واما الصم والبكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص
الذين خالف قولهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون الجيران واما المصلبون
على جذوع من النار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين
يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل
الكبر والفخر والخيلاء وعن النبي صلعم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما
وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله ولا منهما وقال عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب
السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل
سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر

من جابر قال اتى النبي صلعم رجل فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيئا
دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار عن ابي ذر قال قال رسول الله صلعم الا اعلمكم
ما علم نوح ابنه قالوا بلى قال قال يا بني اني آمرك ان لا تشرك بالله شيئا فانه من يشرك
بالله فقد حرم الله عليه الجنة وانهاك عن الكبر فانه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من الكبر
قال رسول الله صلعم ان الله تعالى لعن الخمر وعاصرها والمعتصر والجالب والمجلوب اليه والبائع والمشتري والساقي والشارب
وحرم ثمنها على المسلمين قال رسول الله صلعم الخمر ام الخبائث ومن شربها لم يقبل الله منه صلوة اربعين يوما
فان مات وهي في بطنه مات ميتة جاهلية قال رسول الله صلعم مدمن الخمر كعابد الوثن قال رسول الله صلعم
لا تجالسوا شربة الخمر ولا تشيعوا جنائزهم ولا تزوجوهم ولا تتزوجوا اليهم فان شارب الخمر يجيء
يوم القيمة مسودا وجهه مزرقة عيناه يدلع لسانه على صدره يسيل لعابه على بطنه يتقذره من يراه
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قضى حاجة لاخيه المسلم قضى الله له مائة حاجة مقضية غير مردودة
ما من احد يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له الها واحدا احدا صمدا فردا لم يتخذ
صاحبة ولا ولدا الا اعطاه الله تعالى في الجنة اربعمائة قصر من ياقوت حمراء ثم قال
هذا القول على المؤمن خفيف وعلى المنافق ثقيل — من ام قوما فليصل بهم صلوة
اضعفهم فان فيهم المريض والكبير والضعيف وذا الحاجة — ما من عبد فتح على نفسه بابا
من المسئلة الا فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر — من اذل عالما بغير حق اذله الله يوم القيمة
على رؤس الاولين والاخرين ومن اكرم عالما اكرمه الله بكرامة الانبياء — من اسهر ليلة في سبيل الله
فله عند الله من الثواب ما لا يقدر احد ان يصفه — من ترك الجدال وقول الزور فهو
في الجنة — من اكتسب بقدر قوته ولم يسأل الناس لا يعذبه الله يوم القيمة ثم قال اعط السائل
وان جاءكم على فرس — ما من احد اضاف ضيفا فاكرمه واعانه مما وجد الا فتح الله له
بابا من الجنة ومن لم يكرم ضيفه فليس منا — من قتل عالما بشهوة عذبه الله الف عام في النار
ومن جامع ولم يجد ريح الجنة وريحها توجد من مسيرة خمسمائة عام الا ان يتوب

منها اليه وهيئة الحرمة ان تجلس وانت على الطهارة ساكنا مطرقا مستقبل القبلة غير متكئ ولا متربع
ولا نائم كأنك تجلس بين يدي المولى وتقرأه بترتيل وتفخيم وتؤتيه حروفا حروفا من غير هذرمة قال ابن عباس رضي الله عنهما
لان اقرأ اذا زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الي من ان اقرأ البقرة وآل عمران بهذرمة ولا تكن مضطجعا
من غير طهارة فلا تحرم من الفضل فان الله تعالى اثنى على الجميع فقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم الآية
وقد قال علي كرم الله وجهه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلوة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في
الصلوة كان له بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلوة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء
فعشر حسنات وللقراءة ثلث درجات ان يختم في الشهر مرة واقصاها ان يختم في ثلثة ايام قال النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ القرآن في اقل من ثلث فلم يفقهه واعدلها ان يختم في الاسبوع واما الختم في كل يوم فغير مستحب
في الذكر قال الله تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم واذكر اسم ربك
وتبتل اليه تبتيلا وقال صلى الله عليه وسلم لذكر الله بالغداة والعشي افضل من حطم السيوف في سبيل الله
ومن اعطاء المال سحا وقال الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم
وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من ان تلقوا اعداءكم فتضربوا اعناقهم ويضربون
اعناقكم قالوا وما ذلك يا رسول الله قال المستهترون بذكر الله قد وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا
القيمة خفافا واعلم ان للذكر قشور ثلثة القشر الاعلى منه ذكر اللسان فقط والثاني ذكر القلب اذا كان القلب يحتاج
الى المراقبة حتى يحضر مع الذكر ولو ترك وطبعه لاسترسل في اودية الافكار والثالث ان يتمكن الذكر من القلب
ويستولي عليه بحيث يحتاج الى تكلف في صرفه عنه الى غيره كما احتيج في الثاني الى التكلف في قراره معه ودوامه عليه
والرابع هو اللباب ان يتمكن المذكور من القلب ويستولي عليه وينمحي الذكر ويخفى وهو اللباب المطلوب وذلك
بان لا يلتفت القلب الى الذكر ولا الى القلب بل يستغرق المذكور جملة ومهما ظهر له في اثناء ذلك التفات
الى الذكر جملة ومهما ظهر في اثناء ذلك التفات الى الذكر فذلك حجاب شاغل وهذه الحالة هي التي يعبر عنها
العارفون بالفناء واعلم ان كل ذكر يشعر به قلبك فيسمعه الحفظة فان شعورهم يقارن شعورك وفيه سر
حتى اذا غاب ذلك عن شعورك بذهابك في المذكور بالكلية فيغيب ذلك عن شعور الحفظة وما دام القلب
يشعر بالذكر ويلتفت اليه فهو معرض عن الله وغير منفك عن الشرك الخفي حتى يصير مستغرقا بالواحد الحق فهو
هو التوحيد فاذا ملك فقد علمت ان الذكر هو افضل ام قراءة القرآن فاعلم ان قراءة القرآن افضل للخلق كلهم

الا للذاهب الى الله وهو افضل للذاهب الى الله في جميع احواله بداية وفي جميع احواله في النهاية
فان القرآن هو المشتمل على صنوف المعارف والاحوال والارشاد الى الطريق فما دام العبد مفتقرا الى
تهذيب الاخلاق وتحصيل المعارف فالقرآن اولى فان جاوز ذلك واستولى الذكر على قلبه فمداومة
الذكر اولى به فان القرآن يجاذب خاطره ويسرح به في رياض الجنة والمريد الذاهب الى الله لا ينبغي
ان يلتفت الى الجنة ورياضها بل ينبغي ان يجعل همه هما واحدا وذكره ذكرا واحدا حتى يدرك درجة الفناء
ولذلك قال الله تعالى ولذكر الله اكبر ثم من افضل الاذكار لا اله الا هو الحي القيوم فان فيه الاسم الاعظم اذ قال
النبي صلى الله عليه وسلم اسم الله تعالى في آية الكرسي واول آل عمران ولا شك ان الامر هذا ويترتب قولك
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر طلب الحلال قال الله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا
صالحا والحرام خبيث وليس بطيب فقد قرن اكل الطيبات بالعبادات وقال رسول الله عليه السلام
طلب الحلال فريضة بعد فريضة الايمان والصلوة وقال رسول الله عليه السلام من اكل الحلال
اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه وفي رواية زهده الله في الدنيا وقال
ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من اكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل
والصرف النافلة والعدل الفريضة وقال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام
لم يقبل الله صلوته ما دام عليه منها شيء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما
لا يريبك وقال عليه السلام لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس
قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا وقال عليه السلام من اجلال الله
اكرام ذي الشيبة المسلم وقال عليه السلام ما وقر شاب شيخا لسنه الا قيض الله له في سنه
من يوقره وهذا ابشره بطول الحيوة وقال عليه السلام ان الله تعالى يحب السهل الطلق وقال عليه السلام
ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا قال عليه السلام لا يدخل الجنة قتات وقيل من نم
اليك نم عليك وقال عليه السلام لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلث وقال عليه السلام
من اقال مسلما اقاله الله يوم القيامة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسط رداءه
لبعضهم وقال اذا جاءكم كريم قوم فاكرموه وقال عليه السلام لا يرى امرء من اخيه عورة

المحافظة الثالثة ان تحافظ على روح الصلوة وهو الاخلاص وحضور القلب في جملة الصلوة والتفات
القلب في الحال معانيها فلا تسجد ولا تركع الا وقلبك خاشع متواضع على موافقة ظاهرك فان المراد
خضوع القلب لا خضوع البدن فلا تقول الله اكبر وفي قلبك شيء اكبر من الله ولا تقول وجهت
وجهي الا وقلبك متوجه بكل وجهه الى الله تعالى ومعرض عن غيره ولا تقول الحمد لله الا وقلبك
طافح بشكر نعمه عليك فرح مستبشر ولا تقول اياك نستعين الا وانت مستشعر ضعفك
وعجزك وانه ليس اليك ولا الى غيرك من الامر شيء وكذلك في جميع الاذكار والاعمال
فجاهد نفسك في ان ترد قلبك الى الصلوة حتى لا تغفل من اولها الى آخرها فانه لا يكتب
للرجل من صلوته الا ما عقل منها فان تعذر عليك الاحضار وما اريك الا كذلك فانظر
فان كان قدر الغفلة مقدار ركعتين فزد ركعتين من النافلة وكلما زادت في الغفلة زد في
النوافل حتى يحضر قلبك في عشر ركعات مثلا بمقدار اربع ركعات وهو قدر فرضك
فمن رحمة الله عليك ان جعل جبران الفرائض بالنوافل وسنة بالنوافل الخلل الواقع في
الفرائض تفضلا منه قال النبي عليه السلام لا تاكل الا طعام تقي ولا ياكل طعامك الا تقي
قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال الله تعالى كل حسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الا الصيام
فانه لي وانا اجزي به وقال لكل شيء باب وباب العبادة الصوم وانما كان الصوم مخصوصا بالله والاضافة اليه لامرين
احدهما انه يرجع الى كف وهو عمل سري لا يطلع عليه غير الله تعالى لا كالصلوة والزكوة وغيرها والثاني
انه قهر لعدو الله فان الشيطان هو العدو ولن يقوى الشيطان الا بواسطة الشهوات والجوع يكسر جميع الشهوات
التي هي آلة الشيطان ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه
بالجوع وهو سرور قلبه صلى الله عليه وسلم اذا دخل رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين
ونادى مناد يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر ثم اعلم ان اقل الصوم الاقتصار على رمضان واعلاه صوم داود
صلى الله عليه وسلم وهو ان يصوم يوما ويفطر يوما فقد ورد في الخبر الصحيح ان ذلك افضل من صوم الدهر وانه افضل الصيام

وسره ان من صام الدهر صار الصيام له عادة فلا يحس بوقعها في نفسه بالانكسار وفي قلبه بالصفاء وفي شهواته بالضعف
ولا يبعد به فان الاطباء ايضا ينهون عن اعتياد شرب الدواء وقالوا من تعود ذلك لم ينتفع به اذا مرض اذ مالف
مزاجه فلا يتأثر به وهو سر قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله عمر ... ان فلانا صام الدهر فقال لا صام ولا افطر كما
عائشة رضي الله ... رجل كان يقرأ القرآن بعد ... ان هذا ما قرأ القرآن ولا سكت اما الدرجة الوسطى فهو ان يصوم
ثلث الدهر وتمامه صوم الاثنين والخميس واما الصيام الى النصف فهو صوم من السنة ثلاثة اشهر واربعة ايام وهو زيادة على
الثلث وانما درجات اسراره فثلاثة اولها ان يقتصر على الكف عن المفطرات ولا يكف جوارحه عن المكاره وذلك
صوم العموم وهو قناعة بالاسم والثانية ان يضيف اليه كف الجوارح فيحفظ اللسان عن الغيبة والعين عن النظر بالريبة
وكذا سائر الاعضاء والثالثة ان يضيف اليه صيانة القلب عن الفكر والوسواس ويجعله مقصورا على ذكر الله
وذلك صوم خصوص الخصوص وهو الكمال ثم تمام الصيام خاتمة بما يكمل وهو ان يفطر على طعام حلال لا على شبهة ولا اكثر
من الاكل احلال بحيث يتدارك به ما فاته ضحوة فيكون قد جمع من الاكلتين دفعة فيثقل معدته ويقوي شهوته ويبطل سر الصوم
وفائدته ويفضي الى ان يتكاسل عن التهجد وربما لم يستيقظ قبل الصبح وكل ذلك خسران ربما لا يوازيه فائدة الصوم

ضحوة نهار بعد طلوع الشمس

في الحج قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج
فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا واعلم ان هذه السفرة وضعت على مثال سفرة الآخرة فليتذكر المريد
بكل عمل من اعمالها امرا من امور الآخرة موازيا لها فان فيه تذكرة للمتذكر وعبرة للمتبصر فيتذكر من اول سفره عند وداع
اهله وداع الاهل في سكرات الموت ومن مفارقة الوطن الخروج عن الدنيا ومن ركوب الجمل ركوب الجنازة ومن الالتفات
في اثواب الاحرام الالتفات في اثواب الكفن ومن دخول البادية الى الميقات ما بين الخروج عن الدنيا الى الميقات يوم القيامة ومن هول
قطاع الطريق سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه ومن انفراده عن اهله واقاربه وحشة القبر ووحدته
ومن التلبية اجابة نداء الله تعالى عند البعث وكذلك من سائر الاعمال فان في كل عمل سرا وتحته رمز ينبه له كل عبد
بقدر استعداده والمتنبه بصفاء قلبه وقصور همته على مهمات الدين

في القرآن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل عبادة
امتي قراءة القرآن وقال صلى الله عليه وآله وسلم لو كان القرآن في اهاب ما مسته النار وقال صلى الله عليه وسلم ما من شفيع
افضل منزلة عند الله يوم القيامة من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل من شغله
قراءة القرآن عن دعائي ومسألتي اعطيته افضل ثواب الشاكرين فاما آداب القراءة فخمسة الاول ان تقرأه باحترام
وتعظيم ولا يلزم الحرمة قلبك ما لم يلزم همة القارئ فقد عرفت كيفية علاقة القلب بالجوارح ووجه ارتفاع الانوار

منها

فيستر الله عليه الا دخل الجنة قال عليه السلام من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا
المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة اخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته
يفضحه ولو في جوف بيته قال عليه السلام اتقوا مواضع التهم قال عليه السلام من مشى في حاجة اخيه ساعة
من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين وقال قيامك مع اخيك ساعة
خير من اعتكاف سنة وقال عليه السلام اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما سبعون رحمة تسع وستون
لاحسنهما بشرا قال النبي عليه السلام ما من امرئ ينصر اخاه مسلما في موضع ينتهك فيه من عرضه ويستحل
حرمته الا نصره الله عز وجل في موطن يحب فيه نصره وما من احد خذل مسلما في موضع ينتهك
فيه حرمته الا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته وقال عليه السلام خالطوا الناس باعمالهم وزايلوهم
بالقلوب قال عليه السلام اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن هم قال الاغنياء وقال عليه السلام اللهم احيني مسكينا
وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين وكان سليمان عليه السلام اذا رأى في المسجد مسكينا جلس اليه
وقال مسكين جالس مسكينا وقال موسى عليه السلام الهي اين اطلبك فقال عند المنكسرة قلوبهم وقال عليه السلام
الوحدة خير من جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة قال النبي عليه السلام اول الخصمين يوم القيامة جاران
وقال عليه السلام اذا رميت كلب جارك فقد آذيته وقيل ان فلانة تصوم النهار وتصلي الليل وتؤذي جيرانها
فقال هي في النار وقال عليه السلام اتدرون ما حق الجار ان استعان بك اعنته وان استقرضك اقرضته
وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان اصابه خير هنأته وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل
عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه وان اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك
ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ
حق الجار الا قليل ممن رحمه الله قال النبي عليه السلام قال الله تعالى انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي
فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وقال صلة الرحم تزيد في العمر وقال عليه السلام يوجد ريح الجنة على مسيرة
خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وقال بر الوالدين افضل من الصلاة والصيام والحج

القتار ريح الشواء

۲۲

والمجاهد في سبيل الله وقال بر الوالدة على الوالدة ضعفين وقال ساووا بين اولادكم في العطية واما المملوك
فقد قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون
ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم وسئل كم يعفوا عن المملوك
في اليوم والليلة فقال سبعين مرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم خياركم لاهله وانا خيركم لاهلي
وكان صلى الله عليه وسلم من افكه الناس مع نسائه والاخبار في هذا الباب اكثر من ان تحصى
وقال عليه السلام يقول الله تعالى يوم القيمة اين المتحابون لجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي
واوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام لو انك عبدتني بعبادة اهل السموات والارض وحب في الله ليس
وبغض في الله ليس ما اغنى عنك ذلك شيئا وقال نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان حول العرش منابر
من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله
صفهم لنا فقال المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتزاورون في الله قال رسول الله عليه السلام
ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده
قال رسول الله عليه السلام عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر الفا اعمالهم اعمال الانبياء قالوا يا رسول الله
كيف ذلك قال لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر قال رسول الله عليه السلام
يا ايها الناس ان الله عز وجل امرني ان اعلمكم وأؤدبكم لا يكثرن احدكم الكلام عند المجامعة فانه
يكون منه خرس الولد ولا ينظرن احدكم الى فرج امرأته اذا هو جامعها فانه يكون منه العمى ولا يقبلن
احدكم امرأته اذا هو جامعها فانه يكون منه الصمم وصمم الولد ولا يديمن احدكم النظر في الماء فانه يكون منه ذهاب العقل
قال رسول الله تفضل صلوة الجماعة صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة قال رسول الله عليه السلام ما من عمل احب
الى الله تعالى من جوع وعطش وقال افضلكم عند الله اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله تعالى كل اكول
نؤوم شروب وقال ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وقال لعائشة رضي الله عنها
اديموا قرع باب الجنة يفتح لكم قالت وكيف نديم قال بالجوع الظمأ وقال عليه السلام من اجاع بطنه عظمت
فكرته وفطن قلبه وفي عرض الدنيا عليه صلى الله عليه وسلم قال لا اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت واذا شبعت شكرت

تم هذا التفسير للامام البارع الورع نجم الدين عمر نسفي رحمه الله روي ابي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ يس يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما
قرأ القرآن اثنتي عشرة مرة وايما مسلم قرأ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بعدد كل حرف في سورة يس عشرة املاك يقومون
بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض
ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث
في القبر وهو ريان ويبعث يوم القيمة وهو ريان ويحاسب وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقد ورد
[illegible] انه قال ان اهل الجنة لا يقرؤون من القرآن الا سورة يس وطه [illegible] اكثر من قراءة يس فان فيها عشر بركات
ما قرأها جائع الا اشبعه الله وما قرأها [illegible] الا آمنه الله [illegible] ولا مكروب الا فرج الله عنه وما قرأها عريان الا كساه الله [illegible]
[illegible] ولا فقير الا استغنى ولا عزب الا تزوج ولا مسافر الا اعين على سفره ولا مديون الا قضى عنه دينه ولا محبوس الا اخرج ولا قرئت
عند ميت الا خفف الله عنه شدة الموت ولا يجد ملك الساعة من كرب وما قرأها رجل ضلت له ضالة الا ردها الله عليه ومن قرأ
صباحا كان في امان الله حتى يمسي ومن قرأها مساء كان في امان الله حتى يصبح

قال الله تعالى فمن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد

كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما

٢٢٢

به العبد بعد التوحيد الصلوة وقال عليه السلام من ترك صلوة متعمدا [illegible] في النار ثمانين حقبا و

الصلوة معراج المؤمن وقال عليه السلام المصلي يناجي ربه وقال عليه السلام الصلوة عماد الدين فمن اقامها

اقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين وقال عليه السلام من ترك صلوة الفجر تبرأ منه الايمان ومن ترك

صلوة الظهر تبرأ منه القران ومن ترك صلوة العصر تبرأ منه الانبياء ومن ترك صلوة المغرب تبرأ منه

الملائكة ومن ترك صلوة العشاء تبرأ منه الرحمن اولئك هم المنافقون اولئك هم المنافقون

وقال عليه السلام من ترك صلوة الفجر فنادى مناد من السماء يا فاجر ومن ترك صلوة الظهر فنادى مناد

من السماء يا خاسر ومن ترك صلوة العصر فنادى مناد من السماء يا كافر ومن ترك صلوة المغرب

فنادى مناد من السماء يا مدبر ومن ترك صلوة العشاء فنادى مناد من السماء لست ربك فاطلب

ربا سواي وقال عليه السلام لو ان رجلا قتل الف ملك مقرب ولو ان قتل الف نبي

ولو حرق الف مصحف ولو زنى مع الف بكر هو اقرب الى الله من رجل ترك صلوة متعمدا

وقال عليه السلام من كان جار المسجد ولا يأتي المسجد ثلث ايام متواليات من غير عذر مانع ودين غالب

او سلطان جابر فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ان خطب عليكم فلا تزوجه وان

مات فلا تشهد واجنازته الا لا صلوة له الا فلا زكوة له الا فلا فلاح له ان مات منه [illegible]

وقال عليه السلام من ترك صلوة ثلثة ايام بثلثة لياليها فاذا مات لا يغسل ولا يكفن ولا

يدفن في مقابر المسلمين وقال عليه السلام من اعان تارك الصلوة بلقمة او كسوة فكانما

قتل سبعين نبيا اولهم ادم واخرهم محمد وقال عليه السلام من اكل مع من لا يصلي فكانما

زنى سبعين مرة من امه و[illegible] وعمته وخالته في بيت الحرام وقال [illegible]

من اعان تارك الصلوة فكانما قتل جميع الانبياء الف مرة و[illegible]

[illegible] زنى مع امه الف مرة ومن [illegible] تارك الصلوة فكانما [illegible]